للأطفال

أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم



الشيخ
محمود المصري أبو عمار

مكتبة الصفا




أخلاق الرسول
صلى الله عليه وسلم
للأطفال

أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم

للأطفال

الشيخ

محمود المصري أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون ٢٥١٤٧٢٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٩٦٥٥

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر أمام الجامع الأزهر القاهرة ت ٢٥١٤٣٣٢٠
درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣٦١١٨ - فاكس ٢٥١٤٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى: ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم درة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «أخلاق الرسول ﷺ للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم، عن طريق القصص والحكايات.

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة التى تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله مناراً لخدمة العلم والدين

إهداء

*** إلى أمي الحبيبة :**

عندما أريد أن أتكلم عن الأخلاق فلا أستطيع أن أنسى أبدًا أمي الحبيبة التي تعلمت على يديها أخلاق الرسول ﷺ فقد كانت تحب الرسول ﷺ من أعماق قلبها وكانت تتعايش مع أخلاقه في كل همسة من حياتها . . . فقد كانت أكثر الناس حلمًا وعفواً وصبراً وتوكلاً وصدقًا وأمانة وبشاشة ورحمة وإحسانًا وحياءً وتواضعًا وإخلاصًا.

أسأل الله أن يرحمك رحمة واسعة يا أحب الناس إلى قلبي بعد النبي ﷺ وأصحابه.

*** إلى ابنتي الحبيبة: رودينا :**

إلى زهرتي الجميلة الصغيرة التي ملأت الدنيا بعبير ابتسامتها وبراءتها ونقائها . . والتي جاءت لتروي هجير حياتي بطهرها وعبيرها وضيائها.

أسأل الله (عز وجل) أن يجعلك من العابدات القانتات وأن يملأ حياتك بالسعادة والسرور وأن يجعل لك في قلوب المؤمنين ودًّا وأن يجمعني بك في الفردوس الأعلى.



بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، وبعد:

فإن المؤمن، بلا شك يريد أن يكون محبوبًا لدى الخالق وأيضًا محبوبًا لدى الخلق.

ولن يكون ذلك إلا إذا كان هذا المؤمن يتحلى بأخلاق الرسول ﷺ

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

الذى قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

ومن أجل ذلك كان لابد أن نتعلم جميعًا أخلاق الرسول ﷺ.

* * *

* حبايبى الحلوين: لابد أن نعلم أن الإسلام دعوة أخلاقية مؤسسة على حُسن الخلق.

- فحسن الخُلق هو الأمر الذى يقوم عليه الإسلام... بل هو الإسلام. ولذا قال سيد الأنام ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢].

- وحُسن الخُلق هو الذى يجمع لنا جميع الأقوال والأفعال التى جاء بها النبى ﷺ.

- ولذا لما سأل النواس بن سمعان رضي الله عنه النبى ﷺ عن البر والإثم قال له النبى ﷺ: «**البر حُسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس**»[٣].

* وعندما نتعايش مع أخلاق النبى ﷺ سنجد حسن الخلق لا يقتصر على مجرد البسمة الحانية والكلمة الطيبة فقط... كلا.

- بل سنجد أن حُسن الخلق يشتمل على:

حُسن الخلق مع الله... حُسن الخلق مع رسول الله ﷺ...

حُسن الخلق مع كتاب الله - جل وعلا -... حُسن الخلق مع الملائكة... حُسن الخلق مع الناس.

- فحُسن الخلق كلمة جامعة لكل ذلك.

* فأما حُسن الخلق مع الله فذلك بأن نحقق العبودية لله ولا نشرك به

---

(١) سورة القلم: الآية: (٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٧٣)، وأحمد (٨٧٢٩)، من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٣) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث النواس بن سمعان.

شيئًا وأن نمتثل للأمر والنهي وذلك بأنه إذا جاء الأمر من عند الله فليكن شعارنا: سمعنا وأطعنا... وإذا جاء النهي من عند الله فليكن شعارنا: سمعنا وانتهينا.

قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾[(١)].

* وأما حسن الخلق مع رسول الله ﷺ فذلك بأن نحبه ونتبعه ونمتثل أمره ﷺ ولا نُقدم بين يدى الله ورسوله ﷺ ولا نرفع أصواتنا فوق صوت النبي ﷺ.

* وأما حُسن الخلق مع كتاب الله - جل وعلا - فذلك بأن نقرأه بتدبره ونعمل بما فيه ونتحاكم إليه في كل صغيرة وكبيرة.

* وأما حُسن الخلق مع الملائكة فذلك بأن يعلم كل واحد منا بأن معه ملائكة لا تفارقه وتكتب عليه كل أقواله وأعماله فيتولد عنده الحياء من أن يفعل معصية يكتبها عليه الملك الموكل بذلك.. بل يحرص على فعل الحسنات التي تقربه من الله - جل وعلا -.

* وأما حُسن الخلق مع الناس فذلك بأن تكون طليق الوجه رحيمًا متسامحًا ليِّنًا في دعوتك مع البَر والفاجر ولكن من غير مداهنة فقد قال الله تعالى لموسى وهارون - عليهما السلام - حينما أمرهما بالذهاب إلى فرعون لدعوته إلى التوحيد: ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾[(٢)]... فأنت لست أفضل من موسى وهارون - عليهما السلام -... ومَن تدعوه ليس بأخبث من فرعون.

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).
(٢) سورة طه: الآية: (٤٤).

حبايبي الحلوين:

وبعد كل هذا الذي ذكرته. . . فمن أراد منكم أن يكون من الفائزين في الدنيا والآخرة فعليه أن يتحلى بأخلاق الرسول ﷺ فهو أسوتنا وقدوتنا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع أخلاق الرسول ﷺ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

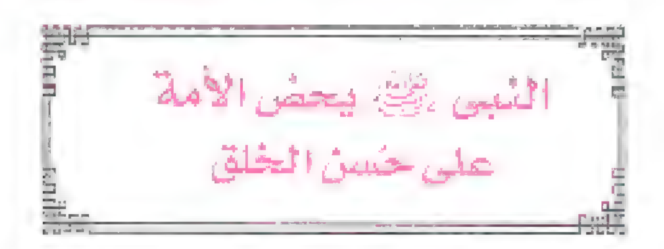
وكتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

عمرو / محمود المصري

أبو عمار

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).



النبى ﷺ يحض الأمة على حسن الخلق

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ صاحب الخُلق الرفيع يحض الأمة على أن تتحلى بحسن الخلق.

* عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن»[1].

وقال ﷺ: «أثقل شيء في الميزان: الخلقُ الحسن»[2].

وقال ﷺ: «أثقل شيء في ميزان المؤمن خُلق حسن، إن الله يُبغض الفاحش المتفحش البذي»[3].

وقال ﷺ: «أحبُّ عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقًا»[4].

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»[5].

وقال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل،

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٠٨٤٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٦٩٥٠)، من حديث أبي الدرداء، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٤).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (١٢/٥٠٦)، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠/١٩٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤١).

(٤) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك (٤/٤٤٣)، والطبراني في الكبير (٤/٤٤٣)، من حديث أسامة ابن شريك، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٩).

(٥) صحيح: رواه الترمذي (١١٦٢) كتاب الرضاع، وأحمد (٧٣٥٤)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٤).

صائم النهار»[١].

* وسُئل النبي ﷺ فقيل له: يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: «حسن الخلق»[٢].

* عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «إنه من أُعطي حظه من الرِّفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحُسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق». وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج»[٤].

* لئن كان أكثر شيء يدخل الجنة: تقوى الله وحُسن الخلق فإن هناك نعمة عظيمة في الجنة لا يفوز بها إلا صاحب الأخلاق الحسنة... فقد قال النبي ﷺ: «... أنا زعيم -أي ضامن- ببيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقه»[٥].

* بل هناك نعمة أعظم في الجنة لكل من كان يتحلى بأخلاق الرسول ﷺ وهي نعمة القرب من رسول الله ﷺ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وأحمد (٢٣٨٣٤)، من حديث عائشة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٩٥).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦) كتاب الطب، وأحمد (١٧٩٨٦)، من حديث أسامة بن شريك، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٤٧٣١)، من حديث عائشة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥١٩).

(٤) حسن: رواه الترمذي (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٤٧)، من حديث أبي هريرة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

(٥) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

قال ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون[١]، والمتشدقون[٢]، والمتفيهقون».

قالوا: يا رسول الله، ما المتفيهقون؟

قال: «المتكبرون»[٣].

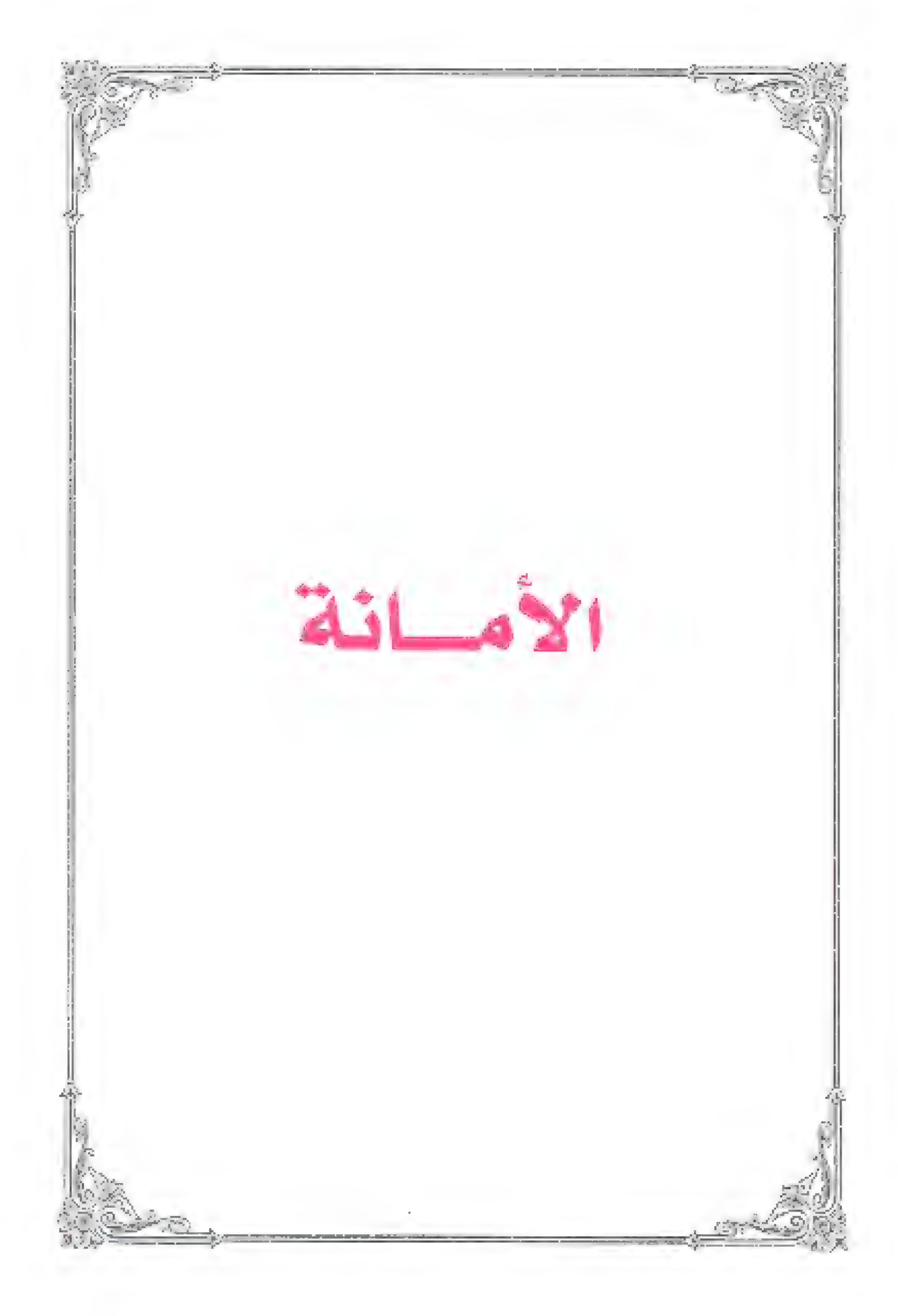
* وفوق كل ذلك فإن صاحب الخُلق الحسن يفوز بمحبة الله ورضوانه... وكفى بها نعمة.

* * *

(١) الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام تكلفًا.

(٢) التشدق: التكلم بملء الفم إظهارًا للفصاحة.

(٣) حسن: رواه الترمذي (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، من حديث جابر بن عبد الله، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٩١).



الأمـــانة



الأمانة

حبايبي الحلوين: ها هو أول خُلق من أخلاق النبي ﷺ يجب أن تتحلى به.. ألا وهو خُلق الأمانة.

وقد ذكرت الصدق والأمانة كأول خُلقين من أخلاق النبي ﷺ لأنه كان معروفًا قبل الإسلام بأنه الصادق الأمين.

* وما أجمل أن يكون المسلم صادقًا أمينًا.... فهو صادق مع الله (جل وعلا).. وصادق مع الناس من حوله.

وهو أمين فيما بينه وبين الله (جل وعلا).. وأمين مع كل الناس من حوله.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق الأمانة.

النبي ﷺ يعلمنا خُلق الأمانة

وها هو النبي ﷺ الذي تولى الله (عز وجل) تربيته وتأديبه فكان أكمل الناس وأفضل الناس خُلقًا وأدبًا حتى اشتهر بين أهل مكة قبل الإسلام بأنه الصادق الأمين.

وكان أهل مكة يعرفون أمانة النبي ﷺ ويثقون فيه كل الثقة. فكل من كان يملك شيئًا ثمينًا يخاف عليه كان يودعه أمانة عند رسول الله ﷺ فكان النبي ﷺ يحافظ على كل الأمانات التي عنده رغم أن أصحابها كانوا يكفرون بالله ويحاربون رسول الله ﷺ ومع ذلك كان النبي ﷺ يحافظ على تلك الأمانات ويردها لأصحابها كاملة إذا طلبوها.

وعندما اشتد أذى المشركين بالنبي ﷺ وأصحابه وأذن الله له بالهجرة

إلى المدينة.. كان عند رسول الله ﷺ أمانات لبعض المشركين الذين يريدون أن يقتلوه.

فما كان من النبي ﷺ إلا أن طلب من علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام مكانه ليلة الهجرة ليردَّ تلك الأمانات إلى أصحابها حتى لا يظن أحدٌ أن النبي ﷺ لم يحافظ على تلك الأمانات.

فقام عليٌّ رضي الله عنه بإعطاء تلك الأمانات لأصحابها كاملة فتعجب الناس من أن النبي ﷺ كان حريصًا على ردِّ تلك الأمانات إليهم رغم أنهم كانوا حريصين على قتله ﷺ.

* ولذلك كان النبي ﷺ يوصي المسلمين بأن يكونوا أُمناء في كل شيء.

وكان يرتقي بأرواحهم إلى جنة الرحمن - جل وعلا -.

قال ﷺ: «اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة - وكان من بينها - وأدُّوا إذا ائتُمنتم...»[1].

وكان النبي ﷺ يأمرنا بأداء الأمانة حتى لو كان الناس من حولنا غير أمناء فقال ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[2].

* وحذر النبي ﷺ من إضاعة الأمانة... وجعل خيانة الأمانة من علامات النفاق فقال ﷺ - كما في الصحيحين -: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[3].

- وقال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[4].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٥٣٥) كتاب البيوع، والترمذي (١٢٦٤) كتاب البيوع، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٤٢٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣) كتاب الإيمان، ومواضع، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أحمد (١١٩٧٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧١٧٩).

نبى الله موسى (عليه السلام) القوى الأمين

* بل وهذا نبى الله موسى - عليه السلام - الذى لما خرج هاربًا من فرعون ووصل إلى ماء مدين فوجد امرأتين فسقا لهما خوفًا عليهما من مزاحمة الرجال ثم تولى إلى الظل ليستريح ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [(١)].

قال ابن عباس وشُريح القاضى أنها لما قالت: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ قال لها أبوها وما علمك بذلك؟ قالت له إنه رفع الصخرة التى لا يطيق حملها إلا عشرة رجال وإنى لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لى كونى من ورائى فإذا اختلف علىَّ الطريق فاحذفى لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدى إليه.

أمانة نادرة

لما جلس سعد بن أبى وقاص ﷺ فى إيوان كسرى بعد الانتصار الساحق لجيوش المسلمين فى معركة القادسية، أمر بجمع الغنائم وحصرها، ليقسم على المجاهدين نصيبهم، ويرسل الباقى إلى بيت مال المسلمين، وبينما عماله يفعلون ذلك، إذا برجل عليه أثر المعركة يدخل عليهم حاملاً صندوقًا كبيرًا ثقيلاً، مملوءً بالجواهر والدرر والكنوز النفيسة، فوضعه بين يدى العمال، وهمَّ بالانصراف.

فقالوا له فى دهشة عجيبة: أين وجدت هذا الكنز الثمين؟

---

(١) سورة القصص، الآيات: (٢٥-٢٦).

فقال: غنمته في المعركة في مكان كذا.. فقالوا: وهل أخذت منه شيئًا؟

فقال: هداكم الله.. والله إن هذا بما فيه، وجميع ما ملكته ملوك فارس، لا يساوي عندي قلامة ظفر، ولولا الله، ما رفعته من أرضه، ولا أتيتكم به.

فقالوا: من أنت أكرمك الله؟

فقال: لا والله، لا أخبركم لتحمدوني، ولكني أحمد الله، وأرجو ثوابه، ثم تركهم ومضى، فأمروا رجلاً منهم أن يتبعه ليتعرف عليه، فلم يعرفه، فسأل عنه، فقالوا: هو زاهد البصرة «عامر بن عبد الله التميمي» رحمه الله.

فرحم الله هذا التابعي الجليل، ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

جزاء الأمانة

يُحكى أن أحد الأمراء خرج في يوم من الأيام من قصره ليطمئن على أحوال رعيته، فظل يسير ساعات طوال حتى اشتد به التعب فجلس يستريح تحت ظل شجرة، وبينما هو كذلك إذا بغلام قوي الجسم يسوق أغنامًا كثيرة أمامه.

فلما رآه الأمير استوقفه، وقال له: يا غلام، إن أغنامك سمينة ونظيفة، وأريدك أن تبيعني واحدة منها، فقال له الغلام: إن الغنم ليست ملكي، ولو كانت ملكًا لي لأهديتك منها ما تريد، فقال له الأمير: إن سيدك لا يرانا الآن فأعطني طلبي ولا تخف، فقال له الغلام: وماذا أقول لسيدي عندما أعود إليه؟!

فقال الأمير: قل له إن الذئب خطف واحدة وهرب.

غضب الراعي الأمين من قول الأمير، وقال له: وإذا صدقني صاحب الغنم فماذا أقول لربي الذي يسمعنا ويرانا؟! اتركني أيها الرجل لأرعى غنمي في سلام، وساق الغُلامُ أغنامه أمامه في عِزَّةٍ وإباء، فأُعجب به الأمير، وقرر أن يسير خلفهُ، فلما وصلا إلى صاحب الغنم تقدم الأمير نحوه، وقال له: يا صاحب الغنم أريد أن أشتري منك هذا الغلام الأمين، وكل ما عندك من أغنام، فقال له صاحب الغنم: طلبك لا يُرد يا أمير البلاد، ثم نظر الأمير إلى الغلام، وقال له: يا بني أنت حر لوجه الله، وهذه الأغنام هدية لك نظير أمانتك وإخلاصك[1].

وهذه قصة أخرى

كان ياما كان... كان هناك رجل فقير يعيش مع زوجته وأولاده في مكة المكرمة... وكانت زوجته صائمة قائمة خاشعة لله (جل وعلا).

وفي يوم من الأيام اشتد الجوع بالزوج وزوجته فقالت له: اخرج والتمس لنا طعامًا حتى لا نموت من الجوع.

فخرج الزوج يبحث عن صديق يقترض منه مالاً فلم يجد... فدخل بيت الله الحرام وأمسك بأستار الكعبة وأخذ يدعو ويقول: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك.

وبينما هو خارج من الحرم إذ وجد كيسًا مغلقًا ففتحه فوجد به ألف دينار ففرح به وأخذه إلى زوجته ليسألها ماذا تريد من ألوان الطعام.

فقالت له الزوجة: ارجع إلى الحرم واسأل عن صاحب الكيس فإن هذا لا يحل لنا أن نأخذه.

فعاد الرجل إلى الحرم فسمع رجلاً ينادي: من وجد كيسًا صفته كذا وكذا؟!

---

(١) الأمانة د/ سلامة محمد سلامة (ص ١١).

فقال له الرجل الفقير: أنا وجدت الكيس لكن أخبرني عن المال الذي بداخله.

فقال له: إنها ألف دينار.

فقال الرجل الفقير: نعم إنها ألف دينار فخذ الكيس بارك الله فيك.

فقال له الرجل: بل هو هو لك هدية وخذ فوقه تسعة آلاف دينار أخرى ليكون معك عشرة آلاف دينار.

فتعجب الرجل الفقير وقال: أتسخر مني أم تتكلم بصدق؟

قال الرجل: والله أنا لا أسخر منك ولكنني أعمل عند رجل غني فأراد أن يتصدق بهذا المال ولكنه يريد أن يطمئن أن المال قد وصل لمن يستحق...
فقال لي: ضع ألف دينار في كيس واتركه في الحرم ثم نادِ بعد ذلك فإذا جاءك الذي أخذ الكيس وأعطاه لك فأعطه باقي الدنانير لأنه رجل أمين... والأمين يأكل ويتصدق على الناس فيكون بذلك قد وصل المال لمن يستحق.

فأخذ الرجل الفقير المال كله وأحضر الطعام لزوجته وأولاده واحتفظ لأسرته بجزء من المال وتصدق بباقي المال على إخوانه الفقراء من حوله.

قصة الملك والتاجر الأمين

كان ياما كان كان هناك تاجر أمين بمكة وكان يخرج كثيراً للتجارة بماله وبمال غيره؛ لأنه كان صادقًا أمينًا.

وفي مرة من المرات خرج بمال كثير.

فلقيه لص مُقَنَّع معه سلاح.

فقال له اللص: ضع ما معك فإني قاتلك.

قال: خذ المال ولا داعي لأن تقتلني.

قال: أما المال فلي ولست أريد إلا دمك.

قال: أما إذا أبيت فدعني أصلي أربع ركعات.

قال اللص: ما شئت.

فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذي لا يُرام، وبملكك الذي لا يُضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني ثلاث مرات.

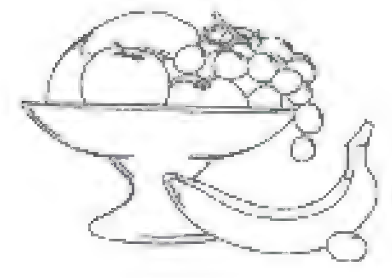
فإذا هو بفارس أقبل وبيده حربة قد وضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله، ثم أقبل هذا الفارس إلى التاجر الورع الناسك، وقال له: قم، فقال التاجر: من أنت بأبي وأمي فقد أغاثني الله بك اليوم؟

فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لي: دعاء مكروب فسألت الله أن يوليني قتله.

قصة زواج المبارك

كان يا ما كان... كان هناك شاب صالح تقي اسمه المبارك وكان عبدًا رقيقًا... وكان سيده يمتلك بستانًا جميلاً.

فقال له سيده: يا مبارك... أريدك أن تبقى في البستان لترعاه وتحافظ عليه.



فذهب المبارك وبقي في البستان أربعة أشهر.

وذهب سيده في زيارة إلى البستان ومعه

جماعة من أصدقائه.

فقال للمبارك: أحضر لنا بعض التفاح والرمان والعنب.

فذهب المبارك وأحضر لهم بعض التفاح والرمان والعنب الذى لم ينضج بعد.

فتعجب سيده وقال له: يا مبارك ألا تعلم الفاكهة الحلوة من غيرها.

فقال المبارك: والله يا سيدى أنا لم آكل من البستان أى شيء منذ أن أرسلتنى... فلا أعلم الحلو من غيره.

فتعجب سيده وظن أنه يخدعه... فذهب إلى الجيران وسألهم عن ذلك فقالوا له: والله ما رأيناه يأكل ثمرة واحدة من البستان.

فعلم الرجل أن المبارك رجل صالح تقى أمين... فنادى عليه وقال له: يا مبارك أريد أن أستشيرك فى أمرٍ خطير.

قال له المبارك: ما هو يا سيدى.

قال له سيده: أنت تعلم أنى أمتلك ثروة كبيرة وعندى ابنة واحدة وقد تقدم لخطبتها فلان وفلان... - من الأثرياء- فيا تُرى لمن أُزوجها؟

قال المبارك: يا سيدى... إن اليهود يُزوجون للمال والنصارى يزوجون للجمال والعرب للحسب والنسب وكان النبى ﷺ وأصحابه يزوجون للدين والتقوى فمن أى الأصناف أنت فزوّج ابنتك من الصنف الذى تحبه.

فقال له سيده: أنا مع النبى ﷺ وأصحابه وسأزوج ابنتى من رجلٍ تقى... وتالله لم أجد أتقى لله منك فقد أعتقتك لوجه الله وزوجتك ابنتى.

- وتزوجها المبارك وأنجبت له ولداً سماه عبد الله وهو الذى أصبح بعد ذلك شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك.

* * *

صور الأمانة

* إن الأمانة التى أمرنا الله - تعالى - أن نحافظ عليها، ونؤديها لأصحابها لا تكون بحفظ أموال الناس فحسب، وإنما تكون فى أشياء أخرى كثيرة:

* فإن أعطاك أحد أى شيء حتى ولو كان رخيصًا، وقال لك احفظه لى وديعةً عندك حتى أطلبه منك فهو أمانةٌ.

* وحفظ أسرار الآخرين أمانةٌ.

* ونقل رسالة كلَّفك بها إنسانٌ كاملةً دون زيادةٍ أو نُقصان أمانةٌ.

* وأن تشهد فى موقفٍ ما بما رأيته بالضبط من غير تغيير أمانةٌ.

* والوقت أمانةٌ فلا نقضيه إلا فى كل ما هو مفيدٌ، ولا نُضيِّعه فيما يُغضب الله.

* وأداء العبادات التى كلَّفنا الله بها كالصوم والصلاة هى أهم أمانة، فالصلاة عندما نؤديها فى وقتها، ونتم ركوعها وسجودها باهتمام وخشوع دون تقصير أو إهمال نكون بذلك قد أدينا الأمانة.

* وعدم الغش فى البيع أو الشراء أمانة، والتاجر الأمين هو من ينصح المشترى، ولا يبيعه سلعة قبل أن يوضِّح له كل ما فيها، ولا يحاول أن يُخفى عيوبها، ويبتعد عن الغشُ بكلُ أنواعه.

قال رسول الله ﷺ: «... من غشنا فليس منا»[1].

* والمحافظة على المواعيد أمانةٌ، فإذا أعطيت زميلاً لك موعدًا باللقاء فعليك أن تذهب إليه فى الموعد المحدد بالضبط، ولا تتأخَّر أو تتخلَّف عن الموعد.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١) كتاب الإيمان.

* وطلب العلم أمانةٌ، وإفادة الناس بما تعلَّمناه أمانةٌ.

* وجسم الإنسان أمانةٌ علينا أن نحافظ عليه، ولا نستخدمه إلا فى الخير وكل ما هو مفيد.

* وتأدية العمل بإتقان ودون إهمال أمانةٌ؛ فالتلميذ أمينٌ على دروسه وواجباته المدرسية، ولا يغشُّ فى الامتحان ولا يُغشِّش غيره، والمُعلِّم أمينٌ على العلم والمتعلِّمين، والموظَّف أمينٌ على وظيفته وعليه مساعدة كل الناس دون إبطاء أو تقصير، والجندىُّ أمينٌ على وطنه يحافظ عليه من الأعداء، والأمُّ أمينةٌ على بيتها وتربية أولادها.

وكل ما يُكلَّفُ به الإنسان من عمل مفيدٍ له وللناس أمانةٌ عليه أن يُؤدِّيها(١).

فضل الأمانة

والأمانة لها فضائل كثيرة جداً... منها:

(١) أن الإنسان الأمين يحبه الله (جل وعلا) ويرضى عنه ويحبه الناس جميعاً.

(٢) أن الإنسان الأمين يكون موضع ثقة الناس من حوله فيتعاملون معه ويثقون فيه.. أما الإنسان غير الأمين فإن الناس لا يثقون فيه ولا يتعاملون معه.

(٣) أن انتشار الأمانة فى المجتمع يجعل الناس يثقون فيمن حولهم... وبذلك ينتشر الحب والأخوة والتعاون بين أفراد المجتمع.

(٤) الأمانة سبب فى تفريج الهموم.

ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم فى قصة الثلاثة الذين دخلوا

---

(١) الأمانة (ص: ٤-٥) - مكتبة سفير.

الغار وأغلقت الصخرة عليهم الغار فقام كل واحد من الثلاثة يتوجه إلى الله بصالح الأعمال ليفرج عنهم الصخرة.

فالرجل الأول تقرب ببره بوالديه.. والرجل الثانى تقرب بخشيته لله - جل وعلا-.. والرجل الثالث تقرب بأمانته.. فقال الرجل الثالث: «اللهم إنى استأجرت أُجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إلىَّ أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بى، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

(٥) الأمانة تجعل صاحبها من أهل الفردوس الأعلى فلقد أعدَّ الله للمسلم الأمين منزلة عظيمة فى الجنة وهى الفردوس الأعلى فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2]

احذر من السرقة والخيانة

ابنى الحبيب: وعليك أن تحذر من السرقة والخيانة.

فإذا ترك زميلك فى الفصل أدواته أو أمواله أو أى شيء من أغراضه فاحذر أن تأخذ منها أى شيء إلا بإذنه.

وإذا ترك والدك أمواله على مكتبه فاحذر أن تأخذ منها أى شيء إلا بإذنه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٢٧٢) كتاب الإجارة، ومسلم (٢٧٤٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات: (٨-١١).

وهكذا... لا تأخذ أى شىء من ممتلكات الناس من حولك إلا بعد الاستئذان... وذلك لأن السرقة من الأخلاق السيئة التى نهانا عنها النبى ﷺ.

كما أن من أخذ أموال الناس ولم يردها إليهم فإنهم يأخذون يوم القيامة من حسناته.

قال النبى ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار. قال: «إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار»[1].

قصة عجيبة

فى يوم من الأيام دخل طفل صغير، لم يتعدَّ السادسة من عمره أحد المتاجر الكبيرة، ولم تلحظه كاميرات المراقبة لصغره وقصر قامته، وتوجَّه الطفل مباشرة نحو موظف الخزينة، ورفع مسدسًا كبيرًا فى وجهه، ففتح صاحب المتجر الخزينة وأخرج ما بها من مال وكان مبلغًا كبيرًا، فطلب منه الطفل أن يضعه فى كيس، فوضعه صاحب المتجر فى كيس، ثم قدَّمه للطفل الذى خطفه وخرج مسرعًا إلى الشارع، ثم ركب دراجته وانطلق بها بعيدًا، وتمكن رجال الشرطة من الوصول إلى منزل الطفل وسألوا عنه، وقد وقف أبواه يستمعان فى ذهول إلى ما فعله ابنهما الذى دخل عليهما وهو يمسك فى يده «آيس كريم» ويلوك فى فمه لبانة،... توجَّه إلى أقرب كرسى وجلس عليه دون أدنى مبالاة، وعندما سألوه عن أداة الجريمة -

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

المسدس الذى استخدمه فى السرقة - كانت المفاجأة التى أذهلت الجميع وأضحكتهم فى نفس الوقت، إنه مسدس مائي، كان يلعب به الصبى مقلداً أحد الأفلام السينمائية التى شاهدها، وكانت المفاجأة الثانية أنهم حينما سألوه عن النقود التى سرقها أجابهم بأنه أنفقها جميعها فى شراء الحلوى والآيس كريم واللعب. ترى ما السبب فى تلك الحادثة؟ إنه تقليد ذلك الطفل البرىء لأحد أبطال ذلك الفيلم السينمائى، فَلْنَرَ إلى أى مدى كان تأثير تلك الأفلام على أطفالنا؟[1].

* * *

(١) سلسلة الأخلاق للأطفال/ أ. حامد أحمد (ص: ٢٠٢-٢٠٣).





الصدق

الصدق

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق من أعظم أخلاق الرسول ﷺ يجب أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق الصدق.

* وما أجمل أن يكون المؤمن صادقًا... فالمؤمن لا يكذب ولماذا يكذب وهو يعلم أن الله يعاقب الكذابين في الدنيا ويعذبهم في الآخرة.

* وكيف لا يكون صادقًا وهو يعلم أن الصادق حبيب الرحمن وأن الله يحبه ويرضى عنه ويدخله جنته.

* وكيف لا يكون صادقًا وهو يعلم أن أسوته وقدوته هو الحبيب محمد ﷺ الذي كان الناس يسمونه بالصادق الأمين.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع الصدق والصادقين.

الصدق في الكتاب والسنة

إن الله - عز وجل- يحض عباده المؤمنين على أن يكونوا مع الصادقين.

قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ والصادقين والصادقات ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم ﴾[٣].

* بل ويوضح الحق - جل وعلا- أن الصدق ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾[٤]

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٩)

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٥).

(٣) سورة محمد: الآية: (٢١).

(٤) سورة المائدة: الآية: (١١٩).

* ومن ثم فإنه -سبحانه وتعالى- يحذرنا من الكذب فإن الكذب يشين صاحبه في الدنيا والآخرة... قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1].

- والآيات التي تحض على الصدق وتحذر من الكذب كثيرة كثيرة.

* أما عن الأحاديث التي تحض على الصدق وتحذر من الكذب فهي أيضًا كثيرة وسأكتفي بذكر بعضها.

* عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»[2].

وقال ﷺ: «أربعٌ إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعم»[3].

* بل ويرتقي النبي ﷺ بأمته إلى الجنة فيقول ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»[4].

وقال ﷺ: «اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»[5].

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٨) صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٧٨١٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٧٨).

قوله: «يريبك» هو بفتح الياء وضمها، ومعناه: اترك ما تشك في حِلِّه، واعدل إلى ما لا تشك فيه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦٦١٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٣٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

وقال ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسُن خلقه»[1].

مظاهر الصدق

وللصدق مظاهر يتجلى فيها منها:

(١) في صدق الحديث:

فالمسلم إذا حدّث لا يحدّث بغير الحق والصدق، وإذا أخبر فلا يُخبر بغير ما هو واقع في نفس الأمر، إذا أن كذب الحديث من النفاق وآياته «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[2].

(٢) صدق العزم:

فالمسلم إذا عزم على فعل ما ينبغي فعله لا يتردد في ذلك بل يمضي في عمله غير ملتفت إلى شيء أو مبالٍ بآخر حتى ينجز عمله.

(٣) صدق المعاملة:

فالمسلم إذا عامل أحدًا صدقه في معاملته، فلا يغش ولا يخدع ولا يزور ولا يغرر بحال من الأحوال.

(٤) صدق الوعد:

فالمسلم إذا وعد أحدًا أنجز له ما وعده به، إذ أن خلف الوعد من آيات النفاق.

(٥) صدق الحال:

فالمسلم لا يظهر في غير مظهره ولا يُظهر خلاف ما يبطنه.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٤٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

مظاهر الصدق في حياة النبي ﷺ

لقد كان النبي ﷺ أصدق الناس جميعًا في أحواله وأقواله وأفعاله.

- فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع بعض الصور المضيئة من الصدق في حياة النبي ﷺ.

* فقد شهدت قريش له بأنه الصادق الأمين.. والفضل ما شهدت به الأعداء.

* وهذا هو أبو سفيان بن حرب، وكان من ألد أعداء النبي ﷺ، قبل إسلامه يوم الفتح، ومع هذا شهد بصدقه عندما أرسل إليه هرقل، وذهب إليه، ودعاه هو ومن معه إلى مجلسه، كان حوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبًا، فقال: ادنوه، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لتُرجمانه: قل لهم: إني سائله عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه،... فوا الله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عليه.

- وكان من بين الأسئلة التي سألها لأبي سفيان:

قال: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده لا شريك له، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة!

* بل لقد روى أن رجلاً من سادات قريش لقي أبا جهل في أحد طرقات مكة فاستوقفه ثم قال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك... أنشدك بالله هل محمد صادق أم كاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صراحة، فقال: والله إن محمدًا صادق وما كذب قط.

* بل ها هى خديجة ﷺ عندما نزل الوحى لأول مرة على النبى ﷺ وجاء إليها ترتعد فرائصه وهو يقول: «زمِّلونى زمِّلونى»... وإذا بها لم تجد ما تُهدئ به روعه إلا أن قالت له: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتَصْدُق الحديث، وتحمل الكَلّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»(١).

الصدق منجاة

وها نحن نلتقى فى هذه اللحظة مع نجمٍ كبير فى عالم الأخلاق أتدرون من هو؟.. إنه النجم الكبير (الصدق).

* وها هو المذيع المتألق (بهاء الدين) يُجرى هذا الحوار مع (الصدق).

تتشرف جنة الأسرة في مهرجان الجمال أن تشارك في هذا الحفل الكبير الذى يضم عددًا كبيرًا جدًا من نجوم الجمال...

ومن بين هؤلاء النجوم تجرى جنة الأسرة هذا الحوار مع النجم المتألق (الصدق).

معكم المتألق المذيع بهاء الدين على الهواء مباشرة...

المذيع بهاء الدين: مرحبًا بضيفنا الغالى النجم الكبير (الصدق).

الصدق: مرحبًا بكم كم أسعد برؤيا أحبابى الصادقين فى كل مكان.

المذيع بهاء الدين: نريد أن نسأل نجمنا المتألق عن العمل الذى قدمه فى هذا المهرجان المنعقد سنويًا ليفوز بهذا اللقب «نجم الجمال»؟

الصدق: إن الجمال بهاء وحسن تسعد به النفوس وتقر به العيون، والجمال نوعان:

(١) جمال الفعل.

(٢) جمال الخَلق.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٥٤) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

ولكن جمال الفعل يدوم ويستمر وجمال الخَلق إذا ألفته العيون ملَّت منه القلوب فنحن جمال الأفعال لا تمل منا النفوس ولا تنفر منا القلوب..

من تحلى بنا كان جميلاً وتعلقت به القلوب ولو كان دميم الخلقة.

ومن أعرض عنا كان قبيحًا ولو كان جميل الخلقة.

لا سعادة ولا ارتياح في النفوس بدوننا ولا سلام ولا أمن في المجتمع في غيابنا.

* * *

ومن جمالي أنني والنجاة أخوان لا نفترق أبدًا.

وقد تقدمت للجنة المهرجان بإثبات ذلك حتى قبلت مني عملي وأعطتني لقب «نجم الجمال».

فقد نشأ أحد علماء السلف الصالح على الصدق حينما خرج من مكة إلى بغداد لطلب العلم أعطته أمه أربعين دينارًا يستعين بها على نفقته وعاهدته على الصدق.

فلما وصل إلى أرض همدان خرج عليه جماعة من اللصوص وأخذوا القافلة، فمرَّ واحد من اللصوص وقال له: ما معك؟ فقال: أربعون دينارًا.

فظن أنه يهزأ به فتركه فرآه آخر فقال له: ما معك؟؟

فأخبره بما معه فأخذه إلى كبيرهم فسأله فأخبره فقال له: ما حملك على الصدق؟ فقال: عاهدتني أمي على الصدق فأخاف أن أخون عهدها!!

فأخذت الخشية رئيس اللصوص فصاح ومزق ثيابه وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟

ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك.

فقال من معه: كنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة...

فتابوا جميعًا ببركة الصدق.

المذيع بهاء الدين: نجمنا المتألق حقًا إنك جميل وجميل كل من تحلَّى بك.... فهل تقدم وصية لأصدقاء جنة الأسرة ليفوزوا بهذا الجمال؟

الصدق: أهدى لهم وصية رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي للجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا... وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»[1]..

فإياكم أيها الأطفال الصغار...

من العدو القبيح (الكذب) فإنه والهلاك أخوان لا يفترقان[2].

وكونوا مع الصادقين

دفع حب الاستطلاع عبد الرحمن لأن يعبث في أوراق أبيه الموضوعة على المكتب، وفي أثناء ذلك بطشت يداه بكوب الشاي الموضوع على المكتب فانسكب على الأوراق وقد لوثها كلها ولم يترك منها ورقة واحدة..... يا إلهي.

ارتعد قلب عبد الرحمن خوفًا من بطش أبيه وعقابه له إذا اكتشف خطأه وابتعد عن المكتب سريعًا واختفى في حجرته ينتظر ماذا سيحدث له؟

ورجع الأب من صلاة العصر بعد قليل ودخل حجرة مكتبه ليستكمل عمله، وهنا وجد المفاجأة... وجد أوراقه قد تناثرت هنا وهنالك وتلوثت كلها بالشاي المسكوب ولم تنجُ ورقة واحدة من هذا الفساد، وكم كانت أوراقًا مهمة لا يمكن تعويضها إلا بصعوبة... فأدرك الأب في الحال أن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب واللفظ له.

(٢) الصدق/ د. إبراهيم الشربيني (ص: ١٤-١٧).

هذا حدث بفعل فـاعل. . . . . وحين هَمَّ أن يخرج من مكتبه ليبحث عن من فعل ذلـك ليعاقبه أشـد العقـاب جاءه نداء الرحمن وآيـات القرآن بردًا وسلامًا على قلبه المشتعل غيظًا وحنقًا. . . .

قال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[(١)].

فقال الأب مطمئنًا بذكر الله: «بلى يا ربى أحب أن تغفر لى».

فخـرج من المكتب فى هدوء ثم توضأ ثم جمع أولاده وقَصَّ عليـهم ما حدث له. . . . ثم هَـمَّ أن يسألهم: . . . . فانـدفع عبد الرحـمن فى بكاء شديد وقال: سامـحنى يا والدى أنا الذى أطعت الشيطان وفعلت هذا. . . . عاقـبنى يا أبى أنا أستـحق العقـاب فأشـفق الأب على ولده من هذا البكاء الشديد فقال: لا تخف يا عبد الرحمن لن أعاقبك ثم ضمَّه إلى صدره حتى هدأ وانقطع عن البكاء. . . . ثم قـال له الأب: لن أعـاقبك يا ولدى فلقـد وعدت الله بذلك ولكن أخبرنى لِمَ فعلت ذلك؟

عبد الرحمن: يا أبى كنت أذاكر فأصابنى الملل فوسوس لى الشيطان أن أدخل مكتـبك فى غيابك أشـاهد الأوراق والكتب الموضوعـة على المكتب، فطاشت يدى بكوب الشاى فـانسكب على الأوراق وأتلفها كلهـا، فارتعدت خوفًا وأيقنت بعقابى، ففررت من المكتب وانعزلت فى حجرتى حتى أنى لم أكلم أحدًا، وتعجب الجميع من ذلك. . . ثم جاءنى الشيطان مرة ثانية وقال لى إذا سأل أبوك من الذى فعل هذا فـلا تخبره الصدق فإنه سيـعاقبك، بل اكذب عليـه فإن الكذب سـينجيك. . . . وأخـذ الصراع بداخلى يشـتد بين خوفى من عقابك وخوفى من عـقاب الله إذا كذبت ولكن تذكرت قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[(٢)].

---

(١) سورة النور: الآية: (٢٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١١٩).

فعزمت على أن أصدقك يا أبي ثم دعوت الله: «اللهم إنك أمرتنا بالصدق وأنت لا تأمرنا إلا بما فيه الصلاح والخير لنا وقد صدقت يا ربي فنجني من عقاب أبي». . . .

الأب تهلل مسرورًا وقبّل ولده فرحًا ثم قال: صِدْقُك يا ولدي وإيثارك مرضاة ربك وطاعته خير عندي يا ولدي من كل الأوراق التي فسدت بل أعدك بهدية طيبة جزاء لك على صدقك.

إنها الحلوى التي تحبها ولكن تعدني ألا تعبث في ممتلكات غيرك مرة أخرى.

عبد الرحمن: أعدك يا أبي أعدك. . . . هيا يا أبي تذهب لشراء الحلوى.

فنظر إليه الأب متعجبًا.

ولكن لم يستطع أن يكتم ضحكه وضحك الجميع معه[1].

خطورة الكذب

كان ياما كان.

كان هناك شاب طيب متدين اسمه طارق وكان يعيش مع والدته التي يحبها من أعماق قلبه فهذا ابنها الوحيد وحبيبها الغالي فقد مات والده وهو طفل صغير وبقيت الأم مع طفلها الصغير طارق وظلت تربيه على الأخلاق الحميدة وعلى حب الدين حتى شبَّ وأصبح شابًا متدينًا ومتفوقًا في آنٍ واحد.

وتمر الأيام ويكبر طارق ويدخل كلية الطب ليصبح طبيبًا ناجحًا. . ويتخرج من كلية الطب بل ويحصل على درجة الماجستير ثم أراد أن يسافر إلى أوربا ليحصل على درجة الدكتوراه فكانت أصعب لحظة في حياة الأم

---

(1) الصدق (ص5-7).

وابنها الوحيد الذي لم يفارقها أبدًا.. وها هو الآن يحمل حقيبة سفره ليفارق أمه لأول مرة في حياته.

ها هي الأم تبكي وهي تودع ابنها وتقول له: لا تنسَ أمك يا طارق...

وهو يبكي ويقول لها: لا أستطيع أن أنسى أمي حبيبتي أبدًا.

* وسافر طارق.. والأم جالسة في بيتها وحيدة تبكي ودموعها لا تجف لفراق ابنها الوحيد.

وظلت الأم تعد الأيام والليالي حتى يعود إليها ابنها الوحيد.

وفجأة جاءها تليفون من ابنها طارق يبشرها بأنه قد حصل على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف وأنه سيعود إليها يوم الخميس بعد الظهر.

بكت الأم من الفرحة وأخذت تُهيئ نفسها لاستقبال ابنها الوحيد الذي غاب عنها كثيرًا.

وبينما هي تنتظر ابنها الوحيد وتتخيل كيف تستقبل ابنها طارق وإذا بها تسمع جرس الهاتف.

نهضت الأم من على الأريكة وأسرعت لترفع سماعة التليفون وهي تعتقد أن الذي سيكلمها هو ابنها طارق ليخبرها بأنه قد وصل مطار القاهرة ولكن كانت المفاجأة أنها لما رفعت السماعة سمعت من يقول لها: أنت أم طارق؟

قالت: نعم.. أنا أمه.. ماذا حدث؟

قال: البقاء لله.. لقد مات ابنك الآن في حادث سيارة وهو في طريق العودة من المطار.

أُصيبت الأم بالذهول وسقطت على الأرض مغشيًا عليها.

وفي تلك الأثناء كان أخوها قد جاء ليسلم على ابنها طارق فطرق على الباب فوجده مفتوحًا.. فدخل وإذا به يرى أخته مغشيًا عليها فأخذها

وطلب لها سيارة الإسعاف.. وما إن وصلت إلى المستشفى حتى أخذوها إلى غرفة الإنعاش لينقذوا حياتها.

* وفي تلك الأثناء كان طارق ابنها قد وصل إلى مطار القاهرة وركب سيارة أجرة ليصل إلى المنزل فلم يجد أمه فيسأل الجيران فيخبروه أن رجلاً قد اتصل بأمه وكذب عليها وأخبرها بأنك قد مُت في حادث سيارة فأخذها خالك إلى المستشفى وهي الآن في غرفة الإنعاش.

فما كان من طارق إلا أن أخذ سيارته التي كانت أسفل العمارة وانطلق إلى المستشفى بسرعة جنونية فتنقلب به السيارة فيموت.

وتعلم جارتهم الخبر فتذهب لتخبر أم طارق بأن ابنها طارق لم يكن قد مات وأن الرجل الذي اتصل عليها كان يكذب عليها وأن طارق قد عاد إلى المنزل ولما علم الخبر أخذ سيارته ليأتي إليها فانقلبت به السيارة فمات.

فصعقت الأم من هول الصدمة وأُصيبت بسكتة قلبية وماتت في التو واللحظة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا تكذب

كان يا ما كان... في سالف العصر والأوان... كان هناك رجل يرتكب الكثير من الذنوب والمعاصي.

فلقد كان يشرب الخمر ويلعب الميسر (القمار) ويعق والديه ويكذب ويفعل أشياء أخرى كثيرة تُغضب الله (جل وعلا).

- وفي يوم من الأيام قرر هذا الرجل أن يتوب إلى الله وأن يترك المعاصي كلها وأن يعمل صالحًا ليرضى الله عنه ويُدخله الجنة التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- أخذ هذا الرجل يحاول أن يترك المعاصي لكنه كان يعود إليها مرة

أخرى . . . وفي كل مرة يعود فيها إلى المعاصي كان يشعر بالحزن الشديد . . . وفجأة قرر أن يذهب لعالم من العلماء الأفاضل ليسأله : كيف يتخلص من هذه الذنوب والمعاصي .

- ذهب الرجل إلى عالم جليل وقال له: أيها الشيخ الفاضل! . . . أنا أفعل الكثير من المعاصي وأريد أن أتوب ولكن لا أستطيع فماذا أصنع؟ قال له العالم: إذا أردت أن تتوب توبة صادقة ولا ترجع مرة أخرى إلى المعاصي فسوف أخبرك عن الطريقة ولكن بشرطٍ واحد.

- قال له الرجل: ما هو الشرط؟

- قال له العالم: الشرط هو أن تكون صادقًا ولا تكذب أبدًا.

- قال له الرجل: أعاهدك على أن أكون صادقًا ولا أكذب أبدًا.

- ونصحه العالم مجموعة من النصائح الغالية وانصرف الرجل بعد أن عاهد الشيخ على أن يترك الكذب.

- وبعد فترة أراد الرجل أن يسرق جاره . . . وبعد أن عزم على ذلك تذكَّر أن السرقة حرام وأنه عاهد الشيخ على ألا يكذب . . . وأن الشيخ سوف يسأله : هل سرقت أم لا؟ . . . فماذا سيقول له؟ فعاد ولم يسرق.

- ولما أراد أن يشرب الخمر تذكَّر أن الله حرم الخمر . . . وأنه عاهد الشيخ على ألا يكذب . . . وأن الشيخ سوف يسأله : هل شربت الخمر أم لا؟ فماذا سيقول له؟ . . . فترك الخمر.

- وهكذا كلما فكر أن يفعل أي ذنب تذكر أن الله حرم ذلك . . . وأنه قد عاهد الشيخ على ألا يكذب . . . فكان ذلك سببًا في أن يترك المعاصي.

* * *

عاقبة الكذب

كان يا ما كان... كان هناك طفل اسمه تامر وكان يعيش مع أسرته في بيت جميل على شاطئ البحر.

وكان تامر يكذب دائمًا على والديه وإخوته وأصدقائه وكانت أمه تقول له دائمًا: لا تكذب يا تامر فالكذب حرام.

وإن الله سيعاقبك على هذا الكذب... لكن تامر لا يستمع لكلام أمه... واستمر في الكذب.

وفي يوم من الأيام أراد تامر أن يذهب ليعوم في البحر... فذهب إلى أمه ليستأذن منها فأذنت له بشرط أن يعوم قريبًا من الشاطئ وذهب تامر إلى البحر... ولما أراد أن يعوم في البحر جاءته فكرة يستطيع من خلالها أن يكذب على الناس من حوله بل ويسخر منهم.

نزل تامر الماء وبعد فترة يسيرة بدأ يصرخ بصوت عالٍ ويقول: أنقذوني.. أنقذوني... إني أغرق... إني أغرق.

فأسرع الناس إليه لينقذوه من الغرق... فلما وصلوا إليه أخذ يضحك ويستهزئ بهم ويقول لهم: ضحكت عليكم.

فأحس الناس بالضيق منه وذهبوا وهم يقولون: يا له من ولدٍ كذاب.

أما تامر فظل يضحك لأنه استطاع أن يخدع هؤلاء الناس وفي اليوم التالي قرر تامر أن يفعل ذلك مرة أخرى فذهب إلى البحر ليعوم وبعد وقتٍ يسير أخذ يصرخ ويقول: أنقذوني أنقذوني... إني أغرق... إني أغرق.

فأسرع الناس إليه لينقذوه من الغرق... فلما وصلوا إليه أخذ يضحك ويستهزئ بهم مرة أخرى ويقول لهم: ضحكت عليكم.

أخذ تامر يكرر هذا الأمر أكثر من مرة حتى اشتهر بين الناس بأنه ولدٌ كذاب.

وذات مرة أراد أن يفعل هذه الحيلة... فنزل البحر وبدأ يعوم... وفجأة ارتفعت الأمواج وأحس تامر بأنه سيغرق ودخل الماء في أنفه وفمه فبدأ يصرخ ويقول: أنقذوني... أنقذوني... إني أغرق... إني أغرق... فظن الناس أنه يمزح كالعادة فلم يتحرك واحد منهم لينقذه من الغرق.

وظل تامر يصرخ ويصرخ بصوتٍ عالٍ ولم يأت أحدٌ لينقذه.

وكان هناك رجل واقف على الشاطئ يشاهد الأمواج وارتفاعها... فرأى تامر وهو يغرق فأسرع إليه وأنقذه من الغرق وأخرجه إلى الشاطئ وهو مُغمى عليه فلما رآه الناس علموا أنه كان يغرق فعلاً هذه المرة.

وعندما أفاق تامر نظر حوله فوجد الناس يقفون بجواره فأخذ يعتذر للناس من حوله ويقول لهم: أنا آسف على كل ما فعلته في المرات السابقة فقد تعلمت درساً لن أنساه أبدًا ... ولن أكذب بعد اليوم أبدًا.

جزاء الكذب

كان ياما كان... كان هناك غراب أسود يعيش في الغابة وكان صوته مزعجًا والكل يكرهه فأراد أن يغير لونه وصوته ويحتال على حيوانات وطيور الغابة، فأمسك فرشاة وغمسها في اللون الأصفر وراح يمررها على ريشه الأسود... وظل هكذا حتى انتهى من صبغ جميع ريشه باللون الأصفر.



ولما رأى نفسه في المرآة وقد تغير لونه فرح وراح ينتقل من شجرة إلى شجرة سعيدًا بلونه الجديد.

لكن طيور الغابة عرفته رغم أنه راح يوهمها

أنه طائر قادم إليهم من بلاد بعيدة جداً.

فقالت له الطيور: إن من يدعي غير الحقيقة فهو كذاب ونحن لا نحب الكاذبين.

وانصرفت عنه الطيور كلها فأصبح وحيداً.

فحط على شجرة وهو حزين، وقد اكتشف أنه أخطأ في غشه وكذبه على إخوانه الطيور.

وبعد قليل جاءه الذئب فسأله: من أنت أيها الطائر الجميل؟ ولماذا أنت تقف هكذا حزيناً؟

فقال الغراب الأصفر: إن طيور الغابة تركتني ورفضت أن تصادقني رغم أنها تعلم أنني جئت من بلاد بعيدة.

وما زال الغراب مصراً على الكذب رغم أنه اكتشف أن الطيور تركته من أجل الكذب.

فنفش ريشه، وقال للذئب المكار: أنا الكناري الذهبي، صوتي أجمل الأصوات.

فاحتال عليه الذئب فقال له: لا لست أنت الكناري، فالكناري صديقي وهو حين يراني يأتي ويقف فوق أنفي ويسلم عليَّ.

وأراد الغراب أن يثبت أنه الكناري فنزل من على الشجرة، وحط فوق أنف الذئب.

وما كاد يفعل ذلك حتى فتح الذئب فمه وأمسك به وهو يقول له: سوف آكلك وأتخلص من غبائك وصوتك الذي يزعجني ويجعلني لا أنام.

وراح الغراب يحاول النجاة، وقد تأكد أن الكذب قد ألقى به في مصيدة الذئب، وأخذ يقسم للذئب أنه الغراب غير أنه لوَّن ريشه باللون الذهبي.

وهيهات أن يفهم الذئب كلام الغراب، وكان موته جزاء الكذب.

الكذب الأبيض !!!

ابني الحبيب: إن من المخالفات الشرعية الشائعة بين كثير من المسلمين هي ما يُسميه الناس بالكذب الأبيض.

فيأتي الرجل فيكذب على إخوانه وعلى أقاربه، ثم إذا سألته عما قال - تأتيك الإجابة الحاسمة في التو والحظة فيقول لك: هذا كذبٌ أبيض!!.

وما علم هذا المسكين أنه ليس هناك كذب أبيض وكذب أسود، وإنما هناك كذب وهناك صدق، وإن الإنسان إما أن يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإما أن يكتب عند الله كذابًا.

ومن أجل ذلك لا بد أن تعلم أيها الإبن الكريم أن الإسلام دين يحث على مكارم الأخلاق وعلى رأسها الصدق لأن الصدق كما أخبر النبي ﷺ يهدى إلى البر والبر هو جماع أعمال الطاعة والخير ولو علم النبي ﷺ طريقًا يوصل إلى البر غير الصدق لدلنا عليه ولذلك فإن الله عز وجل يحثنا جميعًا على أن نكون مع الصادقين فيقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(١).

بل يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٢).

* * *

(١) سورة التوبة: الآية: (١١٩).
(٢) سورة غافر: الآية: (٢٨).

دعوة للصدق

حبايبي الحلوين: نحن نعلم أن الصدق هو أقرب طريق للفوز برضوان الله وجنته.. وأن الكذب هو أقرب طريق للمعاقبة بسخط الله وعذابه.

فهيا بنا نتواعد من الآن على أن نكون صادقين في كل وقتٍ وحين ومع كل الناس من حولنا: مع الوالدين والمدرسين والزملاء والأصدقاء وكل الناس من حولنا حتى نفوز بمحبة الله ورضوانه وجنته.. ونفوز أيضًا بمحبة الناس من حولنا فإن الناس يحبون أهل الصدق ويكرهون أهل الكذب.

* * *



الشجاعة



الشجاعة

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به... ألا وهو خُلق الشجاعة.

* وما أجمل أن يكون المسلم شجاعًا لا يخشى إلا الله (جلّ وعلا) وأن يبذل نفسه وماله للدفاع عن دينه ووطنه.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق الشجاعة.

ما هي الشجاعة؟

* الشجاعة من أجمل الصفات وأنبل الأخلاق التي يتحلى بها الإنسان.. لأنها تعني البذل والعطاء، والتصدي والمواجهة، والتضحية والفداء، وردُّ الظلم والعدوان.

والشجاعة قد تكون في ميادين القتال والحروب، يبذل الجندي نفسه مُدافعًا عن دينه ووطنه، لا يخشى الموت ولا يخاف الأعداء... لا يهمه سوى تحقيق النصر أو الموت في سبيل الله.

والشجاعة قد تكون بالنصيحة وإبداء الرأي، والتصدي للخطأ وإظهار الصواب... فالذي يتقدَّم بالنصيحة والرأي إنسانٌ شجاعٌ، يكره الخطأ ويحب الكمال ويريد الصواب.

والشجاعة قد تكون في اعتراف الإنسان بخطئه، وتحمُّل المسئولية، فالشجاع مَن إذا وقع منه خطأ أو تقصيرٌ في عملٍ من الأعمال، اعترف بخطئه وتقصيره وتحمَّل نتيجة عمله، ولا يُحاول أن يُلقيها على الآخرين.

فالشجاعة ليست في ميادين الحرب والقتال، وإنما تكون أيضًا في البيت وفي الشارع وفي المدرسة، ومع الأصدقاء والأساتذة [١].

فضل الشجاعة

الشجاعة تضحيةٌ وبذلٌ وعطاءٌ، وقد يترتَّب عليها أن يفقد الإنسان حياته كالجندي في ميدان القتال، فما الفائدة التي تعود عليه وعلى مجتمعه؟

تصوَّر أن عدوًا احتلَّ وطنك، وخاف كل إنسانٍ على حياته، وبخل بها عن وطنه، ولم يحمل السلاح يجاهد به هذا العدو.. ماذا يحدث؟ ستعيش أنت وغيرك ذليلاً لا قيمة لك، مهانًا في وطنك ذليلاً في أرضك.

تصوَّر أن أحدًا اعتدى على أسرتك ولم تَهُبَّ للدفاع عنها.. أو حريقًا شبَّ في منزل جارك واحتاج إلى مساعدتك فتخليت عنه.. أو لصًا اقتحم منزلك فتركته يسرق أمتعتك وحاجاتك وأنت تنظر إليه.. لو حدث هذا ماذا ستكون النتيجة؟.. سيقع الضرر عليك، وينهار المجتمع ويفسد، وتشيع فيه صفات الأنانية والخوف والجبن.

فالشجاعة تجعلك تعيش كريمًا، وتجعل وطنك يحيا عزيزًا، وتزرع فيك صفة النجدة، فتهب لمساعدة الضعيف، ومساندة المنكوب، ومقاومة المعتدي [٢].

الشجاعة من صفات الأنبياء

* إن الشجاعة صفة عظيمة تحلَّى بها كل الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين).

---

(١) الشجاعة / أ. أحمد تمام (ص: ٣).

(٢) الشجاعة (ص: ٦).

شجاعة فى الأقوال والأفعال.

شجاعة فى إلقاء كلمات الحق وفى الصدع بالحقّ.

شجاعة فى ميدان القتال وفى مواطن النزال.

شجاعة فى حسم الأمور وفى اتخاذ القرار.

شجاعة فى كل ما يحتاج إلى إقدام.

فعليك بالتحلى بهذه الخصلة الطيبة والصفة الكريمة التى تحلَّى بها الأنبياءُ من قبلك، وتحلَّى بها أولوا العزم من الرسل عليهم جميعًا الصلاة والسلام!!

فها هو نبى الله نوح ﷺ يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[1].

وها هو الخليل إبراهيم ﷺ يقسم لقومه فيقول: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾[2].

وينفذ ما وعد به: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[3].

وها هو يُجابه الطاغية الجبار المستكبر الذى يقول: أنا أُحيى وأميت، فيقول له إبراهيم عليه السلام: ربى الذى يحيى ويميت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[4].

---

(1) سورة يونس: الآية: (71).
(2) سورة الأنبياء: الآية: (57).
(3) سورة الأنبياء: الآية: (58).
(4) سورة البقرة: الآية: (258).

ها هو الخليل إبراهيم يُلقَى فى النار ولا يتردد ولا يبالى، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً.

* انظر إلى شجاعة الخليل إبراهيم عليه السلام فى اتخاذ القرار، بالامتثال لأمر الله.

إنه قرار بتنفيذ ما أمره الله به من ذبح ولده إسماعيل عليه السلام!

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

* وها هو نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام، يجابه الطاغية الذى يَذبح الأبناء ويستحيى النساء ويسخر الرجال، يجابه فرعون المتكبر الذى بلغ به كبره إلى أن يقول: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ (٢).

وبلغت به سفاهته إلى أن يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (٣).

* يجابهه موسى عليه الصلاة والسلام بكل قوة وبكل حزم.

* وانظر إلى طريقته فى الخطاب مع فرعون فى أول الأمر وفى نهايته:

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم

---

(١) سورة الصافات: الآيات: ١٠٢-١٠٧.

(٢) النازعات: الآية: (٢٤).

(٣) القصص: الآية: (٣٨).

موقنين (٢٤) قال لمن حوله ألا تستمعون (٢٥) قال ربكم ورب آبائكم الأولين (٢٦) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (٢٧) قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾[1].

فانظر إلى خطابه مع فرعون وشجاعته مع فرعون وقوته في الحديث مع فرعون!!

بل انظر إلى ما هو أقوى من هذا الموقف وهذا الرد لما قال له فرعون: ﴿ إني لأظنك يا موسى مسحورا ﴾[2].

﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا ﴾[3].

فحقًا إنها جرأة في الخطاب وشجاعة في المواجهة!!

مع الرفق واللين والثبات واليقين!!

* وانظر إلى شجاعة أتباعه من السحرة بعد أن منّ الله عليهم بالهداية والإيمان.

انظر إلى ثباتهم وفرعون الطاغية يتهددهم ويتوعدهم بقوله: ﴿ قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى ﴾[4].

فماذا قالوا؟ وبماذا أجابوا؟! ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾[5].

فحقًا إنها شجاعة، شجاعة من أتباع الرسل، وشجاعة من المؤمنين

---

(١) الشعراء: الآيات: (١٦-٢٨).

(٢) الإسراء: الآية: (١٠١).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (١٠٢).

(٤) سورة طه: الآية: (٧١).

(٥) سورة طه: الآية: (٧٢).

بالرسل، شجاعة من المصدقين بوعد الله!!

أما عيسى عليه السلام، فهو يوشك أن ينزل من السماء يقتل الدَّجال[١] ويقتل الخنزير ويكسر الصليب[٢].

وقد أثنى نبينا محمد ﷺ على نبي الله داود عليه السلام، فقال: «ولا يفرُّ إذا لاقى»[٣].

كان النبي ﷺ أشجع الناس

أما نبيُّنا محمد ﷺ فكان أشجع الناس عليه الصلاة والسلام:

كان ﷺ شجاعًا في أقواله فصدع بالحق ويقول: «لا إله إلا الله» في وسط كافرٍ مشركٍ يعبد الأوثان ويعظم الأصنام!!

وناله في سبيل الله ما ناله وهو صابر مقدام شجاع يحتسب الأجر عند الله في كل شيء أصابه ولا يخشى في الله لومة لائم.

وجاءت شريعته السمحة السهلة اليسيرة مع سماحتها وسهولتها ويسرها تأمر بهذه الخصلة الطيبة وتحث عليها وتحذر من الفرار أيما تحذير!!

وكان صلوات الله وسلامه عليه دائم التعوذ من الجُبن، يتعوذ بالله من الجبن في جملة مواطن:

ففي «الصحيح» من طريق مصعب بن سعد قال: كان سعد يأمر بخمس، ويذكرهن، عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا – يعني: فتنة الدجال – وأعوذ بك من عذاب القبر»[٤].

---

(١) انظر صحيح مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٢٢) كتاب البيوع، ومسلم (١٥٥) كتاب الإيمان.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٧) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٨٢٢) كتاب الجهاد والسير.

وأخرج البخارى من حديث جبير بن مطعم أنه بينما هو يسير مع رسول الله ومعه الناس مقفلة من حُنين فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبى ﷺ فقال: «أعطونى ردائى، لو كان لى عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا»[1][2].

* وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبى ﷺ سبقهم على فرس، . . . وقال: «وجدناه بحرًا»[3].

* وفى الحديث الذى رواه مسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال لرجل قال له: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبى الله ﷺ ما ولَّى ولكنه انطلق أخِفَّاء من الناس، وحُسَّرٌ إلى هذا الحى من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبلٍ. كأنها رِجلٌ من جرادٍ. فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته. فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: «أنا النبى لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزِّل نصرك».

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقى به[4]. وإن الشجاع منا للذى يحاذى به - يعنى: النبى ﷺ.

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٨٢١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) فقه الأخلاق (٢/ ٤٠ : ٤٧) للشيخ مصطفى العدوى - بتصرف شديد.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٢٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٧٧٦) كتاب الجهاد والسير.

شجاعة أصحاب الرسول ﷺ

ولقد تعلَّم أصحاب الرسول ﷺ خُلق الشجاعة من النبي ﷺ فكانوا أشجع الناس ﷺ.

* فها هو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه الذي كان أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ.

* روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفَّ ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾(١)(٢).

* وعن علي رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس! أخبروني مَن أشجع الناس؟

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين! قال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس. قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر رضي الله عنه إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا. فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين؟ فوالله! ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

* وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان لا يخشى أحدًا إلا الله (جلَّ وعلا)... فقد كان هو الوحيد الذي هاجر علانية أمام المشركين وذهب إليهم عند الكعبة وسخر منهم وقال لهم: من أراد أن تفقده أمه أو يصبح ولده يتيمًا من بعده فليلقني خلف هذا الوادي... فما تَبِعه أحدٌ منهم.

---

(١) سورة غافر: الآية: (٢٨).

(٢) صحيح رواه البخاري (٤٨١٥) كتاب تفسير القرآن.

* وهذا على بن أبي طالب رضي الله عنه الذى نام ليلة الهجرة مكان النبى ﷺ وهو يعلم أن المشركين يريدون قتله.

- بل ولطالما لقى الفرسان الأقوياء وبارزهم وانتصر عليهم بفضل الله (جل وعلا).

* وهذا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه الذى وقف يدافع عن النبى ﷺ فى غزوة أُحد حتى جُرح وضُرب بالسيف أكثر من ثلاثين ضربة حتى أصيب بالشلل فى يده ففاز بدعوة النبى ﷺ.

* وهذا الزبير بن العوام رضي الله عنه الذى اقتحم حصن بابليون واستطاع أن يفتح باب الحصن لعمرو بن العاص رضي الله عنه وجنوده ففتحوا مصر ونشروا الإسلام فيها فأصبحت مصر منذ هذه اللحظة دولة مسلمة.

* وهذا سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه فى معركة القادسية... وجد سعد بن أبى وقاص أن الفُرس قد عبروا نهر دجلة بسُفنهم ولم يكن المسلمون يمتلكون سفينة واحدة، فما كان من سعد إلا أن خاض النهر بجواده وقام المسلمون معه فخاضوا النهر بالخيول حتى عبروا نهر دجلة وكانوا يتحدثون فى النهر كما كانوا يتحدثون فى البر... فيا لها من شجاعة تفوق الخيال.

* ولو استطردنا فى الأمثلة لرأينا الكثير والكثير من شجاعة أصحاب الرسول ﷺ.

شجاعة غلامين من أبناء الصحابة

فى غزوة بدرٍ والمعركة مشتعلةٌ بين المسلمين وكُفَّار قُريشٍ، كان الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف واقفًا بين الصفوف، ممسكًا بسيفه، وبينما هو يستعد للقتال جاءه غلامان صغيران، يحمل كل واحدٍ منهما سيفًا.

قال أحدهما: يا عم أتعرف أبا جهلٍ؟

قال عبد الرحمن: نعم، وماذا تريد منه؟

قال أحد الغلامين: علمت أنه يسب رسول الله ﷺ ... والله لو رأيته لأضربنه بسيفى هذا. وقال الغلام الآخر مثل كلام صاحبه.

تعجَّب عبد الرحمن بن عوف من شجاعة الغلامين، وحين لمح أبا جهل يتجوَّل بين الصفوف كالثور الهائج قال للغلامين: هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه.

تقدَّم الغلامان الصغيران من أبى جهل، ثم انقضَّا عليه بسيفيهما فضرباه ضربةً شديدةً فسقط قتيلاً، ثم انصرفا إلى النبى ﷺ فأخبراه بما فعلا.

فقال لهما النبى ﷺ: «أيكما قتله؟».

قال كلٌّ منهما: أنا قتلته.

قال النبى ﷺ: «هل مسحتما سيفيكما؟».

قال الغلامان: لا.

فنظر النبى ﷺ فى السيفين، وقال: كلاكما قتله[1][2].

شجاعة الغلام الصغير

عُرف الخليفة عمر بن الخطاب بالعدل والحزم، ومحاربة الظلم والعدوان، ومقاومة الفوضى، فتحسنت أحوال الناس، وعاشوا فى هدوء وأمان.

وكان الخليفة رجلاً عظيمًا، مهيب الطلعة، يحترمه الناس ويهابونه ويعملون له ألف حساب... ودائمًا كان يمرُّ فى شوارع المدينة وأحيائها يتفقد أحوال الرعية، ويتعرف مشكلاتهم، حتى يتمكن من وضع الحلول المناسبة.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٤١) كتاب فرض الخمس، ومسلم (١٧٥٢) كتاب الجهاد والسير.
(٢) الشجاعة / (ص: ١٣).

وفى أثناء مروره بأحد شوارع المدينة كانت مجموعة من الصبيان تلعب وتضحك، ويجرى بعضهم وراء بعض، وكان أحدهم تبدو عليه علامات الشجاعة والذكاء، فلما رأى الأطفال الخليفة عمر بن الخطاب قادمًا عليهم بقامته الطويلة وطلعته المهيبة، انطلقوا فارِّين، ولم يبق فى الطريق سوى هذا الغلام.. فلما اقترب منه الخليفة قال له:

- لماذا لم تفر مثلما فعل أصدقاؤك.

قال فى أدب:

- لم أفعل خطأً أو ارتكب ذنبًا حتى أخاف.. كما أن الطريق ليس ضيقًا فأوسع لك.

نظر عمر إلى الصبى وسأله عن اسمه، فلما أجاب تبسم ابتسامة كلها رضًى وإعجاب ثم مضى فى طريقه وتمر الأيام ويصبح هذا الغلام حاكمًا عظيمًا (١).

حكاية الحارس محمود

كان ياما كان.

كان هناك رجل طيب اسمه سعدون وكان عنده أرض زراعية وفيها مجموعة من الأغنام... وكان رجلاً كريمًا لا يرد سائلاً أو فقيرًا إلا أعطاه.

وكان يعانى من اللصوص الذين يسرقون الزرع والأغنام.

فلما استشار الناس من حوله قالوا له: لابد من حارس يحرس لك الأرض والأغنام أثناء الليل.

فأخذ عم سعدون يبحث عن الرجل المناسب إلى أن وجد شابًا تقيًا ورعًا اسمه محمود... وكان شابًا مخلصًا.

(١) الشجاعة (ص: ٨).

* بدأ محمـــود عمله في الحراسة الليلية لمزرعة العـم سعدون. . . وكان يؤدي عمله بإخلاص فلم يستطع أي لص من اللصوص أن يسرق أي شيء منذ هذه اللحظة.

* كان عم سعـدون في غاية السعـادة والسرور لوجود الحارس مـحمود الذي استطاع أن يحفظ له بستانه وأغنامه.

* وكان الحارس محمود أيضًـا في غاية السعادة والسرور لأنه يعمل عند رجل صالح يتقي الله في كل ما حوله ولا يبخل أبدًا على اليتامى والفقراء.

* وتمر الأيام ويذيع صيت الحارس محـمود. . وبدأ الناس يتكلمون عن أمانته وإخلاصه. . . حتـى سمع به رجل غني من رجال الأعمال في المدينة المجاورة فجاء إلى عم سعدون وطلب منه أن يترك له الحارس محمود مقابل مبلغ كبير من المال لأنه في حاجة إلى حارس مخلص وأمين مثله.

تردد عم سعدون كثيرًا فهو لا يريد أن يفرط في الحارس محمود. . لكن الرجل عرض عليه مبلغًا كبيرًا وهو محتاج إلى هذا المال.

* قال عم سـعدون للرجـل الثري: أما عن نفسي فـأنا موافق لكن دعني أعرض الأمر على الحارس محمود.

ذهب عم سـعدون وعـرض الأمر على الحـارس محـمود. . . فـأحس محمود بحزنٍ شديد لأنه كان يحب هذا الرجل الصالح عم سعدون رغم أنه يعطيه راتبًا بسيطًا. . . لكنه أحس من داخله أن عم سعدون بحاجة إلى هذا المال الذي عرضه عليه الرجل الثري فوافق محمود على أن يعمل حارسًا عند هذا الرجل الثري براتب كبير جداً.

* قام الحارس محمود واحتـضن عم سعدون وودعه ودموعه على خديه حزنًا لفـراق هذا الرجل الصالح. . وذهب مع هذا الرجل الثري إلى قـصره في المدينة المجاوره.

* دخل محمود قصر هذا الرجل فوجده قصراً فارهًا ووجد عنده حُرَّاساً آخرين يحرسون القصر.

قال له صاحب القصر: أريدك يا محمود أن تحرس هذا الباب فقط فهناك حارس على كل باب.. وأريدك أن تكون مخلصًا فى عملك كما كنت مع عم سعدون.

محمود: سأكون عند حسن ظنك يا سيدى.

* وقف محمود يحرس بوابة القصر التى أمره صاحب القصر بحراستها... وفى منتصف الليل سمع صوت رجال يقفزون من على السور ويريدون اقتحام القصر فأخذ يضربهم بكل قوة فسمع صوته حراس القصر فجاؤوا وقبضوا عليهم وضربوهم ضربًا شديدًا... وإذا بهؤلاء الرجال يبكون ويقولون: نريد أموالنا.. نريد حقوقنا.

تعجب الحارس محمود من هؤلاء اللصوص الذين يقولون: نريد أموالنا.. نريد حقوقنا!!!

* وبعد أسبوع تكررت نفس الحادثة فلما رأى محمود هؤلاء الرجال يتسلقون السور أسرع إليهم وأعطاهم الأمان وقال لهم: لن أفعل شيئًا معكم ولكن أخبرونى من أنتم؟ هل أنتم لصوص؟

قالوا: لسنا لصوصًا ولكن هذا الرجل صاحب القصر اغتصب أموالنا بالقوة وتركنا نحن وأولادنا نكاد أن نموت من الجوع وكلما جئنا لنطلب أموالنا سلط علينا الحراس فضربونا.

قال محمود: إذن.. لستم أنتم اللصوص بل إن اللص الحقيقى هو صاحب القصر.

قالوا له: نسألك بالله أن تساعدنا.

محمود: سأساعدكم الآن... سأسمح لكن بالدخول إلى هذا اللص

لتطالبوا حقوقكم جميعًا.

* وفي تلك اللحظة كان هذا الثرى اللص يجلس بالداخل يشرب الخمر وفجأة وجد أهل القرية الفقراء أمام عينيه يطالبونه بأموالهم.

فقال لهم: سوف أعطيكم أموالكم كلها غدًا...

فقالوا: لن نخرج من هنا حتى نأخذ كل أموالنا التي أخذتها منا.

* وأمام هذا الإصرار اضطر صاحب القصر أن يعطيهم أموالهم ... وفي الصباح الباكر قام صاحب القصر وجمع كل الحراس وسألهم: من الذي سمح لهؤلاء اللصوص أن يدخلوا إلى قصري؟.

قال محمود: يا سيدي إنهم ليسوا لصوصًا ولكنهم مظلومون.

الرجل الثرى: أنت الذي سمحت لهم بالدخول؟

محمود: نعم يا سيدي لأن عملي هنا هو حماية الشرفاء وليس حماية اللصوص.

الرجل الثرى: أنت مطرود من العمل.. اخرج من القصر.

قال محمود: الحمد لله الذي عافاني من هذا البلاء.

* وعاد محمود مرة أخرى إلى عم سعدون (الرجل الصالح) ففرح به كثيرًا وقال له: ما الذي جعلك تعود بهذه السرعة يا محمود؟

محمود: إن حراسة الشرفاء أمثالك بلقمة عيش أفضل عندي من حراسة اللصوص بآلاف الدولارات.

* * *

الاجتماع قوة

كان ياما كان.

كان في إحدى الغابات الجميلة ثلاثة من الأصدقاء يعيشون سويًا وتربطهم مودة ومحبة عجيبة... قرد وفهد وغزال.

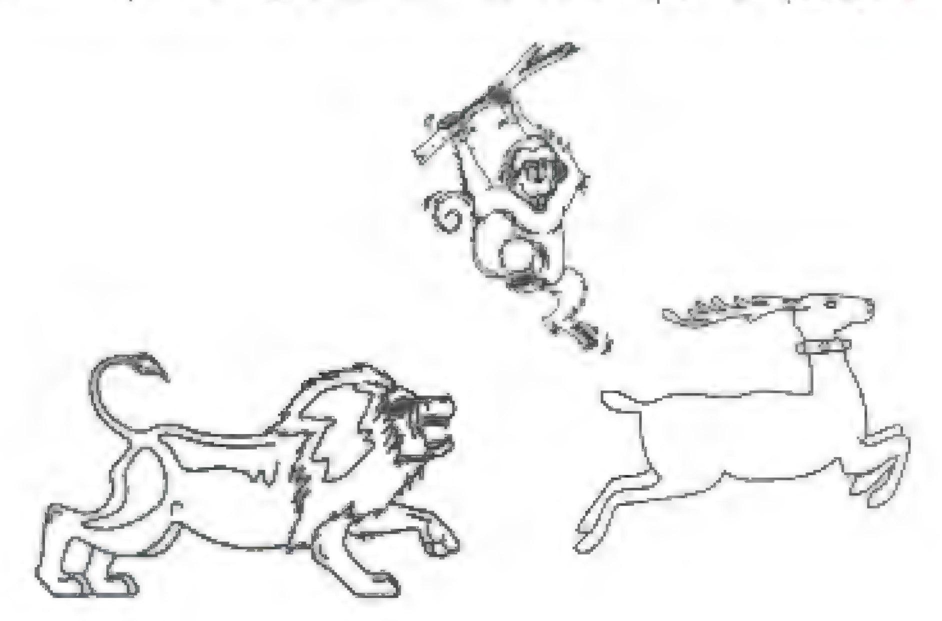
فكانوا يلعبون سويًا ويمزحون ويأكلون سويًا.

فكان القرد يحضر الموز والفول السوداني.. والفهد يُحضر اللحم.. والغزال يُحضر الأعشاب ويأكلون سويًا.

بل وصلت المحبة بينهم لدرجة أنه كان الفهد إذا مر بشجرة موز فإنه يصعد عليها ليأتي بالموز لصاحبه القرد... وكذلك كان يفعل القرد والغزال.

وكان الواحد منهم إذا تعب أو مرض تكفَّل صاحباه بأن يأتيا إليه بالطعام والشراب.

وفي يوم من الأيام كانوا يلعبون سويًا ويمزحون وإذا بهم يسمعون



صـوت زئير الأسـد وقد اقـترب منهم يريـد أن يظفر بواحـد منهم فصـاح الغزال: إحذروا من الأسد.

فمـا كان من القرد إلا أن قفـز فوق الشجـرة.. وأما الغزال فقـد أسرع بعيداً.. وبقى الفهد واقفًا فى مكانه.

اقترب الأسد من الفهد الصغير وظل يزأر فى وجهه... والفهد ثابت لا يتحرك... اقترب الأسد أكثر وأكثر.

أراد القرد أن يساعد الفهد ولكن كيف يسـاعده وهو صغير وضعيف فلو أنه نزل لافترسـه الأسد فى لحظة واحدة.. ولو أنه ظل هكذا فـوق الشجرة فسوف يقتل الأسد صديقه الفهد.

فمـا كان من القرد إلا أن ألقى الموز الذى فـى يده على رأس الأسد فلم يلتـفت... وأحس القرد بالخـوف الشديد على صـديقه الفهـد وفى تلك اللحظة نظر الفهـد إلى القرد نظرة حانية وكأنه يـودعه فتخيل القـرد صديقه الفهـد وقد قتله الأسد فـأحس بالحزن الشديد... فنادى القـرد على الغزال فاقـترب ونزل القرد مـن على الشجرة وظل كل واحـد منهمـا يرمى الأسد بالحجارة حتى انشغل الأسد بمطاردة القـرد والغزال فاستطاع القرد أن يصعد على الشـجرة واستطـاع الغزال أن يختـبئ بين الأشـجار وتمكن الفـهد من الهروب ولـم يستطع الأسد أن يـمسك واحداً منهـم وعاد حزينًا... بيـنما التقى الأصدقاء بعيداً عن الأسد وتعانقـوا وهم فى غاية السعادة أن اجتمعوا مرة أخرى.

* وهنا تقـدم الفهـد بالشكر لصـديقيـه: القرد والغـزال لإنقاذه من براثن الأسد.

* * *

العصفور الشجاع

كان ياما كان.

كان في إحدى القرى مزارع عنب كثيرة يملكها رجل اسمه سحلول البخيل.

ومرت الأيام.. وجاء فصل الصيف وأينعت عناقيد العنب.

فرحت العصافير كثيرًا وطارت مسرعة إلى العنب.. وعندما أصبحت قريبة منه.

قال عصفورٌ مُحذِّرًا: ها هو ذا رجلٌ يقفُ وسطَ العنب!

قال آخر: في يده بندقية!

قال ثالث: يجبُ ألا نُعرِّضَ أنفسنا للخطر..

خافتِ العصافيرُ، وولّتْ هاربةً..

في اليوم الثاني..

استفاقت العصافيرُ باكرًا، وهرعَتْ إلى العنب.

آملةً أنْ تصله، قبلَ الرجل المخيف..

وهناك.. فوجئتْ برؤيةِ الرجلِ واقفًا، لم يبارحْ مكانه!

رمقَتْ بندقيته خائفةً وانصرفتْ حزينةً.. غابَتْ أيامًا.. ملَّتِ الصبرَ والانتظار، ازداد شوقها إلى العنب، قصدَتْهُ من جديد..

وكم كانتْ دهشتها



عظيمةً، حينما شاهدَت الرجلَ منتصبًا، في مكانه نفسِهِ، كأنَّهُ تمثال!

ثم تجرؤ العصافيرُ على دخولِ بستان العنب..

لبثتْ ترقبُ الرجلَ عن بُعد..

مرَّ وقتٌ طويل..

لم ينتقل الرجلُ من مكانه..

قال عصفورٌ ذكيٌ: هذا ليس رجلاً !

قال آخر: أجل... إنَّهُ لا يتحرَّك!

قالتْ عصفورة: عدَّةُ أيامٍ مضتْ، وهو جامدٌ مكانه !

قال عصفورٌ جريء: سأمضي نحوه، لأكشفَ أمره.

قالتْ له أمُّهُ: أتُلقي بنفسك إلى التهلكة ؟!

قال العصفور الجريء: في سبيل قومي العصافير، تهونُ كلُّ تضحية...

ثم اندفعَ بشجاعةٍ تجاه الرجل..

نزلَ قريبًا منه.. تقدَّم نحوه حذِرًا.. لم يتحرَّكِ الرجل... تفرَّسَ في بندقيته.. ضحكَ من أعماقه..

إنَّها عودٌ يابس!

حدَّقَ إلى وجهِهِ، لم يرَ له عينين... اطمأنَّ قلبه..

خاطبه ساخرًا: مرحبًا يا صاحب البندقية!

لم يردَّ الرجل..

كلَّمهُ ثانيةً..

لم يردَّ أيضًا..

قال العصفورُ مستهزئًا: الرجلُ الحقيقيّ، له فمٌ يُفتَحُ، وصوتٌ يُسمع!

طارَ العصفور.. حطَّ على قُبعةِ الرجلِ.. لم يتحرَّك.. نقرهُ بقوَّةٍ...

لم يتحرَّك.. شدَّ قبعته، فارتمت أرضًا...

شاهدتَ ذلك العصافيرُ، فضحكتْ مسرورةً، وطارتْ صَوْبَ رفيقها، ثم هبطتْ جميعها فوق الرجل...

شرعتْ تتجاذبه بالمخالبِ والمناقير.. انطرحَ أرضًا.. اعتلَتْ صدره، تنقره وتهبشه...

انحسرَ رداؤهُ،... تكشّفَ عن قشٍّ يابس !!

قالت العصافيرُ ساخرةً: إنَّهُ محشوٌ بالقَش...

قالتْ عصفورة: كم خفنا من شيء لا يُخيف!

قال آخر: لولا إقدامُ رفيقنا، لظللنا نعيشُ في خوف.

قال عصفورٌ صغير: يا للعجب.. كان مظهره يدلُّ على أنَّهُ رجل!

قال له أبوه: لن تخدعنا بعدَ اليومِ المظاهر..

غرّدت العصافيرُ، مبتهجةً بهذا الانتصار، ثم دخلَتْ بينَ الدوالي، فاحتضنتها الأغصان بحُبٍّ وحنان [(١)]..

* * *



(١) نقلاً من موقع (أطفال معكم).

صور الشجاعة

الشجاعة هي ثبات القلب في وقت الشدائد، والقيام بالأعمال التي تحتاج إلى جرأةٍ وإقدامٍ، وتضحيةٍ وفداءٍ.

فالجندي الذي يقف وراء مدفعه أو يخترق صفوف العدو أو يهبط بمظلةٍ خلف صفوف الأعداء إنسانٌ شجاعٌ وبطلٌ مقدامٌ.

والطيار الذي يقود طائرته، ويحلِّق بها فوق أرض الأعداء، يضرب مواقعهم ويدمِّر تحصيناتهم إنسانٌ شجاعٌ يحب وطنه ولا يخاف الموت.

وهناك صور أخرى من صور الشجاعة.

فرجال الإطفاء الذين يقومون بواجبهم في إطفاء الحرائق وإنقاذ السُّكان يتميَّزون بالشجاعة والإقدام.

ورجال الشرطة الذين يتعقبون المجرمين ويقبضون عليهم رجالٌ شجعانٌ.

والإنسان الذي يواجه الخطأ ويحاول إصلاحه، ولا يسكت عن أي تقصيرٍ يراه فهو إنسانٌ شجاعٌ، يتميز بالإيجابية والتعاون.

والذي يعترف بخطئه، ولا يُلقي به على أحدٍ، ويتحمل مسئولية ما فعل إنسانٌ لديه شجاعةٌ أدبيةٌ.

فالشجاعة لها صورٌ متعددةٌ، وتشمل ميادين الحياة كلَّها، ولا تقتصر على ميادين الحرب والقتال(١).

❋ ❋ ❋

(١) الشجاعة (ص: ٤-٥) بتصرف.

الشجاعة محمودة.... ولكن

صحيح أن الشجاعة محمودة، ولكن الشجاعة لا تقتضي المواجهة في كل الأحوال، فقد يكون التأخر للتفكير وللاستعداد وللانقضاض وللتحرف للقتال أولى في كثير من الأحيان.

بل وقد يكون العفو أولى وأولى.

والإقدام في موطن يحتاج إلى تريثٍ وتأنٍّ قد يكون نوعًا من التهور والطيش والإلقاء باليد إلى التهلكة!

وكذلك التأخر في موطن يحتاج إلى إقدام قد يُعدُّ نوعًا من الجبن والخذلان!! بل قد يُطمع فيك عدوَّك ويجعل للفاسق عليك سبيلاً.

* وقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[2].

ومن هذا الباب: حَفْرُ رسول الله ﷺ للخندق، فلو كان في مواجهة هذه الجيوش الجرارة - جيوش الأحزاب المتدفقة على مدينة رسول الله ﷺ - خير لواجههم رسولُ الله، ولكن لما كان عدد المسلمين لا يكاد يُذكر أمام هذه الجيوش الجرَّارة، أُشير على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، فقام عليه الصلاة والسلام هو وأصحابُه ﷺ بحفر الخندق، والاستعداد من وراء الخندق!!

---

(١) سورة الحج: الآية: (٤٠).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٥١).

* وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرى النبي ﷺ ينهال عليه القرشيون بالأذى ولا يستطيع أن يُحرك ساكنًا، ولو حرك ساكنًا لقُتِل!

فابن مسعود موقفه في القرشيين ضعيف!!

ثم إن ابن مسعود ضعيف في بدنه، لا طاقة له بقتال هؤلاء الجبابرة.

* ويختلف الحال بالنسبة لأبي بكر رضي الله عنه.

فأبو بكر رجل من قريش ومن قبيلة لها وضعها من قريش، فمركزه أقوى من مركز ابن مسعود في أوساط القرشيين، هذا كله فضلاً عن قوة إيمانه وكونه صدِّيقًا، فمن ثم تقدم للدفاع عن رسول الله ﷺ، والمسلمون مستضعفون بمكة.

* أخرج البخاري من طريق عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدِّ شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ. قال: بينا النبي ﷺ يصلي في حِجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله[1].

* وهذا عمرو بن عبسة رضي الله عنه يأتي النبيَّ ﷺ مسلمًا فينصحه النبيُّ ﷺ أن يرجع إلى أهله حتى يسمع بظهور النبيِّ ﷺ فحينئذ يأتي.

* ويختلف الحال شيئًا ما بالنسبة لأبي ذر رضي الله عنه:

فأبو ذر رضي الله عنه رجل جريءٌ، ومن قبيلة غِفار، وهي قبيلة كانت مشهورة بقطع الطريق، وموقعها - جغرافيًا - موقع قوي إذ هو طريق التجارة إلى الشام، وقبل هذا إيمانٌ وقر في قلب أبي ذر وفاض على لسانه فلم يستطع كتمانه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٨٥٦) كتاب المناقب.

* وكتنزيل لهذا على واقعنا:

* فقد يكون هناك رجل ضخم الجثة قوى البنية ظالم غشوم جاهل عتل جواظ، أتى هذا الرجل الظالم فلطم شخصًا ضعيفًا لطمة وضربه ضربة، فهل ترى أن من الأولى أن يرد هذا الضعيف اللطمة باللطمة فى الحال؟!

إنه إن فعل أوشك أن يُقتل.

ولأن يُلطم لطمة خير من أن يلطم عشر لطمات، فعليه حينئذ أن يُفكر بطريقة جيدة فى أخذ حقه أو النظر فى أمره.

* وأيضًا فقد يمرُّ أحد الفضلاء بسوق من الأسواق فيرميه بذىءٌ بكلمة أو يسبه بمسبة، فإن وقف ورد عليه مسبته، أمطره الآخر بوابل من السباب والشتائم.

فلأن يسمع كلمة واحدة فيها مسبة خير له من أن يسمع مائة كلمة ويُقذف بكل قبيح، فحينئذ ما يسعه إلا التخلق بأخلاق أهل الفضل الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[1].

وبقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾[2].

وأيضًا فكما أن المرء عليه أن ينظر فى قوته المادية وقوة خصومه، عليه أيضًا أن ينظر فى موقفه من نواحٍ أخر، ألا وهو موقفه مع الله سبحانه وتعالى عند الإقدام على مخاصمة أو قتال.

فينظر هل هو ظالم أو مظلوم؟!

فإن كان ظالمًا فعليه فورًا أن ينسحب من معركته مع أخيه ويستسلم للحق ويرد المظالم إلى أهلها.

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٧٢).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٦٣).

فإن المظلوم منتصر إما عاجلاً وإما آجلاً.

قال تعالى: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[2].

وفي الصحيحين: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»[3][4].

* * *

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٣).

(٢) سورة الحج: الآية: (٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

(٤) فقه الأخلاق/ الشيخ مصطفى العدوي (٢/ ٥٨-٦٢) بتصرف.

الجود والإيثار



الجود والإيثار

حبايبي الحلوين:وها هو خُلق من أعظم أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به. . . ألا وهو خُلق الجود والإيثار.

*وما أجمل أن يتخلق المسلم بخلق الجود والإيثار فإن من تخلق بهذا الخلق فإنه يفوز بمحبة الله ورضوانه. . . ويفوز بمحبة الناس من حوله.

*فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع الجود والإيثار.

هل أنت منهم؟

ابني الحبيب:هل حدث يومًا أن كنت بحاجة إلى المال الذى معك فوجدت زميلك بحاجة إلى المال فأعطيته المال الذى معك وآثرته على نفسك؟

*هل ذهبت المدرسة يومًا وكان معك طعامك الذى صنعته لك أمك الغالية فوجدت زميلك فى الفصل ليس معه طعام فأعطيته الطعام الذى معك وآثرته على نفسك؟

*إذا كنت قد فعلت هذا فأنت ممن أكرمهم الله بخُلق الإيثار فقال عنهم: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1].

* * *

(١) سورة الحشر، الآية: (٩).

الإيثار الجميل

دخل الأولاد الصغار يتسابقون إلى الماء البارد بعد عطش شديد فقد كان يومًا حارًا جدًا من أيام الصيف..

وعندما فتحوا الثلاجة وجدوا المفاجأة، وجدوا إناءً واحدًا فقط فيه ماء بارد فنظر بعضهم إلى بعض من يشرب أولاً؟!!

فأمسك عليٌّ الإناء وقال: تفضَّل يا أنس اشرب أولاً....

فاستحى أنس أن يشرب أولاً وإخوته الصغار لم يشربوا بعد.

فقال: خذ يا عبد الرحمن اشرب أنت أولاً.

فأخذ عبد الرحمن الإناء وسمَّى الله وبدأ يشرب وفي أثناء شربه سمعوا جميعًا صوتًا يقول:

قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

نظروا جميعًا إلى مصدر الصوت، فإذا جارهم الطيب العم صالح جاءهم زائرًا فقد شاهد الموقف بأكمله وهو متعجب!!

فاندفعوا جميعًا يتسابقون للسلام على جارهم الطيب، فهم يحبونه كثيرًا وهم يستمتعون بزيارته جدًا وبقصصه الجميلة.

فقالوا: عم صالح مرحبًا بك... ترى ماذا ستحكي لنا اليوم؟!

العم صالح: عندما رأيت يا أولادي الأحباء إيثار كل منكم لأخيه بالماء البارد تذكرت أصحاب رسول الله ﷺ ورضوان الله عنهم أجمعين.

فقد أصيبوا بجراح شديدة في معركة اليرموك وكان من بينهم عكرمة بن أبي جهل وجاء رجل ومعه بعض من الماء يريد أن يسقي هؤلاء الجرحى فقال

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

لأحدهم: - أسقيك؟ فأشار بيده نعم فإذا بجريح ثانٍ يقول آه - فأشار الجريح الأول للرجل الذى معه الماء أن اذهب وابدأ بأخى فاسقه أولاً فلما ذهب إليه سمع جريحًا ثالثًا يقول آه آه فأشار إليه الجريح الثانى أن انطلق لأخى فاسقه أولاً فلما وصل إليه وجده قد مات فرجع إلى الباقى فوجدهم قد ماتوا أيضًا رضى الله عنهم أجمعين فقالت فاطمة: ولكن لِمَ لم يشرب هذا الجريح ثم يعطى لإخوانه الإناء ليشربوا ما دام الماء كثيرًا ويكفى الجميع؟

فدخل الأب عليهم وهم ملتفون حول جارهم العم صالح... وقال مبتسمًا: هل تأذن لى يا جارى العزيز أن أجيب فاطمة؟

العم صالح: نعم يسرنى ذلك يا أبا أنس.

الأب: يا فاطمة الماء كثير ولكن الحب والأخوة الصادقة فى قلوبهم كانت أكثر وأكبر... فاستحى كل منهم أن يشرب أولاً وهو يرى أخاه يتأوه من الألم محتاجًا لشربة ماء ففضَّله على نفسه...

فاطمة: يا لهم من رجال عظماء يا أبى إنى أحبهم جداً. وأشتاق إلى رؤيتهم.

الأب: اقتدى بهم يا ابنتى تكونى معهم إن شاء الله.

وكانت فاطمة تمسك بيدها حلوى لذيذة اشترتها من مصروفها الخاص. فجاء عبد الرحمن وقال لها يا فاطمة ألم تشتاقى لأن تعملى بخلق الإيثار؟ ألا تفضليني على نفسك بهذه الحلوى اللذيذة!!

فضحك الجميع واحتضنت فاطمة أخاها الصغير وهى تُقبله وأعطته الحلوى[1].

❊ ❊ ❊

(١) الإيثار / د. إبراهيم الشربيني (ص: ٦-٧)

علمتني أمي

لقد علمتني أمي الكثير فهي بحق مدرسة عظيمة وإني أدين لها بالكثير فكم غرست فيّ من بذور الحب والعلم والخير وسقت هذا الغرس وتعهدته حتى أثمر خير الثمار.

أحبك يا أمي.

أشكرك يا أمي.

وكان مما علمتني.

قول الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1].

فسألتها ما معنى كلمة (خصاصة) يا أمي؟

فقالت: (الخصاصة) هي الفقر والاحتياج فهؤلاء المؤمنون يؤثرون إخوانهم من المؤمنين على أنفسهم حتى لو كان بهم فقر واحتياج.

فتعجبت وقلت لها: كيف هذا يا أمي؟

فقالت: نزلت هذه الآية يا ولدي في رجل وزوجته ضحك الله عزَّ وجلَّ من فعلهما... جاء رجل إلى النبي ذات ليلة جائعًا لا يجد طعامًا فأرسل النبي ﷺ إلى نسائه يسألهن عن طعام فقلن: ما معنا إلا الماء.

فقال رسول الله: «من يضم أو يضيف هذا الرجل؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله فأخذه ورجع إلى بيته ثم قال لامرأته «أكرمي ضيف رسول الله ﷺ».

فقالت: ما عندنا إلا قليل من الطعام يكفي فقط صبياننا الصغار وهم جائعون جدًا.

فقال لها: أعدّي الطعام ونوّمي أولادك إذا أرادوا العشاء.

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

فجهزت المرأة الصالحة الطعام ونوّمت أطفالها الصغار على جوع، ثم أعدت للضيف الطعام، ثم قامت كأنها تُصلح السراج (المصباح الذى يضىء البيت) فأطفأته.

وجعل الصحابى وزوجته يُريان هذا الضيف كأنهما يأكلان ليأكل الضيف بلا حرج لأن الطعام قليل ولا يكفى وبات الزوجان وهما جائعان فلما أصبح الرجل ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له النبى: «ضحك الله الليلة من فعالكما. وأعجب من فعالكما ورضى عنكما»[(١)]، ونزلت هذه الآية الكريمة[(٢)].

الحض على الإنفاق من الكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[(٥)].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً، فسلّطه على هلكته فى الحق، ورجلٌ آتاه الله حكمة، فهو يقضى بها ويُعلّمها»[(٦)].

* وعن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[(٧)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٩٨) كتاب المناقب، ومسلم (٥٤ - ٢) كتاب الأشربة.

(٢) الإيثار (ص: ٨-٩) - مكتبة سفير.

(٣) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٤) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٧٣).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٧) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٧) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

* وعن جابر رضي الله عنه قال: ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قطُّ فقال: لا[(١)].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أَنْفِق يا ابن آدم أُنْفِق عليك»[(٢)].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[(٣)].

* وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»[(٤)].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل»[(٥)].

* وعنه عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحَّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلانٌ، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لِمَ تسألني عن اسمي؟ فقال:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٣٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣١١) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٥٢) كتاب النفقات، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١٠) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٤) كتاب الزكاة.

إنى سمعت صوتًا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذ قلت هذا، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثًا، وأرد فيها ثلثه»[(١)].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا»[(٢)].

* وقال ﷺ: «صنائع المعروف تقى مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة»[(٣)].

* وقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة، أحبُّ إلىَّ من أن أعتكف فى المسجد شهرًا، ومَن كَفَّ غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يُفسد الخلُّ العسلَ»[(٤)].

* وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة غُرفًا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلَّى بالليل والناس نيام»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٨٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٢١٣ ، رقم ٤٢٩)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٩٥).

(٤) حسن: أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٦).

(٥) حسن: رواه أحمد (٢٢٣٩٨)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٢٣).

* وقال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»[(١)].

كان رسول الله ﷺ أجود الناس

* عن أنس رضي الله عنه قال: ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قومي أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها[(٢)].

* وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟»، قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «بقي كلها غير كتفها»[(٣)].

ومعناه: تصدَّقوا بها إلا كتفها، فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها.

* وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأةً جاءت إلى رسول الله ﷺ ببُردة منسوجة، فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فقال فلان اكسُنيها ما أحسنها، فقال: «نعم»، فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها، ثم أرسل بها إليه: فقال له القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجًا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلاً، فقال: إني والله ما سألته لألبسها، إنما سألته لتكون كفني. قال سهل: فكانت كفنه[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٢) كتاب الفضائل.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٧٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٤٤).

(٤) صحيح: رواه البخاري (١٢٧٧) كتاب الجنائز.

* وعن أبي ذر، أن النبي ﷺ التفت إلى أُحد فقال: «والذي نفسي بيده، ما يسرني أن أُحدًا تحوَّل لآل محمد ذهبًا، أنفقه في سبيل الله، أموت يوم أموت أدعُ منه دينارين، إلا دينارين أُعدهما للدَّين إن كان»[1].

* وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيُدارسه القرآن، فلرسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجود بالخير من الريح المُرسَلة»[2].

* وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس»[3].

بل ها هي أمنا خديجة رضي الله عنها تشهد لحبيب الله ﷺ في أول البعثة عندما نزل عليه الوحي لأول مرة فعاد إليها خائفًا فقالت له بكل ثقة ويقين: «والله لا يخزيك الله أبدًا. إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم وتُعين على نوائب الحق»[4].

فكأنها أرادت أن تقول له: كيف يُخزى الله عبدًا قد تحلَّى بتلك المكارم التي لا تجتمع أبدًا إلا لرسول الله ﷺ.

* * *

---

(١) حسن صحيح: رواه أحمد (٢٧١٩)، وقال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦) كتاب بدء الوحي، ومسلم (٢٣٠٨) كتاب الفضائل.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٢٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٣٠٧) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٥٤) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخلٍ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء (بستان) وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقةٌ لله تعالى أرجو بِرَّها وذُخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «بخ، ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ، وقد سمعت ما قلتَ. وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعلُ يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه[٣].

❋ ❋ ❋

(١) سورة آل عمران: الآية: (٩٢).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٦٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦١) كتاب الزكاة، ومسلم (٩٩٨) كتاب الزكاة.

جزاء الكرم

خرج «عمر بن عُبيد الله» يومًا - وكان من المشهورين بالكرم والسخاء - وبينما هو في طريقه مرَّ بحديقة، ورأى غلامًا زنجيًّا يجلس بجوار حائطها يتناول طعامه، فاقترب كلبٌ من الغلام، فراح الغلام يُلقى إلى الكلب بلقمة، ويأكل لقمةً، و«عمر» ينظر إليه ويتعجب مما يفعل، فسأله «عمر»: أهذا الكلب كلبك؟!

ردَّ الغلام: لا. قال «عمر»: فلِمَ تُطعمه مثل ما تأكل؟!

قال الغلام: إنى أستحى أن يرانى أحدٌ آكل دون أن يشاركنى طعامى.

أُعجب «عمر» بالغلام؛ فسأله: هل أنت حُرٌّ أم عبدٌ؟!

قال الغلام: بل أنا عبدٌ عند أصحاب هذه الحديقة.

فانصرف «عمر»، ثم عاد بعد قليلٍ، فقال للغلام: أبشر يا فتى فقد أعتقك الله! وهذه الحديقة أصبحت ملكًا لك.

قال الغلام بسعادة ورضا: أُشهدك أننى جعلت ثمارها لفقراء المدينة.

تعجب «عمر» وقال للغلام: عجبًا لك! أتفعل هذا مع فقرك وحاجتك إليها؟!

ردَّ الغلام بثقة وإيمانٍ: إنى لأستحى من الله أن يجود علىَّ بشيء فأبخل به!

* * *

جار سعيد

كان «سعيد بن العاص» مشهوراً بكرمه وأخلاقه الطيبة، فهو يسأل دائماً عن جيرانه وأصحابه، ولا يبخل بتقديم العون والمساعدة إلى كل من ينشده.

وكان له جار فقير طيب. وساءت أحوال ذلك الجار الطيب حتى اضطر إلى الإعلان عن بيع داره، وحينما علم الناس بذلك توافدوا على الدار لشرائها طامعين فى جوار «سعيد».

وحينما اجتمع الناس، وحضر الشهود ليشهدوا على البيع، سأله أحدهم: بكم تبيع هذه الدار؟!

أجاب الرجل: إننى أريد فيها خمسين ألف درهم.

فتعجب الناس وقالوا: هذا ثمنٌ كبيرٌ! فهذه الدار قديمةٌ ولا تساوى نصف هذا السعر!

ابتسم الرجل وقال: إنى أعرف ذلك، ولكننى لا أبيع الدار وحدها، وإنما هو ثمن الجوار.

ازداد تعجب الناس وقالوا: وهل يُباع الجوار؟!

قال الرجل: وكيف لا يباع جوار من إن سألته أعطاك، وإن سكتُ عنه بادر بالسؤال عنك، وإن أسأت إليه أحسن إليك، وإن هجرته عطف عليك؟!

فلما علم «سعيد» بذلك أرسل إليه مائة ألف درهم، وقال له: أمسك عليك دارك، فإننى لا أرضى بجوارك بديلاً!

* * *

لا تكن بخيلاً

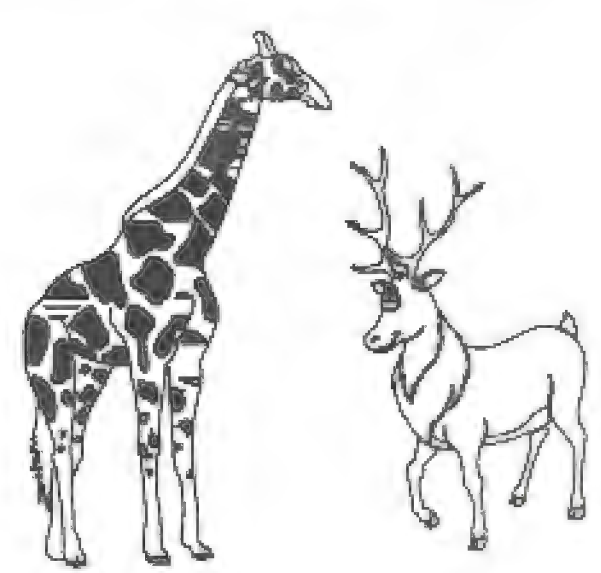
ذات مساء نظر الخرتيت إلى كمية كبيرة من الحشائش يخزنها في منزله فشعر بالسعادة، وقال: إن هناك أزمة في الطعام بين الحيوانات في هذه الأيام، فقد تأخر المطر، وقَلَّ العُشب، ثم قال في نشوة وسعادة: سوف أعيش في رفاهية، إنه لشيء جميل أن تنفرد بالسعادة.

وفي الصباح قامت الغزالة من نومها فلم تجد طعامًا تأكله، قالت: لعلي أجد شيئًا يسد رمقي عند جارتي الزرافة... طرقت الغزالة باب جارتها الزرافة وقالت: السلام عليكم يا جارتي الزرافة.

الزرافة: وعليكم السلام.

الغزالة: أنا آسفة لمجيئي إليك في هذا الوقت، ولكني جائعة جداً وليس عندي ما آكله، فهل يمكن أن تعطيني شيئًا من الحشائش التي عندك.

دمعت عينا الزرافة وقالت: مرحبًا بك يا جارتي العزيزة، ولكني والله لم أجد ما آكله منذ أمس وقد بتُّ ليلتي جائعة، هيا بنا سويًّا نبحث عن شيء نأكله.



انطلقت الجارتان للبحث عن شيء تأكلانه، وفى طريقهما مرا ببيت القرد فسألتاه عن طعام، فأجابهما أنه لا يملك إلا القليل من الموز والفول السودانى ودعاهما كى يشتركوا جميعًا فى الأكل، فاعتذرتا إليه بأنهما لا تأكلان إلا العشب.

قالت الغزالة: هيا نذهب لبيت جارنا الخرتيت.

ذهبت الصديقتان الجائعتان إلى بيت الخرتيت، وطرقتا الباب.

السلام عليكم يا صديقنا الخرتيت.

وعليكم السلام، أجاب الخرتيت وأخذ الخرتيت ينظر إليهم فى توجس البخيل من الضيف.

الغزالة والزرافة: هل عندك من طعام فإننا جائعتان جداً؟... تصنَّع الخرتيت التعاطف، وقال: من أين لى بالطعام؟ أنتما تعلمان أن المطر قليل والعشب شحيح هذه الأيام.

الغزالة والزرافة: شكراً لك.

الخرتيت: عفواً ليتنى أستطيع مساعدتكما.

انصرفت الغزالة والزرافة الجائعتان وقد بدتا هزيلتين والخرتيت ينظر إليهما وهو يحدث نفسه وكأنه يوجه حديثه إلى الحيوانات جميعًا، اذهبوا عنى ودعونى أستمتع بطعامى الوفير وحدى، ثم قال لنفسه: ماذا أستفيد إن شاركونى الطعام، وماذا يضرنى إن ماتوا جميعًا من الجوع؟ طعامى الوفير يغنينى عن كل الحيوانات، ما أعظم سعادتك يا خرتيت!

ذهبت الغزالة والزرافة إلى النهر للشرب، ولما رآهما فرس النهر قال لهما: ماذا بكما؟ أراكما هزيلتين.

الغزالة والزرافة: لم نأكل شيئًا منذ أمس يا فرس النهر، فالمطر قليل، والعشب شحيح.

فرس النهر: توجد بعض النباتات المائية فى جانب النهر هل يعجبكما الأكل منه؟

الغزالة والزرافة: بالطبع فنحن جائعتان جداً.

فرس النهر: سأحاول إحضار كمية كبيرة منه.

ذهب فرس النهر إلى جانب النهر وأخذ يجمع بعض النباتات المائية وأتى بها إليهما وقال: تفضلا، هذا ما استطعت أن أجمعه، أرجو من الله أن يكفيكما.

الغزالة والزرافة: شكراً لك يا فرس النهر هذا يكفي ويزيد، وسوف نحمل الباقي معنا لأصدقائنا، فنحن نعلم أنهم لا يجدون ما يأكلون هذه الأيام.

فرس النهر: فكرة جيدة، وسوف أجمع أنا وأصدقائي كمية أخرى لمن أراد أن يأكل من الحيوانات، فلا خير فى الحياة بلا تعاون إنى لا أتصور أن أستمتع بطعامي وأنا أعلم أن أصدقائي من الحيوانات البرية يعانون الجوع، سوف أبذل كل ما فى وسعي كي أساعدكم.

الغزالة والزرافة: جزاك الله خيراً يا فرس النهر.

أخبر فرس النهر أصدقاءه من الحيوانات المائية أن جيرانهم من الحيوانات البرية يعانون الجوع وقلة الطعام، وطلب منهم جمع ما يستطيعون من النباتات المائية ووضعها على جانب النهر حتى تأكل منها الحيوانات البرية... وبالفعل تكونت فرقة عمل من الحيوانات المائية وأخذوا يبذلون ما فى وسعهم لمساعدة الحيوانات البرية... أشاع فعل فرس النهر وأصدقائه جواً من التعاون والطُّمأنينة بين الحيوانات، وقَلَّ الخوف من الجوع... وبعد أيام قليلة نزل المطر غزيراً، فأصاب الأرض وأنبت العشب، وأصاب المطر أيضاً مخزون الحشائش عند الخرتيت فأنبتت فيه الجراثيم والميكروبات، وبدأ

التعفن يظهر فيه، ومع هذا أصر الخرتيت أن يأكل من مخزون الحشائش القاسد فأصابه المرض ولم يستطع الخروج من بيته.

وخرجت الحيوانات تحتفل بنزول المطر وظهور الحشائش وانفراج الأزمة، ملأت الفرحة القلوب وعَمَّ السرور وتبادلت الحيوانات التهانى، لكن القرد لاحظ غياب الخرتيت فقال: هل رأيتم الخرتيت اليوم؟ فقالت الغزالة: لا لم أره منذ فترة، فقال القرد: إنه أمر مُقلق أن يغيب الخرتيت عن احتفالنا هذا؟ فقالوا جميعًا: نعم.

القرد: إذن دعونا نذهب إلى بيته ونستكشف الأمر... وذهب وفد الحيوانات إلى بيت الخرتيت وطرقوا الباب.

السلام عليكم يا خرتيت.

أجاب الخرتيت بصوت ضعيف: وعليكم السلام، مَن بالباب؟

الحيوانات: نحن جيرانك يا خرتيت افتقدناك فجئنا نسأل عنك.

قام الخرتيت بصعوبة وفتح الباب وقال: تفضلوا بالدخول، أشكركم على فعلكم الكريم.

الحيوانات: هذا واجب علينا فنحن جيران.

الخرتيت: أنتم جيران وأصحاب طيبون، ثم بكى الخرتيت وقال: إنى قد منعت عنكم الزيادة من طعامى حتى فسد عندي وأصابنى بالأمراض، لقد ظننت أن الطعام الوفير سوف يغنينى عنكم ولن أحتاج إلى غيرى ولكنى عرفت الآن أن الحياة لا تصلح بغير تعاون فى السَّراء والضرَّاء... وهنا قسم الحيوانات بعضهم إلى فريقين.

حمل الفريق الأول الخرتيت إلى الطبيب، وقام الفريق الثانى بتنظيف بيت الخرتيت من مخزون الحشائش الفاسد، وقاموا بتهوية البيت وتعريضه للشمس...

وبعد أيام استرد الخرتيت عافيته، وانطلق مع جيرانه وأصحابه يحتفلون بظهور العشب الأخضر الذي ملأ الغابة بالطعام والسعادة، واحتفلوا أيضا بعودة الخرتيت إلى التعاون والحب... [1].

طعام بطعام

كان يا ما كان... كان هناك شيخ فقير لكنه كان كريمًا لا يرد سائلاً أبدًا مادام أنه يستطيع أن يعطيه أي شيء حتى أنه كان أحيانًا يرى رجلاً يكاد يموت من شدة البرد فيخلع الجبة التي يلبسها ليعطيها لهذا الرجل البردان.

وكان أحيانًا يجلس هو وزوجته وأولاده فيمر السائل فيقول له: ليس في بيتي طعام فيقوم ويعطيه الطعام الذي عنده.

- وفي يوم من أيام شهر رمضان جلس هذا الشيخ هو وزوجته وأولاده على مائدة الطعام انتظارًا لأذان المغرب... وفجأة جاء رجل سائل وقال له: والله لا أجد لقمة واحدة لأولادي ونريد أي طعام نفطر عليه... فخرج الشيخ وأعطاه كل الطعام.

فقامت امرأته وقالت: لن أجلس في هذا البيت وسأذهب لأسرتي الليلة.

سكت الشيخ ولم يتكلم... وبينما تُعد الزوجة ملابسها لتذهب لأسرتها وإذا بالباب يطرق.

---

(١) خمسون قصة تحكيها لطفلك (ص: ٩٠-٩٤) د/ عبد الله محمد عبد المعطي، د/ سيد عبد العزيز الجندي (حفظهما الله).

ففتح الشيخ الباب فوجد من يحمل أطباقًا كثيرة فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة فسألهم ما الخبر؟

قالوا له: إن الرجل الغنى الذى يسكن فى القصر الكبير الذى فى أول المدينة كان قد دعا بعض الأغنياء من أصدقائه فاعتذروا بعد ما أعد لهم الطعام فحلف ألا يأكل أحد من أهله من هذا الطعام وأمر الخدم أن يحملوا هذا الطعام كله إلى دار هذا الشيخ الفقير الكريم فابتسمت الزوجة وجلست فى البيت فقال لها زوجها الشيخ الكريم: إن اليقين الذى يملأ قلبى يجعلنى أُنفق دائمًا وأنا على يقين من أن الله (جل وعلا) سيعوضنى أفضل منه فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[1].

ثمرة الإيثار

كان يا ما كان... فى سالف الزمان... كان هناك ثلاثة من الأصدقاء وهم: أحمد ومحمود وسلمان ... وكانوا يعيشون فى قرية جميلة مليئة بالأشجار الجميلة... وكان سكان هذه القرية طيبين يحب بعضهم بعضًا حبًا شديدًا.

وفى يوم من الأيام قالت زوجة أحمد له: يا زوجى الحبيب أنت تعلم أن العيد قد اقترب وليس عندنا ملابس جديدة لأولادنا فنريد مالاً لنشترى به ملابس أولادنا.

قال لها زوجها أحمد وقد امتلأ قلبه حزنًا وأسفًا: ليس معى مال لأشترى به ملابس جديدة لأولادنا لكن انتظرى فسوف أذهب لصديقى سلمان لأقترض منه بعض المال.

ذهب أحمد إلى صديقه سلمان وحكى له ما دار بينه وبين زوجته

---

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩)

وأخبره أنه يريد أن يقترض منه بعض المال.

فرحب سلمان وفرح بذلك ودخل غرفته وأخرج له كيسًا فيه ألف درهم أخذ أحمد الكيس وهو فى قمة السعادة وشكر صديقه سلمان على حسن صنيعه وإحسانه. . . وفى الطريق قابل أحمد صديقه محمود فقال له: كيف حالك يا محمود؟

- فقال له محمود وقد ظهر الحُزن على وجهه: الحمد لله بخير.

- فقال له أحمد: أشعر أنك مهموم وحزين يا محمود.

- قال له محمود: نعم يا صديقى. . . مشكلة وأحتاج لبعض المال.

فأخرج أحمد كيس النقود الذى أخذه من سلمان وأعطاه لمحمود وقال له: خذ يا صديقى هذا المال فأنا لا أريد أن أراك حزينًا.

- وعاد أحمد إلى زوجته فقالت له: هل أحضرت المال يا أحمد؟

- فأخبرها أحمد بما حدث فابتسمت زوجته وقالت له: بارك الله فيك فأنا سعيدة لأنك فرجت همَّ أخيك المسلم.

وبعد ساعة سمع أحمد صوتًا يطرق على باب البيت فأسرع وفتح الباب فوجد صديقه سلمان فسلم عليه ورحب به وأدخله البيت، فقال له سلمان: أين المال الذى أخذته منى يا أحمد؟

- فقال له أحمد: لقد أعطيته لصديقنا محمود لأنه كان فى حاجة إليه فضحك سلمان من أعماق قلبه.

- فتعجب أحمد وقال له: لماذا تضحك يا سلمان؟!

- قال له سلمان: لقد كنت فى أزمة شديدة فطلبت هذا المال من محمود فأعطانى هذا الكيس فجئت أنت وطلبت منى مالاً فأعطيتك الكيس مع شدة احتياجى له ثم أعطيته أنت لمحمود وفضلته على نفسك مع شدة احتياجك لهذا المال وإذا بمحمود يفضلنى على نفسه ويرسل المال بعدما أخذه منك

فضحك أحمد وسلمان. . . ثم قال له سلمان: هيا بنا نذهب إلى محمود ونقسم هذا المال بيننا جميعًا عسى أن يبارك الله لنا فى هذا المال.

وعلم حاكم القرية بقصة الأصدقاء الثلاثة: أحمد ومحمود وسلمان، فقال الحاكم لكبير الحراس: اذهب وأحضر هؤلاء الثلاثة.

فذهب كبير الحراس وأخبرهم بأن حاكم القرية يريدهم فخافوا وقالوا: نحن لم نفعل أى شىء فماذا يريد منا حاكم القرية؟

قال كبير الحراس: لا أدرى ولكنه يريدكم الآن.

ذهب الأصدقاء الثلاثة مع كبير الحراس إلى الحاكم وعندما وصلوا إلى القصر أمر الحاكم بإدخالهم على الفور.

قال لهم الحاكم: لقد علمت بما فعلتم وسعدت جدًّا لهذا الإيثار الذى كان بينكم ولذا سأقدم لكل واحد منكم مكافأة يبلغ قدرها عشرة آلاف درهم جزاء على ما فعلتموه. . . بل وسأعطى زوجة أحمد أيضًا مكافأة لأنها لم تشعر بالحزن عندما أعطى المال لصديقه محمود.

ففرح الأصدقاء الثلاثة بهذه المكافأة. . . وفرحت زوجة أحمد أيضًا وعلموا أن هذا جزاء الإيثار ومحبة الآخرين.

«والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه».

* * *


الصبر

الصبر

حبايبي الحلوين: وها هو خُلقٌ عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق الصبر.

* وما أجمل أن يكون المسلم صابراً... فالصبر نصف الإيمان وذلك لأن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.

* أخي الحبيب: ألا تريد أن تفوز بمحبة الرحمن (جلّ وعلا)؟ فعليك بالصبر... فقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[1].

والصبر طريق للإمامة في الدين، فبالصبر واليقين تنال تلك الإمامة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2].

والصبر خير كله إذا كان ابتغاء وجه الله، فالصابر في معية ربه، عليه من الله صلوات ورحمة.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[3].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة الصبر.

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).
(٢) سورة السجدة: الآية: (٢٤).
(٣) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

نعمة الصبر

ابني الحبيب.. ابنتي الغالية:

إن الحياة لا تخلو أبدًا من الابتلاءات والشدائد وذلك لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان... ولن تكون الراحة الكاملة إلا في جنة الرحمن (جلَّ وعلا).

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[1].

وقال ﷺ: «من يُرِد الله به خيرًا يُصِب منه»[2].

ولذلك لا بُدَّ أن تعلم يا ابني أن طريق الجنة هو الصبر.

ولذا قال ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات»[3].

والمكاره لا بد لها من الصبر.

والخلاصة أن البلاء سنة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[4].

* ومن أجل أن نصبر على الابتلاءات في الدنيا جعل الحق (جلَّ وعلا)

---

(١) سورة العنكبوت: الآيات: (١-٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٦٤٥) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٨٢٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٤) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

ثواب الصابرين ليس له حدود، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

وقال ﷺ: «وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»(٢).

* فيجب علينا إذا فقدنا أحبابنا أو أموالنا أو ابتلانا الله بالأمراض والأسقام أن نصبر ونحتسب لنفوز بثواب الصابرين الراضين بقضاء الله (جلَّ وعلا).

صبرًا يا أحبابي

ابني الحبيب: إذا مات واحد من أحبابك فاصبر واحتسب لتفوز بالجنة فقد قال تعالى: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»(٣).

* وإذا أُصبت بأي مرض فاصبر واحتسب لتفوز بثواب الصابرين.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نَصَبٍ، ولا وَصَبٍ، ولا همٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أذى، ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُرِد الله به خيرًا يُصِب منه»(٥).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير

---

(١) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: وقد تقدم.

عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافي به يوم القيامة»[1].

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»[2].

* وإن حُرمت من المال وعانيت من الفقر فاصبر وسوف تنسى كل شقاء وبلاء وحرمان مع أول غمسة في الجنة.

قال ﷺ: «يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ في الجنة صبغة؛ فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[3].

* ولا بد أن تعلم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وأن النعيم الكامل واللذة الدائمة في جنة الرحمن (جلَّ وعلا).

* ونحن نعلم كيف عانى الأنبياء والصالحون من شدة الابتلاء ومع ذلك كانوا في قمة الصبر والرضا.

قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةٌ ابتُلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[4].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٢٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٨٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٣-٤) كتاب الفتن، وأحمد (١٦١٠)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٣).

* بل نحن نتعلم كيف عانى النبى محمد ﷺ من شدة الابتلاءات ومع ذلك كان صابراً على البلاء راضياً عن قضاء رب الأرض والسماء (جل وعلا) فيجب أن نصبر كما صبر النبى ﷺ فهو أسوتنا وقدوتنا.

الرضا بقضاء الله

كان ياما كان.

كان هناك رجل طيب يعيش فى البادية... وكان اسمه سلمان وكان يعيش مع زوجته وأولاده فى بيت بسيط لكنه جميل وكان عنده فى بيته ديك وكلب وحمار.

فكان الديك يوقظهم للصلاة وكان الكلب يحرسهم وكان الحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم.

وفى يوم من الأيام جاء الثعلب المكار فأخذ الديك فحزن أهل البيت عليه كثيراً... فقال عم سلمان: الحمد لله على كل حال... عسى أن يكون خيراً.

وبعد هذا الحادث بعدة أيام جاء الذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزن أهل البيت عليه كثيراً.. وإذا بعم سلمان يقول: الحمد لله على كل حال.. عسى أن يكون خيراً.

ثم لم يمر على هذا الحادث أسبوع حتى أصيب الكلب بحجر فمات فحزن أهل البيت عليه كثيراً.. وإذا بعم سلمان يقول: الحمد لله على كل حال. عسى أن يكون خيراً.

* ومرت الأيام... وفى ليلة من الليالى جاءت عصابة من اللصوص فدخلوا كل البيوت وسرقوا المال والمتاع بل وأخذوا الأطفال الصغار ولم يدخلوا بيت عم سلمان.. وذلك لأنهم كانوا يعرفون البيوت من صوت

الديك أو الكلب أو الحمار.

أما بيت عم سلمان فلم يكن فيه ديك أو كلب أو حمار فكان موتهم رحمة على بيت عم سلمان.. فقد كان موتهم سببًا فى عدم دخول اللصوص بيت عم سلمان.. ولذلك كان عم سلمان يقول فى كل مرة: الحمد لله على كل حال... عسى أن يكون خيرًا.

لعله خير

كان ياما كان... كان هناك ملك عنده وزير مستقيم وحكيم وكان هذا الوزير يتوكل على الله فى جميع أموره إلى أن حدثت هذه الحادثة....

انقطع للملك فى يوم من الأيام أحد أصابع يده وخرج الدم من يده، وعندما رآه الوزير قال: لعله خير إن شاء الله، وعند ذلك غضب الملك على الوزير، وقال: أين الخير والدم يجرى من إصبعي؟...

وبعدها أمر الملك بسجن الوزير: وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته لعله خير وذهب للسجن!!

وكعادته كان الملك فى كل يوم جمعة يذهب إلى النزهة ... وفى آخر النزهة حط رَحله قريبًا من غابة كبيرة وبعد استراحة قصيرة دخل الملك الغابة، وكانت المُفاجأة أن الغابة بها ناس يعبدون صنمًا وكان ذلك اليوم هو يوم عيد الصنم، وكانوا يبحثون عن قُربان يقدمونه للصنم ... وصادف أنهم وجدوا الملك فلم يعرفوه وألقوا القبض عليه لكى يقدموه قُربانًا إلى آلهتهم ... وقد رأوا إصبعه مقطوعًا وقالوا: هذا فيه عيب ولا يُستحسن أن نقدمه قربانًا وأطلقوا سراحه ..!!

حينها تذكر الملك قول الوزير عند قطع إصبعه: لعله خير.

بعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراح الوزير من السجن وأخبره

بالقصة التى جرت عليه فى الغابة... وقال له فعلاً كان قطع الأصبع خيراً لى .. ولكن سوف أسألك سؤالاً واحداً: وأنت ذاهب إلى السجن سمعتك تقول: لعله خير ... وأين الخير وأنت ذاهب إلى السجن؟!!

قال الوزير: أنا وزيرك ودائماً معك ولو لم أدخل السجن لكنت معك فى الغابة وبالتالى قبضوا علىّ عَبَدَة الصنم وقدمونى قُرباناً لآلهتهم وأنا لا يوجد بى عيب... ولذلك دخولى السجن كان خيراً لى!!

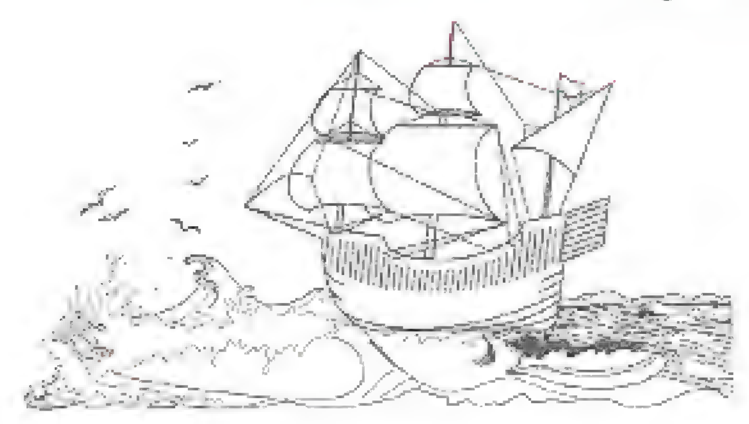
بل هو خير لكم

على شاطئ بحر جميل... كان هناك ثلاثة إخوة يمتلكون سفينة صغيرة تنقل المسافرين.

وفى يوم من الأيام كانت هذه السفينة واقفة على شاطئ البحر تستعد لنقل المسافرين..

وكان أصحاب السفينة ينتظرون حتى تمتلئ السفينة، وأثناء ذلك رأوا شيخاً كبيراً يقف بالقرب من السفينة، ويحمل فى يده حقيبة... لكنه لم يركب.

اقترب أحد الإخوة من الشيخ الكبير وقال له: لماذا لم تركب السفينة معنا، فنحن سوف نتحرك الآن؟



قال الشيخ الكبير: ليس معي نقود الآن... وقد كنت دائمًا أسافر مع أبيكم... وأعطيه النقود بعد ما أعود من السفر.

قال أحد الإخوة: مرحبًا بك ستسافر معنا ولن نأخذ منك شيئًا..

فرح الشيخ الكبير وركب السفينة... وبدأت السفينة تتحرك داخل البحر... وجلس الشيخ الكبير فى السفينة يصنع صندوقًا صغيرًا.. فأخرج بعض الأخشاب من حقيبته وراح يدق بالشاكوش...

وفجأة سقط الشاكوش من يده على ظهر السفينة فأحدث ثُقبًا فيها...

وبدأ الماء يدخل من الثقب إلى السفينة.. وأخذ الشيخ الكبير يحاول أن يمنع دخول الماء لكنه لم يستطع...

ورأى ركاب السفينة الماء يتسرب إلى السفينة فصاحوا: النجدة... النجدة..

وحاول جميع الركاب أن يسدوا الثقب لكنهم لم يستطيعوا... واستمر الماء فى التسرب أكثر وأكثر..

قال الركاب للشيخ الكبير: أنت السبب.. سنغرق كلنا بسببك..

وأثناء ذلك شاهد الركاب مجموعة من السفن تقترب منهم..

وبسرعة بدأ الركاب يشيرون بأيديهم ويطلبون النجدة.

وكانت هذه السفن يمتلكها جماعة من اللصوص، وكانوا يسرقون السفن الجيدة.. فاقترب اللصوص من السفينة وعندما رأوا الماء فى قاع السفينة..

قالوا: هذه سفينة قديمة ستغرق ولن نستفيد منها، ثم ذهبوا وتركوا السفينة.. فرح ركاب السفينة لأنهم نجوا من اللصوص الأشرار..

قال الشيخ الكبير: علينا أن نُخرج الماء من السفينة بسرعة..

وبينما كان الركاب مشغولين بإخراج الماء رأوا طائرًا كبيرًا يطير فى السماء ويُمسك بمنقاره لفافة كبيرة من القماش.. وحوله طيور تهاجمه،

وتحاول خطف اللفافة... وفجأة سقطت لفافة القماش على السفينة..
فأسرع أحد الركاب وأمسك لفافة القماش.

وقال: إن هذا القماش أفضل ما يسد ثقب السفينة..

وبالفعل تم سد الثقب.. وتوقف تسرب الماء..

قال الشيخ الكبير: لقد استجاب الله لدعائنا.. لذلك يجب على كل من معه نقود أن يتبرع ببعض المال لينفق في أعمال الخير حمداً لله..

جمع الركاب عشرة دنانير وقرروا توزيعها على الفقراء والمساكين..

وعندما توقفت السفينة على الشاطئ نزل الركاب... فرأوا امرأة تبكي بشدة، فقال الشيخ الكبير للمرأة: لماذا تبكين هكذا؟

قالت المرأة: كان معي قطعة كبيرة من القماش كنت سأخيطها ثم أبيعها في السوق..

وبينما كنت أشرب من هذا البئر جاء طائر وخطف قطعة القماش وطار بعيداً..

فقال لها الشيخ الكبير: كم ثمن قطعة القماش؟

قالت المرأة: ثمنها دينار كنا سنعيش به طوال الأسبوع أنا وأبنائي الصغار.

رجع الشيخ الكبير إلى الركاب وحكى لهم قصة المرأة.

فقال أحد الرجال: إن قطعة القماش هي التي جعلها الله سبباً في إنقاذنا من الغرق.

وقال رجل آخر: إذاً علينا أن نعطيها النقود التي جمعناها...

وأعطى أصحاب السفينة الدنانير العشرة للمرأة.

ففرحت المرأة كثيراً وحمدت الله تعالى..

* * *

علمني أبي

دخل الأب على أولاده فوجد عبد الرحمن يبكي وقد أمسك المصحف بيده.

فسأله: ما يبكيك يا ولدي؟

قال: أحاول ساعة كاملة يا أبي أن أحفظ سورة الطلاق ولا أستطيع حفظها... يا أبي إني لن أحفظها.

فابتسم الأب وقال: اصبر يا ولدي فإن الصبر مُرٌّ مذاقه لذيذة عاقبته ونهايته، وقد قال رسول الله ﷺ: «ومن يتصبر يُصبره الله وما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»[1].

عبد الرحمن: كيف أصبر يا أبي لأنال هذه النهاية اللذيذة؟

الأب: الصبر يا ولدي هو ثباتك على ما يُرضي الله بدون شكوى ولا ضيق مع استعانتك بالله.

واعلم يا ولدي أن النصر والصبر أخوان لا يفترقان فإن الصبر معه النصر وإن النصر مع الصبر.

فالتفَّ الأولاد حول أبيهم الذي قال: سأحكي لكم قصة جميلة نتعلم منها «أن النصر مع الصبر». حمل «العم جاد» الصياد شبكته واتجه إلى شاطئ البحر... حاول العم جاد الصيد مرات ومرات ولكن محاولاته ضاعت في الهواء، نظر العم جاد الصياد إلى الشبكة بغيظ وقال: ماذا أفعل بك أيتها الشبكة؟ هل أمزقك وأستريح من صحبتك المرهقة؟ أو أحرقك وأهجر الصيد؟

لقد صحبتك إلى كل الشواطئ فلم أعثر على سمكة واحدة... وانفجر

(١) متفق عليه. رواه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

الرجل باكيًا، وبعد لحظات تذكَّر العم «جاد الصياد» أنه كان منذ أسبوع تقريبًا في هذا المكان، وكانت الشمس تميل إلى ناحية الغروب... ساعتها كان العم «جاد الصياد» جالسًا يستريح من ثِقل ما حمله من خيرات الله التي صادها بشبكته ولكنه اليوم يعود بلا صيد وبلا خير وفجأة... لمح «العم جاد الصياد» نملة وهي تحاول أن تحمل حبة من حبوب القمح إلى جحرها.

كانت الحبة أكبر حجمًا من النملة ولكنها كانت تحاول بصبرٍ عجيب، تارة تدفعها وأخرى تجرها، وثالثة ترفعها.

وبعد جهد شاق استطاعت النملة أن ترفع الحبة وتمضي بها تسحبها على جانب صخرة من الصخور حيث كان جحر النملة موجودًا فوق الصخرة مباشرة...

وما كادت النملة تصل إلى باب الجحر عند قمة الصخرة حتى انزلقت الحبة وسقطت من جديد على الأرض بجوار الصخرة... ولم تيأس النملة وعادت من جديد تدور حول الحبة تجذبها تارة وتدفعها تارة أخرى وترفعها ثالثة.

وتكررت عملية انزلاق الحبة أكثر من خمس عشرة مرة، والنملة لا يقل حماسها ولا تضعف عزيمتها عن مواصلة العمل والمحاولة حتى استطاعت في النهاية أن تصل إلى الجحر وأن تُدخل الحبة لتكون زادها المدخر من الصيف للشتاء.

نظر العم «جاد الصياد» إلى النملة بإعجاب ونظر إلى البحر الواسع وحمل بيمينه الشبكة وبخطوات كلها عزم وثبات اتجه الرجل إلى شاطئ البحر يحدوه الأمل في رحمة الله الوهاب، وعاد - بحمد الله - في آخر اليوم وهو يحمل من خيرات الله من البحر الشيء الكثير.

أنس: إن الصبر خُلق عظيم، صاحبه هو المنتصر دائمًا.

عبد الرحمن: سأصبر يا أبي وأحاول حفظ السورة مرة ثانية.

وبعد نصف ساعة جاء عبد الرحمن مسرورًا فرحًا إلى أبيه.

أبشر يا أبي فقد حفظت سورة الطلاق... شكرًا لك يا أبي فقد انتصرت... وإن طعم النصر لذيذ كما وعدتني.

فاحتضن الأب عبد الرحمن وهو يمسح رأسه ويقول: بارك الله فيك يا ولدي بارك الله فيك(١).

علمتني أمي

لقد علمتني أمي الكثير والكثير فهي بحق مدرسة عظيمة وإني أدين لها بالكثير، فكم غرست فيَّ من بذور الحب والعلم والخير، وسقت هذا الغرس وتعهدته ضد الأخطار التي تهدده حتى أثمر خير الثمار.

وكان مما علمتني قوله تعالى: ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(٢).

فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده ليعلم مَن منهم الصادق الذي يحب الله ورسوله ويصدق وعد الله بأنه لو صبر لنال النصر، ومَن منهم الكذاب الذي يخاف عند أول مصيبة ويرجع ولا يستمر في الطاعة.

فالله يختبر عباده مثلاً بالخوف عند الحرب من الأعداء وشيء يسير من الجوع ونقص المال والمرض (نقص الأنفس) ونقص الثمرات بالحرق أو البرد أو غيرها.

---

(١) الصبر/ د. إبراهيم الشربيني (ص: ٥-٧).

(٢) سورة البقرة: الآيات: (١٥٣-١٥٧).

فعندما تقع مصيبة من تلك المصائب كنقص المال مثلاً ينقسم الناس إلى فريقين:

١- الفريق الأول هم الصابرون، فالصابر من صفاته أنه لا يشتكي لأحد بل يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، ولا يخاف ولا يغضب بل يحمد الله ويعلم أن هذه المصيبة هي خير له وسبب في تكفير ذنوبه ويعلم أن النصر مع الصبر فيصبر ويرضى حتى تنتهي المحنة... وهؤلاء وعدهم الله بالرحمة والهدى.

٢- الفريق الثاني: هو الفريق الذي يجزع (يخاف) ويغضب ويسخط على قضاء الله ويشتكي للناس ولا يحمد الله فهذا الفريق خسر أشد الخسارة فقد خسر أجراً عظيمًا وهو أجر الصابرين كما أنه لم ينجح في الامتحان فيغضب الله عليه.

فمنذ أن تعلمت من أمي هذا الخلق العظيم «الصبر» وأنا أُعدُّ نفسي لاستقبال البلاء لأفوز بأجر الصابرين فإن الله يوفيهم أجرهم بغير حساب.

وكلما أرادت نفسي أن تترك الصبر ذكَّرتُها بأم المؤمنين وقصتها الرائعة فهي قدوة حسنة وهي أم سلمة رضي الله عنها.

فقد ابتلاها الله بفقد زوجها الحبيب في إحدى الغزوات مع رسول الله ﷺ.

فاز أبو سلمة بجائزة الشهادة ولكن شعرت أم سلمة بألم فراق الزوج رفيق كفاحها وجهادها في سبيل الله فوسوس إليها الشيطان لتترك الصبر ولكن... تذكرت كلمات سمعتها من خير بني آدم محمد ﷺ وهو يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خير منها»، فقالت أم سلمة كما أمرها رسول الله ﷺ وصبرت ولكن كانت

تقول في نفسها: ومن خير من أبي سلمة؟!!

فأخلف الله لها خيرًا من أبي سلمة... رسول الله ﷺ: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[1][2].

ما الذي يخفف عليك ثقل البلاء

أما عن الأمور التي تخفف عن المريض ثقل البلاء فهي كثيرة... ونذكر منها ما يلي:

١- معرفة أن الله يحبك: «إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه»، وإذا أحبك الله جاءت ثمرة المحبة «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينْه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه»[3].

٢- ملاحظة حُسن الجزاء: فلو جاءك رجل وقال: سأضربك ضربة بيدي، ثم أعطيك مائة ألف جنيه، فهل ستشعر بألم الضربة؟! بالطبع لا (ولله المثل الأعلى). فلك أن تتخيل أن الله يبتليك ويقول لك: إن ثمن هذا البلاء هو الجنة!! لا شك أن حلاوة الأجر ستُنسيك مرارة الألم.

٣- انتظار الفرج: فإنك إذا جاءك المرض تكون بين حالين، إما أن تموت صابرًا محتسبًا فلك الأجر العظيم، وإما أن تُشفى محتسبًا أيضًا فلك سعادة الدارين،... واعلم أن الله لطيفٌ بعباده... ومن لُطفه تعالى بعباده أن تكون أنت في قمة البلاء، وعلى الرغم من ذلك يُلقي الله في قلبك الراحة والرضا بقضاء الله والثقة في الأجر والثواب من عند الله تعالى.

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٢٢).

(٢) انظر [illegible]

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

٤- تهوين البَلِيَّة: وذلك بأن تحمد الله على أن البلاء فى الدنيا وليس فى الدين، وتحمده أيضًا أنه لم يكن أشد من ذلك.

٥- سماع سير أهل البلاء: فإن ذلك يُهوِّن عليك البلاء. وذلك لأن سماع سيرتهم يجعل الإنسان يشعر بأن هناك مَن ابتُلى بمثل هذا البلاء - فيتصبر بسيرته -.

* * *





التعاون



التعاون

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق النبي محمد ﷺ ينبغي أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق التعاون فالتعاون نعمة عظيمة لأن المسلم قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه ضعيفٌ بنفسه قويٌ بإخوانه.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع خُلق التعاون.

نعمة التعاون

هل فكرت يومًا ماذا سوف يحدث إذا توقَّف أفراد المجتمع عن إعانة المحتاج؟ تخيَّل جريحًا مُلقى بوسط الطريق يتألَّم ويمرُّ به السائرون فمنهم من يخاف أن تعطِّله مساعدته عن عمله ومنهم من يُسرع في طريقه قائلاً: يُوجد آخرون غيري سوف يساعدونه فمالي أنا وتلك المشكلة؟! مسكينٌ هذا الشخص، إن هذا الحادث لا يمكن أن يحدث لي أنا بالتأكيد!!».

وما أسهل كسر حزمة من العصي إذا كسرتها واحدةً بعد أخرى وما أصعب كسرها مجتمعة.

لقد أدركت الحيوانات والحشرات ذلك بفطرتها فتراها تعيش في جماعات لا ينفصل أفرادها، يؤدِّي كلٌ منهم عمله في إخلاصٍ ويعاون الآخرين من أجل بقاء جماعته.

ولكن هل هذا هو كل شيء عن خلق التعاون؟ اقلب الصفحة لتعرف الكثير عن هذا الخلق العظيم.

* * *

المسلم أخو المسلم

حَثَّ الإسلام على خُلق التعاون ودعا إلى التحلي به، حيث ربط بينه وبين وحدة المسلمين وترابطهم، فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (١) كما يُرشد القرآن الكريم إلى الأسلوب الصحيح للتعاون والمعنى الحقيقي له فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (٢).

ويأتي رسولنا الكريم ﷺ فيكون قدوة للناس في التعاون قولاً وفعلاً فيقول النبي ﷺ عن التعاون: «المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» (٣) ويصف النبي ﷺ تعاون المؤمنين فيقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» (٤).

ويقول أيضاً: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٥).

ويَعدُ النبي ﷺ من يعاون أخاه بعون من الله سبحانه فيقول: «الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (٦)(٧).

* * *

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٠).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨١) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٥٨٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٧) التعاون (ص: ٣-٤) - الأستاذة: أسماء محمد - شركة سفير.

النبى ﷺ يحض الأمة على خُلق التعاون

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا».

قال: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «تأخذ فوق يديه»[١].

* وعن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا[٢] في الغزو أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»[٣].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، أيُّ الناس أحبُّ إلى الله تعالى؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد» يعني مسجد المدينة - شهرًا، «ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يُمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يثبتها له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»[٤].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٤) كتاب المظالم والغصب.

(٢) أرملوا: أي فنى طعامهم.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٨٦) كتاب الشركة، ومسلم (٢٥٠٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج (ص ٤٧، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٦).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويلٌ لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه»[(١)].

* وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ، كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة، قال: «اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان رسوله ما شاء»[(٢)].

* وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: إنه طلب غريمًا له فتوارى عنه ثم وجده، فقال: إني معسر.

فقال: آلله؟

قال: آلله.

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سرَّه أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه»[(٣)].

* وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾[(٤)]، قال: يا رب، آتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان من خُلُقي الجواز[(٥)]، فكنت أتيسر على الموسر وأُنظر المعسر، فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي»[(٦)].

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٢٣٧) في المقدمة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٣٣٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٣٢) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٦٢٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٣) كتاب المساقاة.

(٤) النساء: الآية: (٤٢).

(٥) الجواز: التسامح والتساهل.

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة.

حال النبي ﷺ مع خلق التعاون

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة»[(١)].

* عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبرَّ بطنه يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سَكينة علينا
وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته: أبينا أبينا»[(٢)].

* وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يخطب فقال: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»[(٣)].

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٠٣٩) كتاب الأدب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤١٠٤) كتاب المغازي، ومسلم (١٨٠٣) كتاب الجهاد والسير.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٦٩ ، رقم ٥٠٤) ، والبزار (٢/ ٥٩ ، رقم ٤٠١)، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

الجسد الواحد

كان ياما كان.

كان هناك مجموعة من الإخوة ولكنهم كانوا متفرقين ومتنازعين وكان أبوهم يوصيهم بأن يجتمعوا ويتآلفوا ولكنهم كانوا مُصرين على الفُرقة والتنازع.

جلس أبوهم وهو فى غاية الحزن والألم لحال أولاده.

وظل يفكر ويقول فى نفسه: كيف أستطيع أن أجعل أولادى متآلفين متحابين.

وفجأة قال بعد تفكير عميق: الحمد لله لقد وجدتها.

فنادى على أولاده بعدما أحضر حزمة من الحطب وقال لكل واحد منهم: أريدك أن تكسر حزمة الحطب وحدك.

فأخذ كل واحد منهم يحاول أن يكسر حزمة الحطب فلم يستطع فقام أبوهم وفكَّ حزمة الحطب وأعطى كل واحد منهم قطعة واحدة فكسرها بسهولة.

فقال لهم أبوهم: هذه رسالتى لكم.. فإنكم إن اجتمعتم وتحاببتم كنتم كهذه الحزمة القوية لا يستطيع أعداؤكم أن يكسروكم وإن تفرقتم فإنه يسهل عليهم أن يكسروكم.

فقال الأولاد: لقد تعلمنا الدرس جيدًا.. ومن الآن سوف نجتمع ونكون إخوانًا وأحبابًا فإن الاتحاد قوة.

* * *

الاتحاد قوة

كان ياما كان... كان هناك أربعة أصدقاء: أرنب وسلحفاة وديك وزرافة. وقف الأرنب والسلحفاة والديك والزرافة أمام شجرة التفاح فرأوا تفاحة تتدلى من أحد الأغصان.

فقال الأرنب: هذه التفاحة لي وحدي.

فقالت له الزرافة في سخرية: إنها من حقي؛ لأني أطول منك وأستطيع أن أقطفها، انظروا ماذا سأفعل؟

ومدت الزرافة رقبتها الطويلة؛ لكي تقطف التفاحة لكنها فشلت في قطفها فقد كان غصن التفاحة عاليًا جداً.

فقال الديك: أنا سوف أقفز وأطير بجناحي وآتي بها.

تقفز الديك: ولكنه فشل في الحصول عليها.

انسحبت السلحفاة وهي تقول: سوف أحصل عليها بأي طريقة.

فنادى عليها الديك والزرافة والأرنب وقالوا لأنفسهم: هيا بنا نذهب



جميعًا إلى حكيم الصحراء (الجمل) لنحكي له ونأخذ رأيه.

وعندما استمع الجمل إلى مشكلة التفاحة هز رقبته وقال لهم: إن الاتحاد قوة، وبالتعاون تبلغون الآمال، فإذا ما تعاونتم واشتركتم لأصبحتم يدًا واحدة. وانتهت الصعاب، وبلغتم ما ترجونه جميعًا بأسهل طريقة.

فقالوا جميعًا: وماذا نفعل كي نحصل على التفاحة؟

فقال لهم الجمل: سآتي معكم، ولنرى جميعًا فائدة التعاون.

فقالوا جميعًا: هيا بنا.

وساروا جميعًا حتى وصلوا إلى شجرة التفاح.

ثم قال الجمل للزرافة: قفي أنتِ تحت شجرة التفاح؛ ولتصعد السلحفاة فوق رأسك ويقف الأرنب على ظهر السلحفاة ويصعد الديك فوق ظهر الأرنب.

ففعلوا كما أشار عليهم الجمل وأخذ الديك التفاحة ثم أعطاها للجمل فقسمها بين الأربعة فأكلوا وسعدوا جميعًا.



صور التعاون

* معاونتك في رعاية إخوتك الصغار وتلبية طلبات الأسرة تمثل معاونة نافعة لأسرتك.

* مساعدتك في تفريج كرب المدين وإعانة المحتاج تمثل خدمة لمجتمعك.

* الاتحاد مع زملائك لأداء عملٍ نافع يمثل خدمة ومنفعة لك ولجماعتك.

* إماطتك الأذى عن الطريق وكفُّه عن الناس تمثل معاونة لأفراد مجتمعك.

* طاعتك لوالديك ومعلمك تمثل معاونة لهم في تنشئتك.

* دفعك للظلم عن المظلوم ونصره على ظالمه تمثل معاونة منك في نصرة الحق.

* معاونة إخوانك في ترك المعصية وسلوك طريق الخير تمثل معاونة منك في دعم مجتمعك الإسلامي ودينك.

* محافظتك على البيئة والممتلكات العامة والمرافق تمثل معاونة لمجتمعك ووطنك.

والآن تعاون مع أصدقائك في اكتشاف صورٍ أخرى للتعاون[1].

* * *

---

(1) التعاون (ص: ٩).

تعاون.. ولكن

* لا تدَّعي القدرة على أداء ما لا تستطيع القيام به.
* لا تتخذ التعاون حجة للتدخل في شئون الآخرين بل قدِّم المساعدة لمن يحتاجها فقط.
* لا تُفاخِر بعونك مَن عاونته.
* راعي أن يكون نصيبك من العمل مساويًا لنصيب أصدقائك.
* قدِّم المساعدة في الوقت المناسب وليس بعد أو قبل ذلك.
* لا تنتظر مقابلاً لتعاونك إلا من الخالق سبحانه وتعالى.
* اعرف الفرق بين من يحتاج معاونتك ومن يريد استغلالك.
* ابدأ بمعاونة أهل بيتك أولاً.
* تعاون في الخير فقط اتباعًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

ثمار التعاون

* تعاونك مع إخوانك يزيد المحبة بينكم.
* أنت أقوى وسط إخوانك منك وحدك.
* تقسيم العمل بينك وبين إخوانك يعني مجهودًا أقل ووقتًا أقل.
* يكون الله في عونك دائمًا ما دمت في عون إخوانك.
* يجزيك الله حسن ثواب الآخرة عن عونك لإخوانك.
* العمل الجماعي يتيح تعدد الآراء مما يساعد على إخراج العمل في أحسن صورة.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٢).

* بتحلّيك وإخوانك بخلق التعاون تسهم في إظهار مجتمعك بمظهر متحضر.

* بتحليك بخلق التعاون تتحلى بصحبة أخرى من الأخلاق الكريمة كالإيثار والعطف والرحمة[1].

* * *

(١) المصدر نفسه: (٦-٧)



العفو والصفح



العفو والصفح

حبايبي الحلوين: وها هو خلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به . . . ألا وهو خُلق العفو والصفح.

* وما أجمل أن نعفو عن الناس ونسامح ونصفح عمن أساء إلينا . . فهذا من أعظم الأبواب لجلب المودة والمحبة بين العباد.

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1].

فإذا قذفك شخص بمسبة فاقذفه بالعفو عنه واقذفه بالكلام الطيب.

إذا أساء شخص إليك فأحسن إليه، فلن يزال معك من الله ظهير عليه ما دمت على عفوك وإحسانك.

* إذا ظلمك شخص فتجاوز عنه: فإن الله يدافع عنك، فالله سبحانه وتعالى يدافع عن المظلوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[2].

* إن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾[3]، هذا في حق من عاقب بمثل ما عوقب به، لينصرنه الله!! فكيف بالذي ترك حقه كله لله؟!

---

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨).

(٣) سورة الحج: الآية: (٦٠).

* فالزم جانب العفو فإن العفو من شيم المحسنين:

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(٣).

* وقال النبي ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٤).

* وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ارحموا تُرحموا، واغفروا يُغفر لكم ..»(٥).

* وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى»(٦)(٧).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع نعمة العفو والصفح.

* النبي ﷺ يحض الأمة على العفو:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(٨).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٢) سورة التغابن: الآية: (١٤).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٤٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) قال الشيخ مصطفى العدوي: أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩) وعبد بن حميد في المنتخب (بتحقيقي ٣٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (حديث ٣٨٠) والحديث صحيح لشواهده.

(٦) صحيح: رواه أحمد (٦٠٧٩) من طريقين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، وابن ماجه (٤١٨٩) كتاب الزهد، وهو صحيح بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٧) فقه الأخلاق/ الشيخ مصطفى العدوي (ص: ٨١، ٨٢).

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال(١)، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا(٢)، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله(٣)»(٤).

* وقال ﷺ: «من كتم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء»(٥).

* وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا»(٦).

هذا هو النبي ﷺ

* عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا

(١) «ما نقصت صدقة من مال»: ذكروا فيه وجهين: أحدهما معناه: أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية. وهذا مدرك بالحس والعادة. والثاني أنه: وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

(٢) «وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا»: فيه أيضًا وجهان: أحدهما على ظاهره، ومن عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب، وزاد عزه وإكرامه، والثاني: أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك.

(٣) «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»: فيه أيضًا وجهان: أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة رفعه فيها بتواضعه في الدنيا. قال العلماء: وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة. وقد يكون المراد الوجهين معًا في جميعها في الدنيا والآخرة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) حسن: رواه أبو داود (٤٧٧٧) كتاب الأدب، والترمذي (٢٠٢١) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٥١٩٢)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥١٨).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب.

فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح[١].

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التى فى القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٢]، قال فى التوراة: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً[٣] للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ[٤] ولا غليظ[٥] ولا سخاب بالأسواق[٦]، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عُميًا، وآذانا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا»[٧].

صور مشرقة من عفو النبى ﷺ

وهذا نبينا محمد ﷺ نال من العفو الثريا فهذه قريش بالغت فى أذاه ﷺ وأحكمت قبضتها منه ثم أخرجته من بين أهله وعشيرته.... قتلوا من أصحابه في يوم أُحد سبعين وجرحوا آخرين،... جُرح ﷺ وكُسرت رباعيته وشُج وجهه ﷺ وهو يقول: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

ثم أمكنه الله منهم فعاد فاتحًا مكة ومعه أكثر من عشرة آلاف معهم السيوف مُسلطة على رؤوس قريش، وهو يقول لهم: «ما ترون أنى فاعل

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٠١٦) كتاب البر والصلة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٥٨٢٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٤٥).

(٣) حرزاً: وعاء حصينًا لحفظ الأميين.

(٤) فظ: الفظ هو الجافى السيئ.

(٥) غليظ: شديد صعب.

(٦) سخاب بالأسواق: بمعنى الصياح بصوت عالٍ وهى بالسين والصاد.

(٧) صحيح: رواه البخارى (٢١٢٥) كتاب البيوع.

بكم؟» فقالوا: خيرًا أخ كريم، وابن أخ كريم... فقال ﷺ: «أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: «لا تثريب عليكم اليوم» اذهبوا فأنتم الطلقاء».

والذى يتتبع سيرة النبى ﷺ يرى سجلاً حافلاً من صور العفو.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله ـ عز وجل ـ[(١)].

* ونحن نعلم – يا حبايبى – أن النبى ﷺ عفا عن وحشيٍّ الذى قتل عمه حمزة بن عبد المطلب فى غزوة أُحد.

* وعفا عن رأس المنافقين عبد الله بن أُبى بن سلول الذى كان يكره النبى ﷺ ويحاربه ويدبر له المؤامرات الحقيرة لإيذائه وكان منها أنه اتهم زوجة النبى ﷺ أم المؤمنين عائشة بأنها فعلت الفاحشة ومع كل هذا عفا عنه النبى ﷺ وصلى عليه بعد موته.

* بل عفا النبى ﷺ عن حاطب بن أبى بلتعة لما أراد أن يُفشى سرَّ فتح مكة للمشركين.. فعفا عنه النبى ﷺ لأنه شَهِد غزوة بدر ولذلك لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق.

قال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[(٢)].

* وعفا النبى ﷺ عن عكرمة بن أبى جهل الذى ظل يحاربه أكثر من عشرين سنة... وكان النبى ﷺ قد أباح دمه فى يوم فتح مكة... ومع ذلك لما طلبت أم حكيم زوجة عكرمة من رسول الله ﷺ أن يعفو عن عكرمة عفا عنه النبى ﷺ وجاء عكرمة وأسلم بين يدى الرسول ﷺ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٠٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٩٤) كتاب فضائل الصحابة.

وكان من خيرة الناس بعد ذلك حتى مات شهيداً فى معركة اليرموك.

* بل عفا النبى ﷺ عن رجل يهودى آذى النبى ﷺ وعمل له سحراً.. ومع ذلك عفا عنه النبى ﷺ.

* وعفا النبى ﷺ عن المرأة اليهودية التى دعته إلى الطعام بعد غزوة خيبر ووضعت له السم فى الشاة التى أكل منها... ومع ذلك عفا عنها النبى ﷺ.

* وعفا النبى ﷺ عن الرجل الأعرابى الذى بال فى المسجد فلما أراد الصحابة أن يضربوه نهاهم عن ذلك وقال: «**دعوه وهريقوا على بوله سَجلاً من ماء أو ذَنوبًا من ماء فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا معسرين**»(١).

* ولو استطردنا فى الأمثلة لوجدنا الكثير والكثير من عفو النبى ﷺ عن كل من أساء إليه حتى نتعلم منه العفو والصفح فهو أسوتنا وقدوتنا ﷺ.

حكاية صياد السمك

يُروى أن صياداً يصطاد السمك، ويُطعم منه أطفاله وزوجته، خرج يومًا للصيد، فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها، ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها، ويصرف ثمنها فى مصالح عياله.



فلقيه بعض الظلمة من أعوان السلطان، فرأى السمكة معه، فأراد أخذها منه، فمنعه الصياد، فرفع الظالم خشبة كانت بيده، فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصبًا بلا ثمن.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠) كتاب الوضوء.

فدعا الصياد عليه فقال: إلهي! جعلتني ضعيفًا، وجعلته قويًا عنيفًا، فخذ لي بحقي منه عاجلاً، فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله، وسلمها إلى زوجته، وأمرها أن تشويها، فلما أخذتها أفلتت السمكة من يديها، وفتحت فمها وضربته في أصبع يده ضربة طار بها عقله. فقام وشكا إلى الطبيب ألمًا في يده، فلما رآها قال له: إن دواءها أن تُقطع الإصبع، لئلا يسرى الألم إلى بقية الكف.

فقطع إصبعه، فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد، وازداد تألمًا، وارتعدت من الخوف فرائصه، فقال له الطبيب: ينبغي أن تُقطع اليد إلى المعصم لئلا يسرى الألم إلى الساعد فقطعها، فانتقل الألم إلى الساعد.

فمازال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى العضو الذي يليه.

حتى خرج هائمًا على وجهه، مستغيثًا إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به.

فرأى شجرة فقصدها، فأخذه النوم عندها فنام، فرأى في منامه قائلاً يقول: يا مسكين! إلى كم تُقطع أعضاؤك؟ امضِ إلى خصمك الذي ظلمته فاطلب منه أن يسامحك، فانتبه من النوم، وفكَّر في أمره، فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد، فدخل المدينة، وسأل عن الصياد، وأتى إليه، ووقع بين يديه يتمرَّغ على رجليه، وطلب منه أن يسامحه ودفع إليه شيئًا من ماله، وتاب من فعله، فرضي عنه الصياد وعفا عنه، فسكن في الحال ألمه، وانتهت في التو محنته.

* * *

خيرهما الذى يبدأ بالسلام

اعتاد صلاح وعلى دائمًا أن يقضيا بقية اليوم بعد المدرسة فى منزل أحدهما فيقوما بالانتهاء من واجباتهما المدرسية، ثم قضاء باقى الوقت فى اللعب سويًا، ولا يفترقان إلا عند وقت النوم فقط، فينام كل واحد فى منزله، ثم يتقابلان فى الصباح أمام باب المنزل ليذهبا سويًا إلى المدرسة، حيث إنهما كانا جارين..

كانت الصداقة بين على وصلاح قوية، وكان كل واحد منهما يحب الآخر جدًا ولا يتخيل أن يمر يوم دون أن يقضيه مع صديقه. وعندما أتم صلاح حفظ جزء من أجزاء القرآن الكريم، أقامت والدته حفلة صغيرة ودعت فيها عليًا وبقية أصحاب صلاح وكانت حفلة جميلة استمتع فيها صلاح وعلى مع أصدقائهما باللعب وبتورتة الاحتفال.

وبعد انتهاء الحفلة جلس علىٌ مع صلاح وهو يفتح الهدايا التى قدمها له الأصدقاء، وقد كانت هدايا جميلة بالفعل، ولكن أكثر ما لفت نظر الاثنين هو قطارٌ كهربائىٌ كبيرٌ يمشى على قضبان ويقف فى محطات صغيرة..

تحمس الاثنان للعب بذلك القطار، ولكن فى هذه اللحظة دخلت والدة صلاح وأخبرت عليًا بأن والدته اتصلت لاستدعائه للعودة إلى المنزل؛ لأن ميعاد النوم قد حان..

ودَّع علىٌّ صلاحًا ووالدته بعد أن وعده صلاح بأن يعود للعب بالقطار فى اليوم التالى بعد المدرسة..

مر اليوم التالى فى المدرسة بطيئًا أو هكذا ظن كل من صلاح وعلى، فقد كان الاثنان يحلمان بالعودة إلى منزل صلاح واللعب بالقطار.

وفور عودتهما إلى المنزل دخلا حجرة صلاح وبحثا بين الهدايا عن

القطار، ووجده علىٌّ فى وسط الهدايا..

قال صلاح: أخرجه يا على لنلعب به.

أخرج علىٌّ العلبة التى تحتوى على القطار وبدأ فى إخراجه منها، ولكن بينما هو يحاول إخراجه سقط منه على الأرض.

نظر الاثنان فوجدا القطار وقد تحطم نتيجة لسقوطه على الأرض.. شعر علىٌّ بالإحراج الشديد، وأراد أن يعتذر إلى صلاح عن هذه الغلطة غير المقصودة ولكن صلاحًا لم يعطه أى فرصة، وقال له وهو فى غاية الغضب:

هذا قطارى الذى كنت أريد اللعب به، والآن أنت حطمته، أنا لا أريد اللعب معك مرة أخرى.

فوجئ علىٌّ بكلام صلاح، وحزن جداً، فكيف يرفض اللعب معه وهما الصديقان اللذان لا يفترقان أبداً؟! ثم إنه فعلاً لم يقصد أن يوقع القطار.

شعر علىٌّ بالغضب الشديد من صلاح على كلامه فخرج عائداً إلى منزله وقرر ألا يكلم صلاحًا مرة أخرى..

ومرت الأيام التالية على غير العادة، فكان كل منهما يذهب إلى المدرسة بمفرده ويتقابلان فى المدرسة فلا يسلمان على بعضهما ولا يتحدثان، وعند العودة من المدرسة كان كل منهما يعود إلى منزله..

مرت الأسابيع، وفى يوم دخل أحد المدرسين فصل صلاح وعلىٌّ، وأعلن عن إقامة إحدى المسابقات بالمدرسة، وكان من شروط المسابقة أن يشترك كل تلميذين فى الدخول للمسابقة.. فكر صلاح فيمن يمكن أن يشترك معه فى المسابقة، ففوجئ بأنه على الرغم من كل شىء فإنه ليس لديه أعز من علىٌّ ليشترك معه ويمكن أن يعتمد عليه..

ولكنه وجد مشكلة.. كيف يمكن أن يطلب من علىٌّ أن يشاركه فى

المسابقة وهما متخاصمان . . كيف سيسامحه عليٌّ على الكلام الذى قاله فى حقه؟؟

هل كان القطار فعلاً يستحق أن يخسر بسببه صديق عمره؟

وجد نفسه يجيب بقوة: لا وألف لا . . عليٌّ عندى بالدنيا، ولكنه عاد لنفس السؤال كيف يمكن لهما أن يتصالحا؟

مر يومان وصلاح يفكر فى الأمر، وعندما همَّ بالذهاب إلى محادثة عليّ فوجئ بعليٌّ مُقبلاً عليه وعلى وجهه ابتسامة افتقدها منذ أن تخاصما.

ابتسم صلاح بدوره وأسرع بمد يده ليصافح عليًّا، فما كانَ من عليٌّ إلا أن مد يده وصافحه، ثم احتضنه . .

قال صلاح: كنت خائفًا ألا تسامحنى وترددت فى أن أكلمك . . لم أكن أتوقع أن تقبل عليَّ بهذه الرحابة وسعة الصدر.

ردَّ عليٌّ: أنت صديقى وأخى فكيف نبتعد عن بعضنا البعض . . لقد شعرت فى الأيام السابقة بمرارة شديدة ونحن مفترقان . . ثم تذكرت قول رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان، يُعرض هذا ويُعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**».

فقلت: كيف كنا نتقابل فلا نسلم حتى على بعضنا البعض؟! لقد ندمت أشد الندم وقررت أنه يجب علينا أن نتصالح فوراً . . وجئت فوجدتك تبادلنى الشعور نفسه . . وها نحن قد تصالحنا ولله الحمد.

قال صلاح: ولن نتخاصم أبدًا بعد ذلك بإذن الله.

قال عليٌّ: نعم لا يمكن أن نفترق عن بعض مرة أخرى . . والآن لنستعد للمسابقة سويًّا[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) علمنا رسول الله / ريهام محمد فريد (ص: ٣٤-٤١).

هيا نفتح صفحة العفو من جديد

هيا يا حبايبي لنبدأ مرة أخرى ونفتح صفحة العفو من جديد فنعفو عن كل من ظلمنا أو أساء إلينا لنفوز بعفو الله ورحمته ومغفرته... فإنه من عفا عن الناس عفا الله عنه... ومن غفر للناس غفر الله له... ومن رحم الناس رحمه الله في الدنيا والآخرة.

* ولذلك كان دعاء ليلة القدر: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني»[١] لأن العفو أعظم وأبلغ من المغفرة فإن الله إذا غفر لعبد ولم يعفُ عنه فإنه يحاسبه يوم القيامة على ذنوبه ولكن لا يعذبه عليها أما إن عفا الله عن العبد فإنه يمحو ذنوبه من الصحيفة فلا يحاسبه ولا يعاقبه.

فمن أراد أن يفوز بعفو الله فعليه أن يعفو عن كل من ظلمه أو أساء إليه.

من فوائد العفو والغفران

(١) العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.

(٢) كلاهما دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٣) كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن الظن.

(٤) كلاهما يثمر محبة الله ـ عز وجل ـ ثم محبة الناس.

(٥) العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلل.

(٦) الغفران دليل على كمال النفس وشرفها.

(٧) كل من العفو والغفران يهيئ المجتمع والنشء الصالح لحياة أفضل.

(٨) كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين[٢].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٨٥٠) كتاب الدعاء، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٢٣).

(٢) نضرة النعيم (٧/ ٢٩١٠).

من فوائد الصفح

(١) الصفح أعمق من العفو.. إذ يزيل الله به أثر الضغائن.

(٢) أمر الله المؤمنين بالصفح حتى عن ألد الأعداء كي يذوقوا حلاوة الإيمان، فيدخلوا فيه.

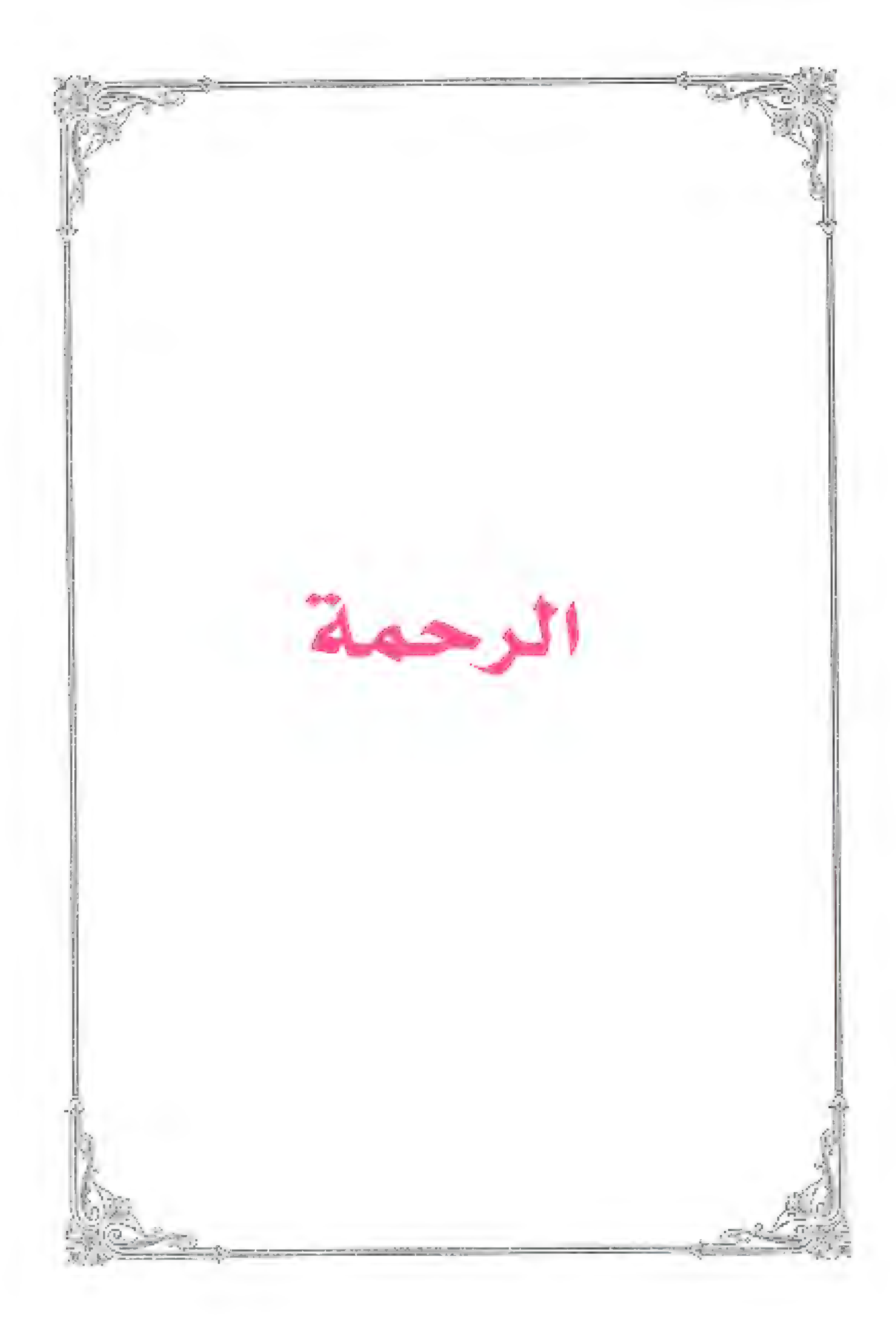
(٣) الصفح من مستلزمات الإحسان، والإحسان أعلى درجات الإيمان.

(٤) الصفح يقوى رابطة التآخى بين أفراد المجتمع ويجعلهم متحابين متحدين.

(٥) الأمة التي يتحلى معظم أفرادها بالصفح، تكون أمة سعيدة في الدنيا والآخرة. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[1].

* * *

(١) تفسير الشعراوي (١/ ٥٣٤٢).



الرحمة



الرحمة

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخلاق الرسول ﷺ يجب أن نتحلى به... ألا وهو خُلق الرحمة.

وما أجمل أن نحمل الرحمة في قلوبنا لكل الناس من حولنا فإن الله (جلَّ وعلا) لا يرحم إلا أهل الرحمة الذين يرحمون كل من حولهم.

نعمة الرحمة

* عندما ترى امرأة عجوزًا تحمل حملاً ثقيلاً، وهي تُعاني بما تحمله، وتكاد تقع مع كل خطوة تخطوها فتشعر نحوها بالشفقة والعطف،... وعندما تجد قطة صغيرة لا ترى أمامها، وهي ترتعش من شدة البرد، ولا تعرف كيف تُطعم نفسها فتتألم لها أشد الألم،... وعندما يقع بصرك على طفلٍ تاه عن أهله، وهو يبكي بحرقة وألم فترقُّ لبكائه وتتألم لألمه، إن كل ما شعرت به من شفقة وعطف ورقَّة وألم نحو هؤلاء هو الشعور بالرحمة.

* والرحمة صفةٌ من صفات الله - عزَّ وجلَّ - فهو سبحانه الذي خلقنا، وهو الذي يطعمنا ويسقينا، وإذا مرضنا فهو يشفينا، وهو الذي يهدينا إلى الإيمان به.

ورحمة الله واسعةٌ، ومظاهرها كثيرةٌ لا يمكن عدُّها ولا حصرُها؛ فهي تشمل كل شيء، وتصل إلى كل مخلوق، وكلنا في حاجة إليها، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1].

وهو سبحانه الذي خلق الرحمة في قلوب عباده، لذلك يتراحم الناس فيما بينهم.

---

(١) الأعراف: الآية (١٥٦).

يقول النبي ﷺ: «جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[1][2].

أين الرحمة؟

إننا في الحقيقة نعيش زمانًا نفتقد فيه لهذا الخُلق الجليل فلقد أصبح الحديث عن الرحمة كأنه دربٌ من الخيال أو أسطورة من أساطير ألف ليلة وليلة. وذلك لأن الرحمة غابت بين أكثر الناس حتى لا نكاد نراها بين أكثر المسلمين - إلا من رحم الله -.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إننا على قدر الرحمة التي تكون في قلوبنا لمن حولنا سنجد الرحمة من أرحم الراحمين - جل وعلا-.

* وقد أمرنا الله أن نتأسى وأن نقتدي بالأنبياء والمرسلين فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[3].

وقد وصف الله رسوله ﷺ وأصحابه بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[4] وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[5]

* بل وأخبر النبي ﷺ أن الرحمة إذا كانت بين المؤمنين فإنها تجعلهم كالجسد الواحد فقال ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٠٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

(٢) الرحمة/ أ. سلامة محمد سلامة (ص: ٣)

(٣) سورة الأنعام: الآية: (٩٠).

(٤) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩)

كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[١].

* وأخبر النبي ﷺ أن الرحمة من صفات أهل الجنة.. فقد قال ﷺ: «...وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال...»[٢].

* وقد أخبر النبي ﷺ أنه لن يدخل أحدٌ جنة الرحمن إلا برحمته - جل وعلا- فقال ﷺ: «لن يُدخل أحدًا عملُه الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته»[٣].

* والله - عز وجل- لا يرحم إلا أهل الرحمة كما أخبر بذلك النبي ﷺ حيث قال: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[٤].

* ومن ثم فإن الرحمة هي أقرب طريق يوصلنا إلى جنة الرحمن - جل وعلا-... ولذا تأمل معي هذا المشهد الجليل: فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة، تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار»[٥].

* فتعالوا بنا لنتعايش مع خُلق من أخلاق الرسول ﷺ.. ألا وهو خلق الرحمة عسى أن يرزقنا الله رحمة في قلوبنا تجعلنا أهلاً للفوز

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٧٣) كتاب المرضى، ومسلم (٢٨١٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٧٣٧٦) كتاب التوحيد.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٠) كتاب البر والصلة والآداب.

برحمته -جل وعلا- وللفوز بصحبة نبيه ﷺ في الجنة... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الراحمون يرحمهم الرحمن - جل وعلا -

إن قلب المؤمن يفيض بالرحمة على كل من حوله.. فهو يعلم يقينًا أنه على قدر الرحمة التي تكون في قلبه للناس من حوله فإنه سيجد في مقابلها رحمة أعظم منها تنتظره في الدنيا والآخرة من الرحمن الرحيم -جل وعلا-... فهو يرحم كل من رحم عباده ولذا قال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرُّحماء»[1].

وقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[2].

وقال ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[3].

* فالرحمة دليل على سعة الصدر، ورقة القلب، وسمو النفس، والرجل الذي تسمو نفسه إلى معالي الأخلاق يعرف الحق، ويرحم الناس، بل يرحم الخلق كافة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تؤمنوا حتى ترحموا».

قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨٤) كتاب الجنائز، و(٥٦٥٥) كتاب المرضى، ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٤١) كتاب الأدب، والترمذي (١٩٢٤) كتاب البر والصلة، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٢٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٣٧٦) كتاب التوحيد.

قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة»[١].

رحمة الله واسعة

كان يا ما كان. . . كان هناك رجل غني لكنه كان بعيداً عن طاعة الله.

فقد كان يشرب الخمر بل ويجمع أصحابه في البيت على شرب الخمر.

وفي يوم من الأيام جمع أصحابه على شرب الخمر وأراد أن يشتري لأصحابه فاكهة فأرسل خادمه ليشتري فاكهة ودفع إليه أربعة دراهم.

وفي أثناء سير الخادم مر بالرجل الزاهد منصور ابن عمار وهو يقول: من يدفع أربعة دراهم لفقير غريب دعوت له أربع دعوات،. . . فأعطاه الغلام الدراهم الأربعة.

فقال له منصور بن عمار: ما تريد أن أدعو لك؟

فقال الغلام: لي سيد قاسٍ أريد أن أتخلص منه، والثانية: أن يخلف الله عليّ الدراهم الأربعة، والثالثة: أن يتوب الله على سيدي، والرابعة: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم، فدعا له منصور بن عمار، وانصرف الغلام ورجع إلى سيده الذي نهره وقال له: لماذا تأخرت وأين الفاكهة؟ فقصَّ عليه مقابلته لمنصور الزاهد وكيف أعطاه الدراهم الأربعة مقابل أربع دعوات، فسكن غضب سيده وقال: وما كانت دعوتك الأولى؟

قال: سألت لنفسي العتق من العبودية.

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤٥٣): أخرجه الطبراني، ورجاله ثقات. وقال الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢٧٠): هو في كتاب «الأدب» للبيهقي حديث (١٦٧)

فقال السيد: قد أعتقتك فأنت حرٌ لوجه الله تعالى، وما كانت دعوتك الثانية؟

قال: أن يُخلف الله عليَّ الدراهم الأربعة.

قال السيد: لك أربعة آلاف درهم.

قال: وما كانت دعوتك الثالثة؟

قال: أن يتوب الله عليك.

فطأطأ السيد رأسه وبكى وأزاح بيديه كؤوس الخمر وكسرها وقال: تبت إلى الله لن أعود أبدًا.

وقال: فما كانت دعوتك الرابعة.

قال: أن يغفر الله ليَّ ولك وللقوم.

قال السيد: هذا ليس إليَّ وإنما هو للغفور الرحيم.

فلما نام السيد تلك الليلة، سمع هاتفًا يهتف به: أنت فعلت ما كان إليك، أتظن أنا لا نفعل ما كان إلينا؟ لقد غفر الله لك وللغلام ولمنصور بن عمار ولكل الحاضرين.

الرحمة في حياة النبي ﷺ

ولقد كان النبي ﷺ أرحم الناس أجمعين.. وشهد له بذلك الكافر قبل المسلم فإنه لما أراد الله تعالى أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه، ويجدد آماله، ويرثي لخطاياه، ويستميت في هدايته، أرسل محمدًا ﷺ وسكب في قلبه من العلم والحلم، وفي خُلُقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق، وفي يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدرًا.

قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾[2].

صور من رحمته ﷺ

وها هي صور يسيرة من رحمته ﷺ .. وإن كان الحديث عن رحمة النبي ﷺ لا ينتهي أبدًا بل لا أكون مبالغًا لو قلت: إن الأعمار قد تفنى ونحن لا نستطيع أن نصف مدى رحمة النبي ﷺ بمن حوله فلقد سكبت الرأفة والرحمة في قلبه منذ نعومة أظفاره ﷺ.

* لقد كان النبي ﷺ يتمنى إيصال الخير لأمته لفرط محبته لتلك الأمة المباركة.

- فها هو ﷺ يفرح بتلك الآية التي تفتح باب الأمل للمذنبين.

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾[3]»[4].

* وها هو ﷺ يخشى المشقة على أمته فيقول ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك مع الوضوء ولأخرت العشاء الآخرة إلى نصف الليل»[5].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٥٣).

(٤) ضعيف: رواه أحمد (٢٦٨٥٧)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢١٤)، رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وضعفه الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٤٤٠٩).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٩٧٠)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٣١٦).

* ويقول ﷺ: «إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه ببكائه»[(١)].

* بل وفي رحلة الإسراء والمعراج عندما فرض الله على الأمة خمسين صلاة ظل النبي ﷺ يسأل ربه جل وعلا التخفيف حتى أصبحت خمس صلوات بأجر خمسين صلاة... رحمة بتلك الأمة.

* بل ها هو ﷺ يختبئ دعوته شفاعة لأمته.

- قال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»[(٢)].

- وفي الحديث أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: «﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(٣)] وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[(٤)] فرفع يديه وقال: اللهم أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد -وربك أعلم- فسله: ما يبكيك. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»[(٥)].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤٦٩) كتاب الصلاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٤) سورة المائدة: الآية (١١٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

رحمته ﷺ بالأطفال

وتأمل معى أيها الابن الحبيب إلى تلك الصور المشرقة من رحمة النبى ﷺ بالأطفال . . . وسأكتفى بذكر بعض تلك الصور المشرقة:

* عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالسًا، فقال الأقرع:

إن لى عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم»[1].

* وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويُقعد الحسن بن على عليٌّ فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما»[2].

* وعن أبى قتادة رضي الله عنه قال: (خرج علينا النبى ﷺ وأمامة بنت أبى العاص على عاتقه فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها)[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ[4].

رحمة النبى ﷺ بالمشركين

بل لقد وصلت رحمة النبى ﷺ مبلغًا لا يخطر على قلب بشر.. فلقد كان ﷺ حزينًا كل الحزن لإعراض المشركين عن نور الهداية حتى

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٧٣٧٦) كتاب التوحيد.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣ - ٦٠) كتاب الأدب.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٦) كتاب الصلاة، ومسلم (٥٤٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٦)، وأحمد (١١٦٩٢).

قال الله جل وعلا: ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾[1].

رحمته ﷺ بالحيوان

ولم تقف رحمة النبي ﷺ بالإنسان فحسب بل وصلت حتى إلى الدواب.

* فها هو ﷺ يحفز النفوس للإحسان إلى الدواب من خلال ذكر ثواب الإحسان إليهم فيقول ﷺ كما في الصحيحين- «في كل ذات كبد حرى أجر».

* وقال ﷺ كما في الصحيحين: «بينما كلب يطيف بركية[2] كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها[3] فسقته فغفر لها به»[4].

* وفي المقابل يخبر النبي ﷺ بعقوبة من أساء لتلك الدواب فيقول ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»[5].

* وأمرنا النبي ﷺ بالإحسان إلى تلك الدواب حتى عند ذبحها (أي عند ذبح ما أحل الله ذبحه وأكل لحمه)... قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته»[6].

(١) سورة الكهف: الآية: (٦)
(٢) يطيف بركية: أي يدور حول بئر.
(٣) موقها: أي خفها.
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٤٥) كتاب السلام.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣١٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٢٤٢) كتاب السلام.
(٦) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان.

* وتأمل معي تلك الصورة المشرقة من رحمته ﷺ بالدواب.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حمرة[1] معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش[2] فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»... ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: «من حرق هذه؟».

قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار»[3].

* وتعلم أصحاب النبي ﷺ الرحمة على يديه فكانوا قمة في الرحمة.

- فها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلس بجوار بعير مريض فيبكي ويقول: والله إني لا أدري ما بك وإني لأخشى أن يسألني الله عنك يوم القيامة... بل يقول قولته الشهيرة: لو أن عنزة عثرت في العراق لخشيت أن يسألني الله عنها: لِمَ لم تُصلح لها الطريق يا عمر.

قصة الكلب والحمامة

كان ياما كان.. كان فيه زمان رجل صالح اسمه العم سالم، وفي أحد الأيام قرر العم سالم أن يسافر إلى بلدة بعيدة ليتاجر فيها، فحمل حاجته، وبدأ رحلته، وفي الطريق جلس العم سالم أسفل شجرة ليستريح قليلاً، وأثناء ذلك شاهد حمامة تمسك بمنقارها قطعة كبيرة من اللحم لا تقوى على حملها، فتعجب العم سالم من ذلك، وقال في نفسه: لم أشاهد الحمام يأكل اللحم أبدًا، لا بد أن وراء هذه الحمامة سرًّا كبيرًا، وسوف أتبعها لأعرفه!!

ظلت الحمامة تطير بمشقة وصعوبة، وتستريح بين الحين والآخر، والعم

(١) الحمرة: طائر صغير يشبه العصفور.

(٢) تفرش: هو أن تفرش جناحيها وتقرب من الأرض وترفرف.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٧٥) كتاب الجهاد، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٥).

سالم يسير من خلفها، وبعد فترة حـطّت الحمامة فوق ربوةٍ عالية بها كهف صغير فدخلت فيه، فـتقدم العم سالم نحو الكهف بحرصٍ وهدوء، فإذا به يرى كلبًا عـاجزًا أعـمى يتألم من شدة الجـوع والتعب، فـوضعت الحمـامة اللحم أمامه فأخذ يلتهمه، وهو يهز ذيله بفرح وسرور.

تعجب الـعم سالم مما رأى، وقال: سـبحـان الله الذى علم هذا الطائر الضعيف أن يرحم عجز حيوان آخر من غير بنى جنسه، وقرر العم سالم أن يحمل الكلب معه ليقوم على معالجته ورعايته.

قصة الراعى مع والديه

فى قديم الزمان كان هناك راعٍ طيـب يُسمّى عمران، وفى يوم من الأيام خرج عمران بأغنامه إلى المراعى البعيدة، وفجأة وقبل الغروب هبّت عاصفة شديدة، فأصاب عمران الخوف والهلع، وأخذ يدفع أغنامه أمامه بسرعة لعله يجد مكانًا مناسبًا يختبـئ فيه، وبعد جهدٍ ومشقةٍ، وجد عمران كـهفًا كبيرًا فدفع الأغنام إليه.

وكانت الأمطار تهطل بغـزارة كأنها السيل، فـوقعت صخرة كـبيرة على باب الكهف فسدّته، فأصبح الكهـف مظلمًا كالليل، وأخذت الأغنام تجرى فى فزعٍ هنا وهناك.

حاول عـمران أن يزيح الصـخرة لكنهـا كانت ثقـيلة، فجلس يسـتريح مهمومًـا حزينًا ثم قال فى نفسه: والله لن ينجـينى من هذه الصخرة إلا أن أدعو الله بعملٍ طيب فعلته.

فقال: يا رب كان لى أبوان كبـيران، وكنت أحبهما، وأطيعـهما وأعطف عليهـما، وأحرص دائمًا علـى راحتهمـا، وكنت لا آكل ولا أشرب ولا أنام قبلهـما أبدًا، وفى يوم من الأيام تأخـرت عليهمـا فى عملى، فنامـا قبل أن

يأكلا، فخفت أن أوقظهما حتى لا يتضايقا، وقررت أن أنتظر بجوار فراشهما ومعى الطعام حتى يستيقظا، وكان أولادى الصغار يبكون من شدة الجوع عند قدمى، فلما استيقظا أطعمتهما بيدى، ثم أكلت بعد ذلك أنا وأولادى.

فاللهم إن كنت فعلت هذا طاعة لك فأزل هذه الصخرة، فاستجاب الله دعاءه وابتعدت الصخرة، وخرج الراعى الطيب عمران من الكهف سالما هو وأغنامه وعاد إلى بيته فى فرح وسرور[1].

كيف نفوز برحمة الله

وأخيراً: فلابد أن نعلم أننا إذا أردنا أن نتحلى بخلق الرحمة فعلينا أن نتأسى بالنبى ﷺ الذى مُزجت حياته كلها بالرحمة.

وإذا أردنا أن نفوز برحمة الله -جل وعلا- فعلينا أن نرحم كل من حولنا... فيرحم كل واحدٍ منا والديه وزوجته وأولاده وإخوانه وجيرانه والخدم الذين يعملون عنده ويتامى المسلمين والمرضى وذوى العاهات بل ونرحم حتى الدواب لنفوز برحمة الله «إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

* واعلم أن الرحمة تجعلك تفوز بمحبة الله ومحبة الناس... وأنك بتلك الرحمة يوفقك الله لترك المعاصى ونيل الدرجات فهى دليل عملى على رقة القلب وسمو النفس... وهى سبب إشاعة الرحمة بين أفراد المجتمع فهى تجمع شمله وترفع من مستواه... واعلم أيضًا أن الجنة هى دار الرحمة ولا يدخلها إلا الراحمون.

وعلى قدر الرحمة التى فى قلبك سترتقى فى درجات الجنة.

* فأسأل الله جل وعلا أن يُسكن الرحمة فى قلوبنا حتى نرحم كل من حولنا لنكون أهلاً للفوز برحمته جل وعلا فى الدنيا والآخرة.

---

(١) الرحمة (ص: ١١، ١٤، ١٥).





العدل



العدل

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق العدل.

* وما أجمل أن يتحلى المسلم بخُلق العـدل ويبتعد عن الظلم فإن الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة.

فالمسلم العادل يكون يوم القيامة في ظل عرش الرحمن.

أما المسلم الظالم فإن حسناته تتوزع يوم القيامة على كل من ظلمهم فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من المظالم أُخذ من سيئات الذين ظلمهم فتُطرح عليه ثم يُطرح في النار.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق العدل.

العدل في حياة المصطفى ﷺ

وإذا أردنا أن نتكلم عن العدل فلا نستطيع أبدًا أن ننسى أستاذ البشرية كلها الذي ربَّاه الحق - جل وعلا- وصنعه على عينه ليربي به الأمم والأجيال - بأبي هو وأمي ﷺ - وسأكتفي بذكر بعض المواقف من عدل النبي ﷺ وذلك؛ لأن الحديث عن عدل النبي ﷺ يحتاج إلى مجلدات ومع ذلك فلن نستطيع أن نوفيه حقه ﷺ.

* قال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

* وها هي صورة عالية من عدل النبي ﷺ:

فعن عائشة ﷺ أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حِب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟» ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(١).

* إن الإمام العادل يضع نُصب عينيه قول رسول الله ﷺ وهو القدوة والأسوة: «إني لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبني أحد منكم بمظلمة ظلمته»(٢).

وهذه صورة لعدل النبي ﷺ بين أصحابه

* لقد كان النبي ﷺ يحذر أصحابه من أن يأتي واحد منهم إلى النبي ﷺ فيتكلم كلامًا جميلاً ليأخذ حق أخيه.

* (عن أم سلمة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحَن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار»)(٣).

* وكان النبي ﷺ لا يشهد على أي شيء فيه ظلم أبدًا.

* (عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير ﷺ وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى يشهد رسول

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٧٥) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٦٨٨) كتاب الحدود.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (١-٢٢) كتاب التجارات، وأحمد (١١٤٠٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٤٨٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٨٠) كتاب الشهادات، ومسلم (١٧١٣) كتاب الأقضية.

الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟». قال: لا. قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال: فرجع فرد عطيته)[1].

* وكان يوصي أصحابه دائمًا أن يتقوا الله في إخوانهم ولا يظلم بعضهم بعضًا.

* عن أبي ذر قال: كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها، فذكرني إلى النبي ﷺ فقال لي: «أساببت فلانًا؟» قلت: نعم. قال: «أفَنِلْت من أمه؟» قلت: نعم. قال: «إنك امرؤ فيك جاهلية». قلت: على حين ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: «نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليُلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليُعنه عليه»[2].

* بل ها هو ﷺ يقدم نفسه للقصاص.. وهو مَن هو؟

هو رسول الله ﷺ وخير خلق الله أجمعين.

فبينما كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف جيشه، مر بسواد بن غزية، وهو خارج عن الصف فطعن في بطنه بعود كان في يده قائلاً: «استو يا سواد»، وهنا قال سواد: أوجعتني يا رسول الله، وقد بعثك الله بالحق والعدل، ثم طلب من الرسول ﷺ أن يعطي القصاص من نفسه قائلاً: أقدني، فلم يتردد ﷺ، وكشف عن بطنه ﷺ ليقتضي منه سواد قائلاً له: «استقد».

ولكن سوادًا بدلاً من أن يطعن في بطن الرسول قصاصًا، أخذ يقبلها،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠٥٠) كتاب الأدب.

فقال له الرسول ﷺ : «ما حملك على هذا يا سواد؟».

قال: يا رسول الله حضـر ما ترى ـ يعني القتال ـ فـأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له الرسول ﷺ بخير.

وهذه صورة مشرقة لعدله بين أزواجه

وعن عائشة ﵂ قالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختي كـان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم، من مكثه عندنا، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها...»[١].

* وكان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت ـ التي النبي ﷺ في بيتها ـ يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «غارت أمكم»، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت[٢].

بل هذا عدله ﷺ مع المشركين

فقبل وفاة النبي ﷺ بعامين أرسل أسامة بن زيد ﵄ على سرية خرجت للقاء بعض المشركين الذين يناوئون الإسلام والمسلمين وكانت تلك أول إمارة يتولاها أسامة.

قال أسامة ﵁: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة قال:

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٢١٣٥) كتاب النكاح، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٧٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٢٢٥) كتاب النكاح

فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم. قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ قال: فقال لي: «يا أسامة، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟» قال: قلت: يا رسول الله إنه إنما كان متعوذًا، قال: «قتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟» قال: فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1].

وإذا بهذا الدرس العظيم ينتفع به أسامة رضي الله عنه.

فإنه لما حدثت الفتنة بين (علي) و(معاوية) رضي الله عنهما اعتزل أسامة تلك الفتنة وقال: «لا أقاتل أحدًا يقول: لا إله إلا الله».

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: كنت أضرب مملوكًا لي فسمعت قائلاً من خلفي يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود» فالتفتُّ فإذا أنا برسول الله ﷺ فقال: «لله أقدر عليك منك عليه» قال أبو مسعود: فما ضربت مملوكًا بعد ذلك[2].

* وها هو ﷺ يحرص على هداية هذا الغلام اليهودي في أثناء مرضه.

فقد روى الإمام البخاري، عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ، يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم». فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[3].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٦٩) كتاب المغازي، ومسلم (٩٦) كتاب الإيمان.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٥٩) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٣٥٦) كتاب الجنائز.

النبي ﷺ يدعو الكون كله للعدل

لقد كان النبي ﷺ يدعو الكون كله للتحلي بخلق العدل لتسود المحبة بين الناس أجمعين.

فها هو ﷺ يقول: «إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله ـ عز وجل ـ محسنٌ يحب المحسنين»[1].

ويخبر النبي ﷺ أن العدل صدقة تُكتب في ميزان العبد.

قال ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين الناس صدقة..»[2].

وأخبر النبي ﷺ أن الإمام العادل لا تُرد دعوته فقال ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الإمام العادل...»[3].

بل وأخبر النبي ﷺ أن العدل من أعظم أسباب النجاة فقال ﷺ: «ثلاثٌ كفارات، وثلاثٌ درجات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ مهلكات... وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا...»[4].

* وأخبر النبي ﷺ أن أهل العدل يكونون يوم القيامة في ظل عرش الرحمن فقال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...»[5].

* بل وأخبر أن أهل العدل يكونون يوم القيامة على منابر من نور فقال

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٤٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/٣٥٦)، رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٩٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٠٧) كتاب الصلح، ومسلم (١٠٠٩) كتاب الزكاة.

(٣) ضعيف: رواه أحمد (٧٩٨٣)، وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (١٣٥٨).

(٤) حسن: رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٤٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٤٥).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»(١).

* بل وأخبر أنهم من أهل الجنة فقال ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال»(٢).

ولقد أمر رسول الله ﷺ بالعدل مع عامة الناس وخاصتهم حتى الوالد مع ولده فقال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم في العطاء»(٣).

وأمر الزوج بالعدل بين الزوجات.

صور مشرقة من عدل الصحابة رضي الله عنهم

ولقد سار أصحاب الرسول ﷺ على نفس الطريق الذي سار عليه النبي ﷺ فكانوا مضرب الأمثال في العدل (رضي الله عنهم وأرضاهم).

صدّيق الأمة الأكبر رضي الله عنه

وها هي صورة مشرقة لعدل أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

* فمن عدل الصديق: أنه سوّى بين رعيته في العطاء وقسمة المال، واعتبر أن سابقة بعضهم في الخيرات إنما يثاب عليها في الدار الآخرة.

فاروق الأمة عمر رضي الله عنه

كان الفاروق رضي الله عنه حريصًا على العدل غاية الحرص ولذا كان ينتقي (الولاة) انتقاءً فكان لا يعطي الولاية لمن يحرص عليها، بل كان يعطيها

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٥٨٧) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

لأهل الزهد والعفاف والتقوى، وكان يحرص على أن يتابعهم ويوصيهم بالناس خيراً.

* عن أبى عثمان قال: استعمل عمر رضي الله عنه رجلاً من بنى أسد على عمل، فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبّله، فقال الأسدى: أتُقبل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبلت ولداً لى قط!! فقال عمر: فأنت والله بأولاد الناس أقل رحمة، لا تعمل لى عملاً أبدًا، فرد عهده أو قال: فما ذنبى إن كان الله - عز وجل- نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم قال: مزق الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده، فكيف يرحم الرعية؟! [(١)].

لله درك من إمام

* وذات يوم يتلقى الفاروق هدية من الحلوى، ولا تكاد توضع بين يديه حتى يسأل الرسول الذى جاء يحملها: ما هذا؟ قال: حلوى يصنعها أهل أذربيجان، وقد أرسلنى بها إليك عتبة بن فرقد - وكان واليًا على أذربيجان - فذاقها عمر، فوجد لها مذاقًا شهيًا، فعاد يسأل الرسول: أكُل المسلمين هناك يطعمون هذا؟ قال الرجل: لا... وإنما هو طعام الخاصة. فقال عمر للرجل: أين بعيرك؟ خذ جملك هذا وارجع به لعتبة، وقل له: عمر يقول لك، اتق الله، وأشبع المسلمين مما تشبع منه..!!

* * *

(١) أخرجه عبد الرزاق والبخارى فى الأدب المفرد، وحسّن إسناده الشيخ الألبانى (٧٢).

وأنا والله ما نسيتها بعد!!!!

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وأنا في السوق وهو مارٌّ في حاجة له، ومعه الدِّرة قال: هكذا أمط عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقني بها خفقة، فما أصاب إلى طرف ثوبي، فأمطت عن الطريق، فسكت عني حتى كان في العام المقبل فلقيني في السوق فقال: يا سلمة أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فأخذ بيدي، فما فارقت يدي يده حتى دخل بي بيته، فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة استعن بهذه، واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام أول، قلت والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها! قال: وأنا والله ما نسيتها بعد.

يا عمر.. عدلت فأمنت فنمت!!!

أرسل قيصر روما رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج الرسول في طلبه، فرآه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع جبته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه وقد بلَّ الأرض، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع في قلبه وقال: رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حاله! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهراً خائفاً، أشهد أن دينك الدين الحق ولولا أنني أتيت رسولاً لأسلمت، ولكني أعود وأسلم».

❋ ❋ ❋

فاروق الأمة... وأم الأيتام

في ليلة من الليالي خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشي في شوارع المدينة المنورة ليطمئن على أحوال الرعية... وفجأة رأى منظرًا عجيبًا!!!... لقد رأى في وسط هذا الظلام الدامس نارًا مشتعلة من بعيد.

فلما اقترب أمير المؤمنين عمر ومعه غلامه (اسمه أسلم) وجد امرأة قد أشعلت نارًا ووضعت عليه وعاءً كبيرًا.. وبجوارها أطفال صغار يصرخون من شدة الجوع.. فهذا يقول: يا أماه أريد طعامًا.. والآخر يقول: يا أماه سأموت من الجوع.. والثالث يصرخ ولا يستطيع أن يتكلم.. فصعق عمر لهذا المشهد وسألها عن سبب بكاء الأطفال.

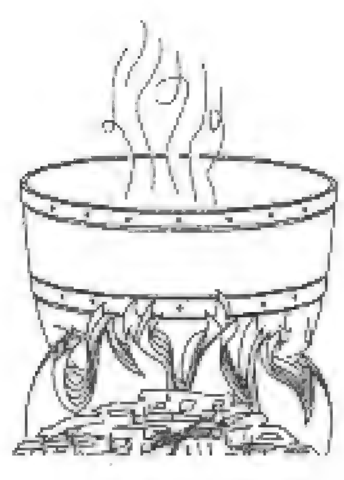
فقالت: إنهم يبكون من شدة البرد والجوع.

فنظر عمر إلى الوعاء الذي وضعته على النار وقال لها: أليس في هذا الوعاء طعام؟

قالت المرأة والدموع تسيل من عينيها: إنه ماء وضعته على النار حتى يسكتوا ويناموا... والله بيننا وبين عمر - ولم تعرف أن الذي يكلمها هو أمير المؤمنين عمر -.

فقال لها عمر: وما يُدري عمر بحالك؟.

فقالت المرأة: سبحان الله.. يتولى أمرنا وينسانا.



* تألم عمر من كلام المرأة.. وتألم أكثر وأكثر من مشهد هؤلاء الأطفال اليتامى الذين يصرخون من شدة الجوع... فانصرف عمر

ومعه غلامه أسلم إلى مخزن بيت المال فأخرج كيسًا من دقيق وقارورة فيها زيت وكيسًا فيه سكر وقال لغلامه أسلم: احمل على ظهرى.

فقال له أسلم: أحمل عليك أم أحمله عنك؟

فقال له عمر: احمل علىَّ... هل أنت ستحمل عنى ذنوبى يوم القيامة.

* وأسرع عمر إلى تلك الأم وأولادها ووضع أمامها الدقيق والزيت والسكر وأخرج لها جزءًا يسيرًا لتصنع منه طعامًا لأولادها وأخذ ينفخ فى النار حتى تشتعل أكثر وأكثر لينضج الطعام.

فلما نضج الطعام أخذ عمر يقدم الطعام للأطفال ثم ترك عندهم باقى الدقيق والزيت والسكر وقال لهذه المرأة: اذهبى غدًا إلى أمير المؤمنين وسوف تجدينى هناك إن شاء الله.

* وظل عمر ينظر إلى الأطفال حتى رآهم يضحكون فقال لغلامه أسلم: جئت وهم يبكون فأحببت ألا أنصرف إلا وهم يضحكون.

فذهبت إليه المرأة فى اليوم التالى فلما رأته وعرفت أنه أمير المؤمنين فزعت وخافت.

فقال لها عمر: لا تخافى ولا تفزعى... ثم أمر لها ولأولادها براتب تصرفه كل شهر من بيت مال المسلمين.

صفحة ناصعة من عدل عثمان رضي الله عنه

وها هى صفحة ناصعة البياض من عدله رضي الله عنه.

عثمان الرحيم الذى تشع الرحمة فى حياته، وتكون نبراسًا لكل تصرفاته، يغضب على خادم له يومًا، فيفرك أذنه حتى يوجعه... ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه فيفرك أذنه... ويأبى الخادم،

ويأمره في حزم فيطيع: «اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة».

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المنبر في يوم الجمعة: «أيها الرعاء، إن لرعيتكم حقوقًا: الحكم بالعدل، والقسم بالسوية، وما من حسنة أحب إلى الله من حكم إمام عادل»[1].

* وعن علي بن الأرقم، عن أبيه قال: رأيت عليًا، وهو يبيع سيفًا له في السوق، ويقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته[2].

* كان رضي الله عنه يمشي في أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين، فيرشد الضال ويعين الضعيف ويلتقي بالشيخ المسن الكهل، فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة ويقول: «قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبدًا».

* لما طُعن رضي الله عنه، وهو يتهيأ للصلاة، بعد أن مر بشوارع الكوفة يوقظ أهلها لصلاة الفجر... قال لبنيه بعد أن علم قاتله: «أحسنوا نُزُله وأكرموا مثواه، فإن أعش، فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا، وإن أمت، فألحقوه بي، أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بي سواه، إن الله لا يحب المعتدين».

رحلة العدل مع عمر بن عبد العزيز رحمه الله

* إنه عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الراشد الذي يقول فيه مالك ابن دينار: يقولون: مالك زاهد!.. أي زهد عندي؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جملة!

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ١٥٧) في المصنف.

أجل، فلم يكن في خلافته سوى قميص واحد يلبسه، فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييبس، وهو الذي نشأ وشب في أحضان النعيم.

ودخل على امرأته يومًا فسألها أن تُقرضه درهمًا يشتري به عنبًا، فلم يجد عندها شيئًا.. فقالت له: أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما تشتري به عنبًا؟! فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدًا في نار جهنم.

وقد اجتهد في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد المظالم، وصرف إلى كل ذي حقٍّ حقه، وكان مناديه ينادي في كل يوم: أين الغارمون؟ أين الراغبون في الزواج؟ أين اليتامى؟ أين المساكين؟ حتى أغنى كلاًّ من هؤلاء.

ومع عدله وزُهده، وردِّه للمظالم، وشدته على نفسه وأقاربه كان يناجي ربه فيقول: اللهم إن عمر ليس أهلاً أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهلٌ أن تنال عمر.

وأثنى عليه رجل فقال له: جزاك الله عن الإسلام خيرًا يا أمير المؤمنين. فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيرًا.

حصِّن مدينتك بالعدل ونقِّ طرقها من الظلم

* كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: «أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يرَ أمير المؤمنين أن يقطع لنا ما نرمها به فعل».

فكتب إليه عمر: «أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصِّنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم فإنه مرمتها، والسلام»[1].

* وكتب إليه واليه على خراسان يستأذنه في أن يرخِّص له باستخدام

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ١٩٢).

بعض القوة والعنف مع أهلها قائلاً في رسالته له: «إنهم لا يُصلحهم إلا السيف والسوط» فكان رده التقي الحازم «كذبت.. بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم، واعلم أن الله لا يُصلح عمل المفسدين».

أصلحت ما بينى وبين ربى فأصلح الله ما بين الذئب والغنم

روى أنه دخل عليه راعى غنم فقال له: يا أمير المؤمنين لقد حدث عندى شيء عجيب.

قال له: وما ذاك؟

فقال الراعى: إن الذئب يأتى كل ليلة ليتام فى حضن الغنم.

فقال: لا عجب فى ذلك فلقد أصلحت ما بينى وبين ربى فأصلح الله ما بين الذئب والغنم.

العدل أساس المُلك

كان ياما كان فى سالف الزمان.

كان هناك ملك عادل رحيم يحكم إحدى المدن الجميلة.. وكان اسمه صلاح الدين. وكان يعامل رعيته برحمة وحنان ويسمع شكواهم ويقضى حوائجهم.

وكان الشعب كله يحبه ويطيعه ويخاف عليه من نسيم الهواء.

وكان لهذا الملك ابنٌ اسمه ماجد.. وكان شديدًا متكبرًا وليس فى قلبه مثقال ذرة من الرحمة.

وكان ماجد يشكو لأصدقائه دائمًا من تواضع والده مع الرعية ومن رحمته بهم... فقد كان يعتبر هذا يتنافى مع هيبة الملوك وأن الملوك لابد أن

يكونوا فى غاية القسوة مع الرعية.

فقال له صديقه محمد: يا ابن الملك لابد أن تعلم أن الناس يحبون من يساعدهم ويحبهم لا من يبطش بهم ويؤذيهم.

ماجد: هذا كلام خاطئ... وسوف ترى عندما أصير ملكًا كيف سأتعامل مع الشعب بكل غطرسة وقوة وسيطيعون أوامرى رغم أنفهم.

محمد: لو فعلت هذا فسوف تندم على كل شيء وسوف تخسر كل شيء.

* وفى يوم من الأيام كان ماجد ابن الملك صلاح الدين يسير مع صاحبه محمد فوق تبة عالية فرأى جيشًا كبيرًا قادمًا لغزو المدينة وإذا بجيش المدينة يخرج لملاقاة هذا الجيش المعتدى.

أخذ جيش المدينة يقاتل ببسالة ويدافع عن الملك صلاح الدين الذى كانوا يحبونه حبًا شديدًا حتى استطاعوا أن يطردوا جيش الأعداء وأن يحافظوا على الملك صلاح الدين.

* فتعجب محمد وقال لماجد: انظر كيف كان الجيش يدافع عن أبيك الملك بكل حب وتضحية لأنهم يحبونه... أما لو كانوا لا يحبونه لتركوه لأعدائه يقتلونه ولم يدافعوا عنه.

ماجد: هذا الكلام غير صحيح.. فلو كنت أنا الملك لأمرتهم أن يقاتلوا ولن يستطيع أحد أن يعصى أمرى.

* ومرت الأيام وتقدم العمر بالملك صلاح الدين فاستدعى ابنه ماجد وقال له: يا بُنى لقد تقدم بى العمر وساءت ظروفى الصحية وإنك ستكون الملك على هذه المدينة من بعدى فأوصيك بالناس خيرًا.

كُن رحيمًا بالناس واقضِ حوائجهم واسمع شكواهم ولا تغلق بابك فى وجوههم أبدًا فهم رعيتك وهم سندك فى وقت الشدة.

ماجد: يا أبتِ أطال الله عمرك.. ولكني إذا أصبحت ملكًا فلن أسلك مع الرعية إلا طريق الشدة والقسوة فإن الشعوب لا يصلح معها إلا الشدة.

الملك صلاح الدين: لا يا بُنى.. بل إن الشعوب لا يصلح معها إلا الرحمة وسوف تعلم صحة ما أقول مع مرور الأيام.

* وتمر الأيام ويموت الملك الرحيم العادل صلاح الدين ويتولى ابنه ماجد الملك من بعده ويصبح حاكم المدينة الجميلة.

* جمع ماجد كل الرعية ووقف فيهم خطيبًا فقال لهم:

إن أبى كان يحكم هذه المدينة باللين والعدل والرحمة ولكنى أرى أن هذه سياسة خاطئة وسوف أصحح أخطاء أبى ولذا فسوف أحكم هذه المدينة بالقوة والقسوة فمن لم يُطع أمرى فسوف أقتله أو أضعه فى السجن مدى الحياة.

خاف الشعب كله من بطش هذا الحاكم وتمنى اليوم الذى يموت فيه ليرتاح الناس من بطشه وقسوته وجبروته.

ونصحه كثير من المقربين إليه بأن يكون رحيمًا فرفض أن يسمع أى نصيحة.

* وفى يوم من الأيام جاء جيش الأعداء مرة أخرى لغزو المدينة ولقتل الملك... فخرج الملك ماجد وأمر جيش المدينة أن يتصدى لهذا الجيش... فخرج جيش المدينة الذى يكره الملك ماجد بسبب ظلمه وقسوته.. ولم يثبت الجيش إلا قليلاً وأسرعوا بالفرار من أمام الجيش الغازى.

فلما رأى الملك ماجد جيشه وهو يفر وإذا به يهرب من المدينة ويختبئ فى الغابة.

وبعد أيام يعلم الأعداء مكانه فيأخذوه أسيرًا فسار معهم وهو فى غاية الذل والهوان.

وهنا تذكر قـول صديقـه محمـد وهو يقول له: سوف تندم على كل شيء وسوف تخسـر كل شيء... وتذكـر قول والده الملك العـادل صلاح الدين عندما قال له: إن الشعوب لا يصلح معها إلا الرحمة وسوف تعلم صحة ما أقول مع مرور الأيام.

ولكنه تذكر كل هذا بعد فوات الأوان فقـد تخلى عنه شعبه لأنه كان لا يحبه... وتخلى عنه جيشه لأنه كـان يكرهه والآن أصبح أسيرًا فى سجون الأعداء فقال وهو فى السجن: صدق من قال: العدل أساس الملك.

عدالة السماء

يُحكى أنه: كان فى بنى إسـرائيل رجل يعمل بالقـضاء، وكانت زوجـته جميلة، وطيبة ومؤمنة وصابرة.

وأراد ذات يوم أن يسافر لزيارة أقاربه، فنادى أخاه وقال له: سوف أترك لك العمل - يقصد عمله كقاضٍ - وإننى أوصيك بالناس فإذا حكمت بينهم فى شأن لهم فـكن يا أخى عادلاً تقيًا، ولا يغرنك البـاطل وزيفه فـتضيع حقوق الله أو المظلومين.

فقال له أخوه: أفعل إن شاء الله.

فقال القاضى لأخيه: وإن هذه زوجتي أوصيك بها.

ثم سلم عليه وخرج فى رحلته.

وما كاد الجـمل الذى يركب عليه القاضى يختـفى عن الأنظار حتى جاء الأخ إلى زوجة أخيـه التقية المؤمنة وأخذ يراودها عن نفـسها، ويحدثها عن جمالها ويغريها بالمال تارة وبالذهب أخرى.

والزوجة الصالحة ترفض أن تخون زوجها، وتُغضب ربها.

فجلس الأخ يفكر ماذا يفعل قبل أن يفـتضح أمره عند أخيه وعند الناس

أنه خائن للأمانة، فدبر لها مكيدة، فقام في الناس وصاح فيهم: إن زوجة القاضي خائنة، وإنه ضبطها متلبسة مع عشيق لها... وجاء بشهود زور دفع لهم بعض الذهب ليشتري شهادتهم.

وشهادة الزور من أكبر الكبائر،... وشهد شهود الزور على الزوجة الصالحة بالزنا، ورفع أمرها إلى الملك، فأمر الملك برجمها.

فحفروا لها حفرة ورُجمت حتى غطتها الحجارة، ولكنها لم تكن قد ماتت بعد، فأخذت تئن من الألم، فسمعها رجل طيب كان يعلم أن هذا الأخ شرير وأن السيدة بريئة وطاهرة فحملها في ظلام الليل إلى بيته وطلب من زوجته أن تهتم بأمرها وأن تعالجها مما بها من جروح.

وبعد أن شُفيت أعطت زوجة الرجل الطيب ابنها للمرأة الصالحة المظلومة لتربيه لها، وذات ليلة هجم عليها أحد اللصوص ليسرقها، فلما رأته صرخت فقام بضربها بالسكين، فجاءت في الطفل المسكين فسقط قتيلاً.

فحملته وذهبت تبكي وتحكي لأمه ما حدث، فلم تصدقها وظلت تضربها وحبستها وأخذت كل يوم تعذبها وتحرقها بالنار.

ولكن الرجل الصالح أطلق سراحها وقال لها: اخرجي يا أمة الله من هذه القرية، لعل الله أن ينجيك - وأعطاها بعض الدراهم.

وأثناء سيرها شاهدت المرأة المظلومة رجلاً مصلوبًا على جذع شجرة، فسألت عن قصته؟

فقيل لها: إنه قتل بطريق الخطأ رجلاً، وكان عليه أن يدفع ديته إلى أهله، ولم يكن معه فكان الحكم بصلبه حتى الموت، فأعطتهم الدراهم التي معها فخلوا سبيله.

فشكر لها الرجل صنيعها ودعا لها وأخذ يحتطب ويبيع الحطب ويأتيها بين الحين والآخر بطعامها، وكانت قد بنت عشة صغيرة وأخذت تتعبد إلى

ربها، وأصبح الناس يأتونها لتدعو لهم، فإذا جاءها مريض دعت الله له فيشفى بإذن الله، واشتهرت هذه المرأة بالصلاح، وأن دعاءها مستجاب.

وشاء الله أن يمرض شقيق زوجها الظالم الذى اتهمها ورجمها مرضًا شديدًا، كما أصيبت المرأة التى اتهمتها بقتل ولدها، وكذلك السارق الذى قتل الطفل أصيب أيضًا بالمرض، وقيل لهم: اذهبوا إلى العابدة المستجابة الدعاء لتدعو لكم جميعًا.

وكان زوجها قد عاد من سفره، فسأل عنها فقيل له: إنها رُجمت ودُفنت بما فعلت من إثم، فحمد القاضى ربه على حاله.

وبعد تسلمه عمله بالقضاء قال له الناس: إن هناك امرأة صالحة، احمل أخاك إليها لتدعوَ له الله ليشفيه، فحمله وسار به إليها، واصطحب معه المرأة التى كانت تعذبها، والسارق القاتل، وشهود الزور الذين كانوا قد أصيبوا أيضًا بالمرض، وعندما وصلوا إليها فلما رآتهم عرفتهم فقالت لهم: إن شفاءكم جميعًا فى أن يعترف كلٌّ منكم بذنبه ويستغفر ربه ويطلب السماح ممن ظلمهم.

فقال شقيق القاضى: لقد ظلمت زوجتك ورجمتها ظلمًا.

وقال شهود الزور: لقد شهدنا بالزور فأصابنا المرض.

فقال القاضى: سامحك الله يا أخى وعفا عنك إن شاء الله.

وقالت المرأة: لقد ضربت وعذبت تلك المرأة واتهمتها أنها قتلت ابنى، وها هو القاتل أمامى طليق.

فقال السارق: لقد قتلت الطفل وكنت أقصد المرأة وسرقتها.

فقالت المرأة العابدة: اللهم كما أريتهم جزاء الظلم، اللهم فإن المرأة المظلومة الصابرة قد سامحتهم جميعًا.

فنظر إليها القاضى وقال: أأنت يا زوجتى التقية الصالحة لا زلت على قيد الحياة؟

قالت له: نعم، إن الله يدافع عن الذين آمنوا، وقد أنجانى وبرأنى، فالحمد لله على ذلك.

فطلب منها الجميع أن تسامحهم، وأن تعفو عما فعلوا بها.

فسامحتهم جميعاً وأخذوا يبكون ويستغفرون الله.

وشفاهم الله بفضل استغفارهم وتوبتهم، ثم بدعاء المرأة الصالحة لهم.

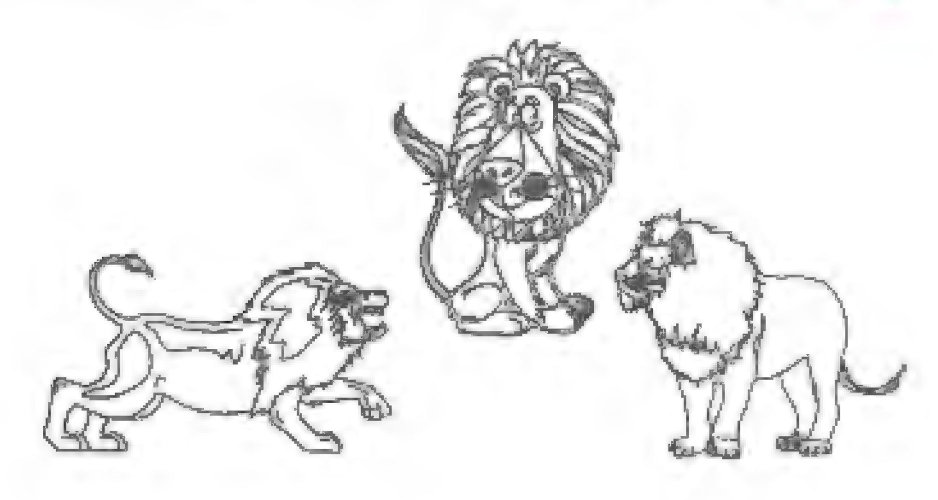
البقاء للأصلح

كان ياما كان... كان فى إحدى الغابات أسد طيب وعادل كان يحكم الغابة بالعدل ولا يظلم أحداً.

وكان هذا الأسد اسمه مرجان.

وفى يوم من الأيام اجتمع مجموعة من الأسود الأشرار وقالوا: لا بد أن نعزل الأسد مرجان من الحكم وأن يتولى واحد منا مكانه حتى نستطيع أن نفعل فى الغابة ما نريد وأن نظلم من نشاء دون أن يعترض أحد.

* وفى يوم من الأيام قام الأسود الأشرار بثورة ضد الأسد الطيب



مرجان فضربوه وعزلوه من الحكم وطردوه من الغابة.

وتولى الحكم الأسد الشرير شارون.

وما إن تولى الأسد شارون الحكم فى الغابة حتى أصدر قراره للأسود الأشرار بأن يفعلوا كل شيء فى الغابة.

بل إن الأسد شارون أصدر قرارًا آخر بتعيين الذئب المكار وزيرًا له وأعطاه السلطة الكاملة لكى ينظم شؤون الغابة.

* لما علم سكان الغابة بأن الأسد شارون أصبح حاكم الغابة وأن الذئب المكار أصبح وزيرًا له أصابهم الحزن والهم الشديد.

فى اليوم التالى اجتمع الذئب مع إخوانه الذئاب وقرروا أن يعتدوا على كل الحيوانات الأليفة ليأكلوها فدبَّ الذعر والخوف فى الغابة.

وبدأت الحيوانات تهجر الغابة وتخرج منها إلى مكان آخر أمين.

* استيقظ الأسد شارون يومًا جائعًا فبحث فى الغابة فلم يجد شيئًا يأكله فاستدعى وزيره الذئب المكار وقال له: ماذا حدث؟ أين حيوانات الغابة؟

فقال الذئب المكار: هربت من الغابة يا سيدى ولم يعد فى الغابة إلا الأسود والذئاب.

فقام الأسد شارون وافترس الذئب المكار ثم قام الأسود الأشرار وافترسوا باقى الذئاب فلم يعد فى الغابة إلا الأسود.

* فلما طال عليهم الجوع خرجوا ليبحثوا عن الطعام فوجدوا غزالة شاردة فقتلوها ولما أرادوا أن يأكلوها طلب منهم الأسد شارون أن يتركوها له وحده فرفضوا وقاموا جميعًا ليضربوا الأسد شارون حتى قتلوه ثم دارت الحرب بينهم حتى ماتوا جميعًا ومات معهم الشر والظلم والعدوان.

* فلما علم حيوانات الغابة بما حدث ذهبوا للأسد الطيب مرجان وأخبروه بالخبر فعاد معهم وعادوا جميعاً إلى الغابة وعاشوا أجمل حياة في ظل هذا الأسد العادل الرحيم مرجان.

وهكذا كان البقاء للأصلح وليس للأقوى.

من ثمرات العدل والمساواة

* إن ثمرات العدل والمساواة كثيرة ولكن حسبنا أن نقف على بعضها:

١- تحقيق الاستقرار والأمان في المجتمع المسلم؛ لأن كل فرد سيشعر بأن حقه لن يأخذه غيره وبذلك يحصل الأمان والاستقرار.

٢- أن الإنسان العادل يعيش في أمان في الدنيا والآخرة.

٣- الفوز برضوان الله (جل وعلا).. فالله يرضى عن كل من يعدل بين الناس.

٤- أن الإنسان العادل يدوم مُلكه.

٥- أن إحساس الناس بنعمة العدل يجعل انتماءهم وحبهم لبلدهم يزداد يومًا بعد يوم.

٦- أن العدل طريق موصل إلى جنة الرحمن التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

النبي ﷺ يحذر أمته من الظلم

* يخبر النبي ﷺ عن رب العزة - جل وعلا- أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم مُحرمًا فلا تظالموا...»[1].

* ولما أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن أوصاه ببعض

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

الوصايا الغالية وكان من بينها: «... واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[١].

* وقال ﷺ: «إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته. ثم قرأ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[٢][٣].

* وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه...»[٤].

* وأخبر النبي ﷺ أن الله - عز وجل- سيحكم بين الدواب في تلك المظالم التي كانت بينها في الدنيا... فما ظنكم بالمظالم التي بين العباد. قال ﷺ - كما روى مسلم -: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[٥]... والجلحاء هي التي ليس لها قرن.

* ومن أجل ذلك أمرنا النبي ﷺ أن نتحلل من المظالم قبل أن نلقى الله -عز وجل- فقال ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه»[٦].

* قال عمر بن عبد العزيز: «إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فاذكر

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

(٢) سورة هود: الآية (١٠٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٢) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك»[١].

* وفي بعض المأثورات: «إذا كان يوم القيامة يجتمع الظلمة وأعوانهم ومن لاق لهم دواة وبرى لهم قلمًا، فيُجعلون في تابوتٍ ويُلقون في جهنم»[٢].

* ويا لها من حسرة عندما يرى الظالم حسناته وهي تُوزَّع على كل من ظلمهم فقد قال ﷺ ـ كما عند مسلم ـ: «أتدرون ما المفلس؟».

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال ﷺ: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طُرح في النار»[٣].

* وحسبنا أن نتأمل قول الحق – جل وعلا –: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[٤].

اتقوا دعوة المظلوم

* قال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»[٥].

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣١).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٤٣) ـ والكبائر للذهبي (ص: ١١٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) سورة طه: الآية: (١١١).

(٥) حسن: رواه أحمد (٧٩٨٣)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٨٧٠).

(٦) صحيح: رواه الحاكم عن ابن عمر، كما نص على ذلك العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢٨).

فهي سريعة الوصول.

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب»[١].

وقال ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه»[٢].

وبالمثال يتضح المقال

وكما يقال: وبالمثال يتضح المقال... فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع هاتين القصتين لنرى كيف يستجيب الحق - جل وعلا- لدعوة المظلوم.

* ففي الحديث الذي رواه مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه أن أروى بنت أويس ادّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم. فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين».

فقال له مروان: لا أسألك بيِّنة بعد هذا.

فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها. فما ماتت حتى ذهب بصرها. ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت.

* عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارًا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي فأرسل

(١) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

(٢) حسن: رواه أحمد (٨٥٧٧)، والطيالسي في مسنده (١/٣٠٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٣٨٢).

إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي العشاء فأركد في الأوليين وأخفُّ في الأخريين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً ـ أو رجالاً ـ إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفًا حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يُكنّى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فأطِل عمره وأطل فقره وعَرِّضه للفتن، وكان بعد إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن[1].

لا للظلم

كان ياما كان.

كان في إحدى الغابات الجميلة فهد كسول يحب أن تقوم الحيوانات بخدمته ولا يفعل هو أي شيء.

وفي يوم من الأيام قام الفهد من نومه ونظر في بيته فإذا بالقاذورات قد تراكمت فيه وأصبحت رائحته لا تُطاق.

فقال لنفسه: لابد أن أجد مَنْ ينظف لي بيتي كل يوم.

فنظر من نافذة بيته فوجد الحصان سفروت يمشي أمام بيته فنادى عليه

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٥٥) كتاب الأذان.

وقال له: إلى أين أنت ذاهب.

الحصان: ذاهب لأحضر الطعام لأولادى.

الفهد: ادخل الآن لتنظف بيتى.

الحصان: ليس عندى وقت.. وقد تركت أولادى جوعى.

الفهد: إما أن تدخل بيتى لتنظفه وإلا جعلتك طعامى فى هذا اليوم...

فخاف الحصان سفروت من الفهد المفترس.. ودخل لينظف بيته الذى كانت رائحته لا تُطاق.

* فرح الفهد كثيراً أنه وجد من ينظف له بيته.

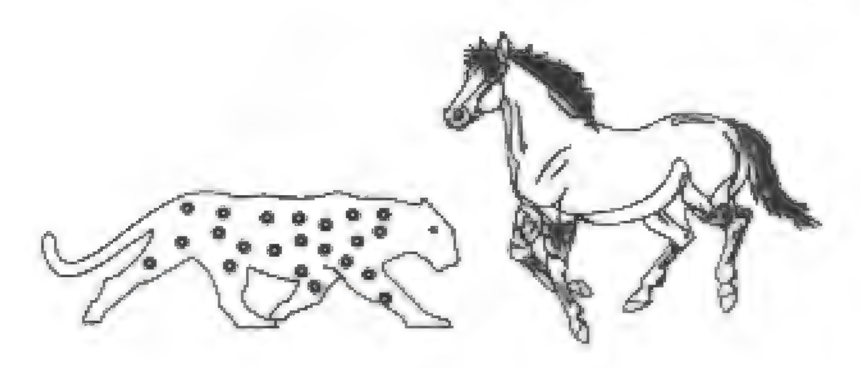
وبعد أن انتهى الحصان سفروت من تنظيف بيت الفهد قال له الفهد: أريدك أن تأتى كل يوم لتنظف بيتى.

فوافق الحصان سفروت خوفًا من بطش الفهد.

لكنه أخذ يفكر كيف يتخلص من هذا الفهد فذهب إلى الثعلب المكار وحكى له قصته فقال له الثعلب: يا سفروت أنت لا تعرف سر قوتك... إن قوتك تكمن فى رجليك فلماذا لا تذهب لصانع الأحذية ليصنع لك حدوة من الحديد لتضعها فى رجليك؟

فقال الحصان سفروت: نعم سأفعل إن شاء الله.

وذهب سفروت لصانع الأحذية فصنع له حدوتين من الحديد فوضعهما فى رجليه.



وفي اليوم التالي ذهب الحصان سفروت إلى الفهد فقال له الفهد: هيا أيها الحصان لتنظف بيتي.

الحصان: لن أنظف بيتك هذا أبداً.

الفهد: ألا تخاف مني أيها الحصان الغبي.

الحصان: لا أخاف منك فأنا مستعد لقتالك وقد وضعت حدوتين في رجلي وساضربك بها في رأسك إن اقتربت مني.

فلما رأى الفهد ذلك تراجع وخاف من الحصان سفروت.

وقال في نفسه: لا بأس... سأبحث عن حصان آخر يخدمني.

* وبعد أيام كان الحصان سفروت يمر أمام بيت الفهد فوجد حصاناً آخر ينظف بيت الفهد.. فانتظر حتى انتهى من نظافة البيت وخرج منه فسلم عليه سفروت فرآه حزيناً.

فقال له سفروت: لماذا أنت حزين أيها الحصان.

الحصان: لأن الفهد يظلمني ويُرغمني على أن أنظف له بيته كل يوم وهذا يعطلني عن السعي على رزق أولادي كما أنه يُتعبني كثيراً.

سفروت: ولماذا تتحمل منه كل هذا؟

الحصان: لأنه يهددني بأن يأكلني إن لم أنظف له بيته.

سفروت: لقد كنت مكانك لكني وجدت الحل وتخلصت من الفهد.

الحصان: كيف ذلك يرحمك الله؟

سفروت: لقد قمت بتركيب حدوتين من الحديد ودافعت بهما عن نفسي فتركني الفهد وبحث عن حصان آخر.

* ففعل الحصان مثلما فعل سفروت واستطاع أن يتخلص من ظلم الفهد.

* وهكذا أخذ سفروت ينصح كل حصان يراه بهذه النصيحة حتى لم

يجد الفهد أحداً ينظف له بيته.

* ثم خطر على بال سفروت فكرة جميلة... فلقد اجتمع مع كل حصان كان ينظف بيت الفهد وقال لهم جميعًا: ما رأيكم في أن نذهب جميعًا إلى الفهد ونطلب منه أن ينظف بيوتنا جميعًا كما كنا ننظف بيته.

فقالوا: إنها فكرة رائعة.

وبالفعل ذهبوا إلى الفهد وطلبوا منه ذلك وقالوا له:

إما أن تنظف بيوتنا أو أن ترحل من هذه الغابة.

فقال الفهد: سوف أنظف بيوتكم ولكن من الغد لأني اليوم مريض.

فقالوا: لك ذلك.

* وفي ظلام الليل أراد الفهد أن يهرب ولكنه وجد حصانًا على كل منفذ من منافذ الغابة فعاد مقهورًا وأخذ يطوف على بيوتهم ينظفها بيتًا بيتًا وذاق مرارة الظلم التي أذاقها لهم جميعًا.

* فلما سألوا سفروت: لماذا صنعت معنا كل هذا وقد كنت تستطيع أن تتركنا بعد أن نجوت أنت بنفسك؟

فقال: إن من ذاق مرارة الظلم لا يرضاه لغيره أبدًا.

* * *

الظلم وثمراته المريرة

إن الظالم يجنى ثمرات ظلمه فى الدنيا والآخرة، فقد قال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يُعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»(١).

* ومضار الظلم كثيرة ولكن حسبنا أن نقف على بعضها:

(١) يجلب غضب الرب وسخطه ويتسلط على الظالم بشتى أنواع العذاب.

(٢) قبول دعاء المظلوم فيه.

(٣) يخرب الديار وبسببه تنهار الدول.

(٤) تحاشى الخلق عن الظالم وبعدهم منه لخوفهم من بطشه.

(٥) معصيته متعدية للغير.

(٦) دليل على ظلمة القلب وقسوته.

(٧) عدم الأخذ على يد الظالم يفسد الأمة.

(٨) يجلب كره الرسول ﷺ.

(٩) صَغار الظالم عند الله وذلته.

(١٠) الظالم يُحرم شفاعة رسول الله ﷺ(٢).

* بل وفوق ذلك كله فإن الله -عز وجل- يحرمه من نعمة الهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٣)؛ لأن المعصية لو كانت فيما بين العبد وبين ربه

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠٢) كتاب الأدب، والترمذى (٢٥١١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢١١) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٨٦١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٠٤).

(٢) نضرة النعيم (٤٩٢٦/١٠).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٥١).

- عز وجل- فإن الله يقبل توبته بل ويبدل سيئاته إلى حسنات... أما مظالم العباد فلا بد للعبد أن يتحلل منها.

* بل إن الله - عز وجل- يحرم الظالم من محبته ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1]... ولنا أن نتخيل إنسانًا يعيش في أرض الله... والله يبغضه ولا يحبه.

* ولذا قال الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا
فالظلم ترجع عُقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ
يدعو عليك وعين الله لم تنم

* فأسأل الله - جل وعلا- أن يرزقنا نعمة العدل مع كل من حولنا وأن يحفظنا من أن نَظلم أو نُظلم، وأن يجمعنا بالنبي ﷺ في جنته التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٤٠).



المراقبة



المراقبة

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به . . . ألا وهو خُلق المراقبة.

فالعبد الضعيف إذا علم أن الله القوى العزيز الجبار ليس بغائب عنه وأنه مُطَّلع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوى فإنه يلين قلبه ويخشى الله فى السر والعلن ويُحسن عمله لله (جلَّ وعلا).

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع خُلق المراقبة.

علمني أبي

وتعالوا بنا لنبدأ الحديث عن هذا الخلق العظيم بهذه القصة الجميلة:

فقد كان هناك غلام صغير اسمه أنس.

دخل يومًا على أبيه وهو يبكي ويقول: أبي . . أبي قد وجدت هذه العشر جنيهات فى المدرسة ماذا أفعل؟

فنظر الأب بفراسة وحكمة لولده وقال: ماذا حدثتك نفسك يا ولدى عندما وجدتها؟

فكفَّ أنس عن البكاء وقال: قد كنت جائعًا جداً يا أبي ولم يكن معى مال ووجدت الأطفال من حولى كلٌ منهم يأكل حلوى لذيذة فدعوت الله أن يرزقنى ما يُذهب جوعى.

ومشيت قليلاً وفجأة وجدت عند قدمى عشر جنيهات إنه مبلغ كبير يكفى لشراء حلوى كثيرة تُشبعنى وتزيد على حاجتى.

فقال لى الشيطان: لقد استجاب الله دعاءك ورزقك المال هيا خذه واشترِ

به ما شئت من الحلوى.

فقلت في نفسي: لا... هذا ليس مالي، كيف أدخل بطني طعامًا من حرام؟

فجاءني الشيطان وقال لي: لا تخف، لن يراك أحد ولن يطالبك به أحد فخذه واشترِ به ما شئت ثم استغفر الله وتنتهي المشكلة.

فقلت في نفسي: إن كان أحد من البشر لا يراني فإن الله يراني... إني أخاف الله إني أخاف الله.

فالتقطتُ المال وتوجهت بسرعة لغرفة مدير المدرسة فوجدت المدير جالسًا يفكر في حيرة ويقول: أين أجدها اهدني يا ربي لمكانها؟

فاستأذنت ودخلت عليه وأخبرته بالخبر فنظر إليَّ متعجبًا وابتسم ثم قال: احتفظ بها ثلاثة أيام وسأعلن عنها عسى أن يأتي صاحبها ويأخذها.

الأب: أطع مدير مدرستك واحتفظ بها معك ثلاثة أيام ثم اذهب إليه.

وفي أثناء الثلاثة أيام مَرَّ أنس بأزمات كثيرة احتاج فيها للمال وأغرته نفسه أن ينفق من العشر جنيهات التي معه ولكن كان دائمًا يقول: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[1] عين الله تلاحقك... احفظ الله يحفظك.

وكان دائمًا يردد لنفسه هذه الكلمات... ومرت الأيام الثلاثة.

فذهب أنس للمدير وذكَّره بنفسه وبقصته فابتسم المدير وقال: يا ولدي قد نسيت أمر العشر جنيهات ولم أعلن عنه فما رأيك أن تأخذها فلو كان لها صاحب لسأل عنها فهو لم يظهر طيلة الثلاثة أيام؟

فقال أنس: لا... هذا ليس مالي لن آخذه.

فقال المدير: لن أخبر أحدًا يا ولدي فهذا مبلغ بسيط.

---

(١) سورة الملك: الآية: (١٢).

فغضب أنس وقال: وماذا أقول لربي غداً إذا وقفت بين يديه وسألني لِمَ أخذت مال غيرك ألم تعلم أني بما تعملون بصير.

ففرح المدير وصافح أنس وهو يهنئه: مبارك يا ولدى فقد فزت.

فتعجب أنس وقال: بِمَ فُزت يا مُعلمي؟

فقال المدير: هذه العشر جنيهات أنت صاحبها يا أنس.

فازدادت علامة الدهشة على وجه أنس وقال: أنا صاحبها؟ كيف هذا؟

فقال المدير: لقد أعدَّت وزارة التعليم مائة جنيه هدية للطالب المثالى فى كل مدرسة.

وقد وقعت العشر جنيهات منى وكانت جزءاً من المائة جنيه فأخذت أبحث عنها فلم أجدها حتى أتيتنى وقلت لى ما قلت.

ثم أمر المدير أنسًا أن يأتى المدرسة غدًا مبكرًا فى طابور الصباح ومعه والده أو والدته... وكانت المفاجأة.

فقد أعلن المدير: أن الطالب المثالى لهذا العام الحاصل على الجائزة الكبرى «المائة جنيه» هو الطالب أنس محمد فقد ضرب لكل زملائه مثلاً رائعًا وقدوة حسنة فى مراقبة الله والأمانة وإنا لنرجو له مزيداً من التوفيق والنجاح.

فاستلم أنس الجائزة ودموعه تنهمر على خده من الفرحة ونظر لأبيه وقال: جزاك الله خيراً عنى يا أبى يا من علمتنى أن النجاة فى خشية الله فى السر والعلن.

* * *

الربيع بن خثيم... قمة في المراقبة

أراد جماعة من المفسدين إغواء العابد الزاهد (الربيع بن خثيم) ـ رحمه الله ـ فذهبوا إلى امرأة من البغايا وأعطوها ألف دينار، فسألت عن سبب ذلك!

فقالوا لها: هذا ثمن قُبلة واحدة تأخذينها من الربيع بن خثيم.

ففرحت هذه المرأة البغي وقالت: ولكم فوق ذلك أن يزنى.

ذهبت المرأة إلى هذا العابد الزاهد، وتعرضت له بعد أن تجردت من ملابسها وحيائها المترتب على تجردها من الإيمان... فقام إليها (الربيع) مسرعاً وقال لها: كيف بك يا أمَة الله إذا نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين.. أم كيف بك يوم يسائلك منكر ونكير... أم كيف بك يوم تقفين بين يدى العزيز الجليل... أم كيف بك إن لم تتوبى يوم تُرمين في الجحيم!!!.

ففزعت المرأة وخرجت من عنده تائبة عابدة قائمة صائمة حتى لُقبت بعد ذلك بعابدة الكوفة... فقال هؤلاء الفجار الذين أرسلوها لإفساد الربيع بن خثيم: أردنا منها أن تُفسد الربيع بن خثيم فأفسدها الربيع علينا.

* * *

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد

* كان (المبارك) عبدًا رقيقًا أعتقه سيده، ثم اشتغل أجيرًا عند صاحب بستان، وفي ذات يوم خرج صاحب البستان مع أصحاب له إلى البستان، وقال للمبارك: ائتنا برمانٍ حلو فقطف رمانات ثم قدمها إليهم، فإذا هي حامضة، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال: لم تأذن لي أن آكل حتى أعرف الحلو من الحامض.... فقال له: أنت من كذا وكذا سنة تحرس البستان وتقول هذا - وظن أنه يخدعه- فسأل الجيران عنه، فقالوا: ما أكل رمانة واحدة. فقال له صاحب البستان: يا مبارك... أريد أن أستشيرك في أمرٍ هام.... إنني ليس عندي إلا ابنة واحدة فلمن أزوجها؟ فقال له: يا سيدي لقد كان اليهود يزوجون للمال، والنصارى للجمال، والعرب للحسب، والمسلمون يزوجون للتقوى، فمن أي الأصناف أنت زوِّج ابنتك للصنف الذي أنت منه. فقال: والله لا أزوجها إلا على التقوى وما وجدت إنسانًا أتقى لله منك فقد أعتقتك وزوجتك ابنتي!!!. سبحان الله عفّ المبارك عن رمانة من البستان فسيق إليه البستان وصاحبته، والجزاء من جنس العمل، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه... ومن هذا البيت خرج شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك الذي كان يقول: لأن أردَّ درهمًا من شُبهة خير لي من أن أتصدق بمائة ألف درهم، ومائة ألف درهم... حتى عد ستمائة ألف درهم ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾(١).

من كان لله كما يريد كان الله له كما يريد.

* * *

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٥٨).

درس جميل فى مراقبة الله

كان ياما كـان. . . كان هناك غلام طيب يعيش فى قـرية جميلة على شاطئ البحـر. . . وهذا الغلام اسمه عـبد الله. . . وكان عبد الله يشـتهر بالصـدق والأمانة والكرم والشـجاعـة. . . وكان كل أهل القـرية يحبـونه كثيراً.

وكان عـبد الله يذهب كل يوم إلى شيـخ القرية ليحـفظ القرآن على يديه.

وكان الشيخ يكرم عـبد الله ويقدره أكثر من زملائه فـغار زملاؤه وقالوا للشيخ: لماذا تُفضله دائمًا علينا؟.

فقال الشيخ: سأطلب منكم جميـعًا شيئًا لتفعلوه. . . وستـعرفون بعدها لماذا أُفضل عبد الله عليكم جميعًا؟

فقام الشيخ: وأعطى كل تلميذ برتقالة وقال له: أريد أن تأكلها فى مكان لا يراك فيه أحد. . . وسنلتقى غداً هنا لأعرف من كل واحد منكم أين أكل البرتقالة.

فأخذ كل واحد من التلاميذ برتقالة وانصرف.

وفى اليوم التالى حضر جميع التلاميذ فسألهم الشيخ: هل أكلتم البرتقال؟

فقال الأول: أكلتها فى الدولاب.

وقال الثانى: أكلتها تحت السرير.

وقال الثالث: أكلتها فوق السطوح.

وأخذ كل واحد من التلاميذ يحكى للشيخ أين أكل البرتقالة.

إلى أن جاء الدور على عـبد الله... فقـال له الشيخ: وأنت يا عبد الله أين أكلت البرتقالة؟

فأخرج عبد الله البرتقالة من جيبه وقال للشيخ: أنا لم آكل البرتقالة يا شيخى.

فقال له الشيخ: ولماذا لم تأكلها يا عبد الله؟

فقال عبد الله: لأنك أمرتنا أن نأكلها فى مكان لا يرانا فيه أحد ... فكلما ذهبت إلى مكان وأردت أن آكل البرتقالة علمت أن الله يرانى، فمن أجل ذلك لم آكل البرتقالة.

ففرح الشيخ به فرحًا كبيرًا واحتضنه وأعطاه مكافأة، ثم قال لسائر التلاميذ: ما رأيكم فى عبد الله؟

فقالوا: لقد علمنا أنه أفضل منا؛ لأنه يراقب الله ويخشاه.

فأين الله؟

كان يا ما كان... كان الصحابى الجليل عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يسير فى بعض طُرق مكة فى زيارة لواحد من الصحابة رضي الله عنهم وفجأة رأى رجلاً يرعى الغنم قد انحدر من الجبل فلما رآه عبد الله قال له: أيها الرجل... هل أنت الذى ترعى هذه الأغنام؟

فقال له الراعى: نعم... أنا راعى الغنم.

فقال له عبد الله: أريد أن أشترى منك شاة من الغنم فهل تبيع ؟

قال الراعى: أنا لا أمتلك الغنم إنما أنا مملوك عند سيدى.. فلا أستطيع أن أبيع شيئًا منها.

قال له عبد الله -يريد أن يختبره-: قل لسيدك: أكلها الذئب.

فقال الراعى: فأين الله (عز وجل).

فتأثر عبد الله بن عمر بهذه الكلمة وبكى وهو يقول: فأين الله... فأين الله...

ثم ذهب عبد الله مع هذا الغلام الراعي إلى سيده واشتراه من سيده واشترى الغنم كلها.. ثم أعتق هذا الغلام وأعطاه الغنم هدية.

وقال له: لقد أعتقتك هذه الكلمة في الدنيا فأسأل الله أن تُعتقك يوم القيامة من النار.

النبي ﷺ يعلِّم الأمة مراقبة الله - جل وعلا -

وها هو الحبيب ﷺ يعلم الأمة كيف تكون مراقبة الله -جل وعلا- قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»[1]... وقال ﷺ: «احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك»[2].

فالنبي ﷺ يعلمنا هنا أن العبد لا بد أن يراقب الله - عز وجل- في كل سكناته وحركاته وكلماته وأفعاله؛ بل في كل زمان ومكان «اتق الله حيثما كنت».. ومن المعلوم أن العبد قد يخطئ ويقع في المعصية ولذا عقَّب بعدها النبي ﷺ بقوله: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» وهذا فيما يتعلق بحق الله - جل وعلا- أما فيما يتعلق بحق العباد فلقد قال ﷺ بعدها: «وخالق الناس بخلق حسن» فجمع في تلك الكلمات اليسيرة بين حق الله وحق العباد.

- وقال ﷺ: «ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت»[3].

(١) حسن: رواه الترمذي (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، والدارمي (٢٧٩١) كتاب الرقاق، وأحمد (٢٠٨٤٧) مسند الأنصار ﷺ، من حديث أبي ذر ﷺ، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٩٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤) ومن مسند بني هاشم، من حديث ابن عباس ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) حسن: رواه ابن حبان في صحيحه (٢/١٢٩)، من حديث أسامة بن شريك، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٥٥).

- وقال ﷺ: «من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل»(١).

وهكذا تكون المراقبة لله - عز وجل - بأن ينشغل الإنسان المؤمن بعين الله ومراقبته ولا ينشغل بعين الناس طلبًا للحمد والثناء، فقد قال ﷺ: «مَن أرضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس»(٢).

المراقبة وأثرها في حياة الفرد والأمة

إن مراقبة الله تحيي القلوب الموات، وتوقظ الضمائر النائمة، وتجعل من الإنسان نموذجًا فريدًا، يندر وجوده بين سائر البشر، فهو لا يخطو خطوة ولا يضعها إلا وهو يسأل نفسه: هل هذا العمل يرضي الله أم لا؟ فتجد أن سكناته وحركاته كلها لله. وإذا راقب كل واحد منا ربه، فإن الأمة بأسرها ستعيش في مأمن من كل سوء لأن أبناء الأمة قد سلكوا طريق النجاة وعاشوا في طاعة الله فجلبوا الخير للأمة، وحجبوا عنها كل شر بطاعتهم لربهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(٣) وها هي الأمثلة على أن الرقابة تجعل المجتمع المسلم مجتمع خير وأمن وأمان ومحبة وإخاء.

* * *

(١) صحيح: رواه ابن الجوزي في العلل (٢/ ٨٢٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٠١٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٤١٤) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٠١٠، ٦٠٩٧).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

الرقابة تقود المؤمن لكى يعترف بجرائمه

نعم إنه الإيمان الذى يُخرج لنا نماذج تذهب بنفسها إلى الحاكم لتعترف على نفسها بالجريمة؛ لأن خوفهم من الله أشد بكثير من خوفهم من البشر فإذا كان القانون يفرض العقوبات الرادعة على كل من يرتكب الجرائم فإن الناس يبحثون دائمًا عن ثغرات القانون ـ وما أكثرها لأنها ليست من عند الله ـ فيحاولون التفلت من زمام العقوبة على جرائم قد ارتكبوها أما إذا نظرنا إلى ما يفرضه قانون الإيمان على الفرد المؤمن فإن إيمانه يفرض عليه مراقبة الله فى السر والعلن، فإذا وقع فى الجريمة وجد الإيمان يقوده إلى أن يعترف على نفسه ويطلب القصاص من نفسه حتى يفوز بمغفرة الله ورضوانه ورجاء أن يكون ذلك كفارة له عن ذنبه وشفيعًا له إلى ربه ولا يخشى فى ذلك أن تُقطع يده أو أن يُرجم أو أن يُجلد!!

الرقابة تدفع المؤمن ليؤدى الحقوق المادية

يقول بعض الدعاة:

قد تفرض القوانين التى وضعها البشر لأنفسهم، أو يضعها لهم جماعة منهم ضرائب على أهل المال منهم مقابل ما تُقدِّم لهم الدولة من خدمات، وأداءً لما يجب عليهم من مشاركة فى أعباء الأمة وواجباتها، ولكننا نجدهم يتهربون من أدائها بكل وسيلة، ويتحايلون على التخلص من التزامها بكل سبيل!!

وازن هذا بالزكاة فى الإسلام، تلك الضريبة التى فرضها الإيمان عبادة على المسلم، يَتقرَّب بها إلى مولاه، ويُقدمها طيب النفس، راضى القلب، داعيًا ربه: «اللهم اجعلها مغنمًا ولا تجعلها مغرمًا» محاولاً أن تكون من

أطيب ما عنده وأفضله، يُحاسب نفسه قبل حساب جُباتها -العاملين عليها- وقد يبذل أكثر مما يُطلب منه موقنًا أن ما عنده ينفد وما عند الله باق. اهـ.

الرقابة تجعل المؤمن لا يأكل إلا حلالاً

إن الواجب على كل مسلم أن يسلك سُبل الحلال، وينأى بنفسه عن مواطن الشبهة، فلا يأكل إلا الحلال ولا يُدخل بيته إلا الحلال... قال ﷺ: «يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال؟ من حلال أو حرام»[(١)].

وقال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس - وذكر منهم - وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»[(٢)].

الرقابة وأثرها فى إشاعة العدل

إن مراقبة الله توقظ ضمير المؤمن فتجعله يخاف أن يأتى يوم القيامة مفلسًا من كثرة المظالم.. فتجده أحيانًا يقتص من نفسه خوفًا من أن يلقى الله وعليه مظلمة لأحدٍ من الناس.

ذلك الضمير الذى جعل خليفة كعمر فى عام المجاعة المعروف بـ «عام الرمادة» لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسودّ جلده، فيكلمه بعض الصحابة فى ذلك، فيقول: بئس الوالى أنا إن شبعتُ والناس جياع!

* وهذا عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الراشد الذى يقول فيه مالك ابن دينار: يقولون: مالك زاهد!.. أىُّ زهد عندى؟ إنما الزاهد عمر بن

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٥٩) كتاب البيوع، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٦).

عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جُملة!

أجل، فلم يكن له فى خلافته سوى قميص واحد يلبسه، فكان إذا غسلوه جلس فى المنزل حتى ييبس. وهو الذى نشأ وشَبَّ فى أحضان النعيم.

ودخل على امرأته يومًا فسألها أن تُقرضه درهمًا يشترى به عنبًا، فلم يجد عندها شيئًا.. فقالت له: أنت أمير المؤمنين وليس فى خزائنك ما تشترى به عنبًا؟! فقال: هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدًا فى نار جهنم.

وقد اجتهد فى مدة ولايته ـ مع قصرها ـ حتى رد المظالم، وصرف إلى كل ذى حقٍ حقه، وكان مناديه ينادى فى كل يوم: أين الغارمون؟ أين الراغبون فى الزواج؟ أين اليتامى؟ أين المساكين؟ حتى أغنى كُلاً من هؤلاء.

ومع عدله وزُهده، وردِّه للمظالم، وشدته على نفسه وأقاربه كان يُناجى ربه فيقول: اللهم إن عمر ليس أهلاً أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر.

وأثنى عليه رجل فقال له: جزاكَ الله عن الإسلام خيرًا يا أمير المؤمنين. فقال: بل جزى الله الإسلام عنى خيراً[1].

الرقابة وأثرها فى المواساة والإيثار

وتتجلى آثار الرقابة فى هذا الأمر تجليًّا لا تكاد تراه إلا فى زمن الصحابة رضى الله عنهم ومن تبعهم بإحسان.

فإن الرجل منهم كان يحب لأخيه ما يحب لنفسه وكان يبذل له من وقته وماله وجهده ما يبذله لأحب أولاده وأهله إليه، بل قد يرتقى به الإيمان

---

(١) البداية والنهاية للإمام ابن كثير (٩/ ١٩٢ وما بعدها).

حتى يؤثر أخاه على نفسه فيعطيه الشيء الذى هو فى أشدّ الحاجة إليه. . . كل ذلك يفعله ابتغاء مرضاة الله.

بعث معاوية بن أبى سفيان بثمانين ألف درهم إلى عائشة، وكانت صائمة، وعليها ثوب خَلِق، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين ولم تُبق منه شيئًا. فقالت لها خادمتها: يا أم المؤمنين؛ ما استطعت أن تشترى لنا لحمًا بدرهم تفطرين عليه؟ فقالت: يا بُنية؛ لو ذكرتينى لفعلتُ!

وروى ابن سعد أن عبد الرحمن بن عوف باع لعثمان ابن عفان أرضًا له بأربعين ألف دينار، فقسَّم ذلك فى الفقراء من أقاربه، وفى ذى الحاجة من الناس، وفى أمهات المؤمنين[1].

الرقابة وأثرها فى صدق المعاملة

* إن المؤمن الذى يراقب ربه لا يشغله الربح ولا تشغله الدنيا بأسرها، وذلك لأنه يوقن بأن الرزق بيد الله، وأن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته.. ولذا تراه يصدق فى بيعه وشرائه.

يروى الإمام الغزالى عن محمد بن المنكدر أنه كان له شُقق بعضها بخمسة دراهم، وبعضها بعشرة، فباع غلامه فى غيبته لأعرابى شُقة من الخمسيات بعشرة، فلما عاد ابن المنكدر وعرف، لم يزل يطلب ذلك الأعرابى المشترى طول النهار حتى وجده، فقال له: إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة. فقال الأعرابى: يا هذا، قد رضيتُ. فقال: وإن رضيتَ. فإنَّا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شُقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد

(١) طبقات ابن سعد (٢/١٣).

عليك خمسة، وإما أن ترد شُقتنا وتأخذ دراهمك. فرد عليه خمسة، وانصرف الأعرابي[١].

بل لا أكون مبالغًا إذا قلت إن الإسلام انتشر في بقاع الأرض بصدق المعاملة وأمانة البيع والشراء؛ لأن المسلم إذا كان صادقًا أمينًا في بيعه وشرائه فقد شهد للإسلام شهادة عملية كما شهد له من قبل شهادة قولية.

نعمة جليلة لأهل المراقبة

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ـ عز وجل ـ إذا تحدَّث[٢] عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل. فإن عملها أكتبها له بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها. وقال رسول الله ﷺ: قالت الملائكة رب! ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به - فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة. فإنه تركها من جرَّاي»[٣] يعني: من أجلي.

* فلأن هذا العبد ترك تلك المعصية لله - جل وعلا- فإن الله يأمر ملائكته أن تكتب تلك المعصية التي همَّ العبد بفعلها ثم تركها حسنة لأنه تركها خشية لله - جل وعلا-.

* * *

---

(١) الإحياء (٤/ ٧٢).

(٢) أي: عزم وأراد.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٠١) كتاب التوحيد، ومسلم (١٢٩) كتاب الإيمان.

المراقبة تجلب الخير للأمة

وإن مراقبة الله - جل وعلا- تجلب الخير للأمة كلها... وحسبك أن تقف على هذه القصة لتعلم صدق مقالتي.

أصدر عمر رضي الله عنه قانونًا يمنع غش اللبن بخلطه بالماء، ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف، وأن تقبض على كل خائن وغاش؟!.

القانون أعجز من هذا؛ فإن عين الإنسان لها حدود لا تتجاوزها... أما عين الله فلا يعجزها شيء... فالإيمان بالله والمراقبة له هو الذي يعمل عمله في هذا المجال.

وهنا تحكي القصة المشهورة حكاية الأم وابنتها: الأم تريد أن تخلط اللبن طمعًا في زيادة الربح، والبنت المؤمنة تذكرها بمنع أمير المؤمنين لهذا الأمر، فتقول الأم: وهل أمير المؤمنين يرانا؟ فترد الابنة بهذا الجواب الذي نبع من قلب مؤمن بالله، ويعلم أن الله مطلع عليه، قالت: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا، فرب أمير المؤمنين يرانا، فما كان من عمر الذي سمع تلك المقالة من هذه الفتاة الصالحة المراقبة لله - عز وجل- إلا أن قام إلى أولاده، وقال: ليذهب أحدكم إلى تلك الفتاة فليتزوجها، فإني لأرجو الله أن يخرج من أصلابها رجلاً يوحد الله به كلمة المسلمين... وكان الذي توقعه عمر رضي الله عنه، فقد تزوجها ابنه عاصم، فأنجبت له بنتًا سموها ليلى وكنوها بأم عاصم، ثم تزوجت ليلى بعبد العزيز بن مروان، فأنجبت له الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذي قاد المسلمين إلى كل خير... وهكذا تكون نتيجة المراقبة لله جل وعلا.

* بل إن المراقبة تجعل العبد أبعد ما يكون عن معصية الله -جل وعلا- وبذلك يصبح المجتمع نظيفًا طاهرًا خاليًا من المعاصي والمخالفات التي تجلب

سخط رب الأرض والسموات - جل وعلا-.

* وبالجملة فالمراقبة تحيي القلوب الموات وتوقظ الضمائر النائمة وتجعل من الإنسان نموذجًا فريدًا يندر وجوده بين سائر البشر فهي تقود المؤمن لأداء حقوق البشر وعدم الوقوع في مظالم العباد بل وتجعل العبد يحرص على أن لا يأكل إلا حلالاً ولا يُدخل بيته إلا الحلال... بل وتجعل العبد يحب لأخيه ما يحب لنفسه حتى إنه ليرتقي إلى درجة الإيثار على النفس.

وكل ذلك بفضل مراقبة العبد لربه -جل وعلا-.

ما الذي يعينك على مراقبة الله - جل وعلا - ؟

وأخيرًا: ما الذي يعينك على مراقبة الله - جل وعلا-؟.

* إن من أعظم الأشياء التي تعينك على مراقبة الله أن تتعرف على الله بأسمائه وصفاته فإذا علمت أن الله هو الرقيب الحسيب الشهيد المحصي العليم السميع البصير كان ذلك حاديًا لأن تستحضر رقابته عليك في كل زمان ومكان.. وهذا هو الترجمة الحقيقية لقول النبي ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** (١).

* وإن مما يعينك على مراقبة الله - جل وعلا-: البُعد عن أصدقاء السوء والحرص على الرفقة الصالحة ومن هنا جاءت وصية الحبيب ﷺ: **«لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»** (٢).

* وإن مما يعينك على مراقبة الله - جل وعلا-: الخوف من سوء الخاتمة فإن الخوف من سوء الخاتمة طيَّر نوم العابدين وجعلهم دائمًا خائفين وجلين

---

(١) صحيح: وقد تقدم.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) كتاب الأدب، والترمذي (٢٣٩٥) كتاب الزهد، وأحمد (٢-٩٤٤) باقي مسند المكثرين، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٣٤١)

يخشون من سوء الخاتمة.. فكان أحدهم يظل الليل كله يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾[1] ويبكي خوفًا من سوء الخاتمة.

وكان النبي ﷺ يدعو ويقول: «... وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت»[2].

بل كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[3].

* وإن من أعظم الأسباب التي تعينك على مراقبة الله -جل وعلا-:

استحضار نعيم الجنة وعذاب النار... فالعاقل هو الذي يحاسب نفسه في الدنيا ويُلزمها بطاعة الله لكي يفوز بالنعيم والرضوان في جنة الرحيم الرحمن - جل وعلا-.. فكل نعيم دون الجنة سراب وكل عذاب دون النار عافية.

الجوارح والأركان تعترف بجرائم الإنسان

حبايبي الحلوين: لا بد أن نعلم أن كل ذنب فعلناه بعضو من أعضائنا (كاليد والرجل والعين والأذن واللسان) فإن ذلك العضو سينطق يوم القيامة ويشهد علينا إذا لم نتب ونرجع إلى الله (جلَّ وعلا).

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[4].

---

(١) سورة الزمر: الآية: (٤٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٥٥٢) كتاب الصلاة، والنسائي (٥٥٣١) كتاب الاستعاذة، من حديث أبي اليسر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٨٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٠) كتاب القدر، وابن ماجه (٣٨٣٤) كتاب الدعاء، من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٠٩١).

(٤) سورة النور: الآيتان: (٢٤، ٢٥).

وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ (٢).

* قال أنس رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال: «أتدرون مما أضحك» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني (٣) من الظلم؟» قال: «يقول بلى» قال: «فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني... فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين شهودًا» قال: «فيُختم على فيه، ويقال لأركانه (٤) انطقي» قال: «فتنطق بأعماله ثم يُخلى بينه وبين الكلام، فيقول لأعضائه: بُعدًا لكُنَّ وسحقًا فعنكن كنت أناضل» (٥).

* فاتق الله يا أخي في تلك الجوارح ولا تسع بها إلى المعاصي، بل اجعلها تعمل في طاعة الله جل وعلا، فإن الجوارح ستنطق وتتكلم وتخبر

(١) سورة يس، الآية: (٦٥).
(٢) سورة فصلت، الآيات: (١٩ ـ ٢٤).
(٣) الإجارة: عهد بالمنع والحماية.
(٤) أي: أعضائه من يدين ورجلين وغيرها.
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٩) كتاب الزهد والرقائق.

بما عملته، وهذا ليس بعجيب إذا ما علمت أن الأرض التي هي من الحجارة والصخور سوف تتكلم وتخبر بكل ما حدث على ظهرها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[1].

* * *

(١) سورة الزلزلة: الآيتان: (٤، ٥).





الوفاء

الوفاء

حبايبى الحلوين: وها هو خُلق من أعظم أخلاق الرسول ﷺ التى ينبغى أن نتحلى بها... ألا وهو خُلق الوفاء.

* فالمسلم لا ينسى فضل ربه عليه ولا ينسى نعمه التى لا تُعد ولا تُحصَى ولذلك يجب أن يكون وفيًا مع الله وذلك بأن يعبده ويعترف بنعمه عليه.

* ويجب أن يكون وفيًا مع رسول الله ﷺ فهو الذى علمنا الخير كله وعرفنا الطريق الموصل للجنة وحذرنا من الشر كله حتى ننجو من عذاب النار.

* ويجب أن يكون وفيًا مع أبيه وأمه فقد أحسنا إليه ورابياه صغيراً وبذلا وسعهما من أجل راحته وسعادته.

* ويجب أن يكون وفيًا مع كل من علَّمه حرفًا ومع كل من أحسن إليه ومع كل من أسدى إليه معروفًا.

وبذلك ينتشر الحب والوفاء فى المجتمع المسلم ويصبح مجتمعًا نظيفًا طاهرًا خاليًا من الأحقاد.

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع نعمة الوفاء.

* * *

فى رحاب الوفاء

إن الوفاء نعمة جليلة يمنّ الله بها على من يشاء من عباده. . . فمن أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطاعات والعبادات ولذا قال رب الأرض والسموات - جل وعلا- : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾[1] .

وأهل الوفاء هم أهل البر والصدق والتقوى فلقد وصف الحق -جل وعلا- أهل البر فكان من بين أوصافهم ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[2] .

وأهل الوفاء هم أهل الفردوس الأعلى فلقد وصف الله عباده المؤمنين بصفات جليلة وكان من بينها: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ثم قال بعدها: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3] .

أنواع الوفاء

* والوفاء ثلاثة أنواع:

١- الوفاء مع الله - عز وجل-: وذلك بأن يحقق العبد التوحيد لله - جل وعلا- وأن يخلص النية فى أعماله التى يتقرب بها إلى الله وأن ينفذ كل أوامر الحق -جل وعلا- وأن ينتهى عن كل ما نهى الله عنه.

٢- الوفاء مع رسول الله ﷺ : وذلك بأن يحقق العبد الاتباع المطلق لرسول الله ﷺ وذلك بأن يقتدى ويتأسى بالنبى ﷺ فى كل أقواله وأفعاله.

---

(١) سورة النحل: الآية: (٩١).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٧٧).

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان: (١٠، ١١).

٣- الوفاء مع الناس: وذلك بأن يكون وفيًّا مع كل من حوله في العهود والعقود والوعود وأن يكون وفيًّا مع كل من أحسن إليه وذلك من باب قول النبي ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1].

الوفاء من صفات الأنبياء

وإن أنبياء الله -صلوات ربي وسلامه عليهم- لهم الحظ الأوفى من الوفاء فلقد وصف الله خليله إبراهيم -عليه السلام- بقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[2] أي: وفَّى بكل شيء وكمَّل العبودية لله -جل وعلا-.

- وقال -جل وعلا- عن إسماعيل -عليه السلام-: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[3].

- بل ها هو موسى - عليه السلام- الذي لما لقي الرجل الصالح من أهل مدين وعرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه على أن يعمل عنده برعي الغنم ثماني سنين أو عشراً فما كان من موسى - عليه السلام- إلا أن وفَّى بأكمل وأفضل الأجلين مع أن الأمر كان على الخيار.

عن سعيد بن جبير، قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على حَبر العرب فأسأله. فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله إذا قال فعل[4].



(١) صحيح: رواه الترمذي (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٨٧٠١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥٤١).

(٢) سورة النجم: الآية: (٣٧).

(٣) سورة مريم: الآية: (٥٤).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٦٨٤) كتاب الشهادات.

في رحاب سيد الأوفياء ﷺ

لقد كان النبي ﷺ سيد الأوفياء وكان يحض الأمة على الوفاء في كل شيء فكان يعلم الأمة كيف يكون الوفاء مع الله - عز وجل- أولاً.

* عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه. قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً**»؟!![1].

- وكان يرتقي بأرواح المؤمنين إلى جنة رب العالمين - جل وعلا-.

فها هو ﷺ يقول: «**اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة -وكان من بينها- وأوفوا إذا وعدتم**»[2].

- وكان ﷺ يحذر من الغدر ونقض العهود والوعود فقال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**» زاد في رواية لمسلم: «**وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم**»[3].

- ولما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ وكان أبو سفيان وقتها على الشرك... فقال له هرقل: فماذا يأمركم؟ -يعني: النبي ﷺ- فقال أبوسفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة[4].

- وكان النبي ﷺ ينهى عن الغدر حتى في الحروب...

فالنبي ﷺ كان إذا أمَّر أميراً على سرية أمره في نفسه بتقوى الله ثم

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٣٠) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٨١٩) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) حسن: رواه أحمد (٢٢٢٥١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٤٧٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٩) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير.

قال: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا لا تغلُّوا ولا تغدروا...»[1].

صور مضيئة من وفائه ﷺ

عن أبي رافع رضي الله عنه قال: بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ أُلقي في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أخيس[2] بالعهد، ولا أحبس البُرد[3]، ولكن ارجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن، فارجع» قال: فذهبت، ثم أتيت النبي ﷺ فأسلمت[4].

* وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حُسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا... نفي لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم»[5].

* وها هو المغيرة بن شعبة الذي كان قد صحب قومًا في الجاهلية فشربوا الخمر فقام عليهم فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم وأراد أن يعطي المال للنبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء»[6]. وذلك لأنه أخذ غدرًا.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) أخيس: أنقض.

(٣) البرد: جمع بريد وهو الرسول.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢٧٥٨) كتاب الجهاد، وأحمد (٢٣٣٤٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٠٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٧) كتاب الجهاد والسير.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

* وعن جبير بن مطعم بن عدى رضي الله عنه أنه قال: إن النبى ﷺ قال فى أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدى حيًا ثم كلمنى فى هؤلاء النَّتنى[1] لتركتهم له»[2].

* وإنما قال النبى ﷺ ذلك اعترافًا منه بالجميل لما أدخله فى جواره بعد أن ردَّه أهل الطائف.

وفاء النبى ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم

وكان النبى ﷺ سيد الأوفياء لكل من حوله... وكان أقرب الناس إلى قلبه هم أصحابه رضي الله عنهم الذين كانوا عونًا له ﷺ على حمل أمانة هذا الدين فضحَّوا من أجله بالغالى والنفيس وبذلوا أموالهم ودماءهم لإعلاء كلمة: لا إله إلا الله..

ولم ينس لهم النبى ﷺ ذلك فأوصى الأمة المسلمة بأصحابه ليعرفوا قدرهم ومكانتهم.

* عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه»[3].

* وقال الإمام الذهبى -رحمه الله-: «إنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسُنَنه، ولولاهم ما

---

(١) المراد بهم أسرى بدر من المشركين.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣١٣٩) كتاب فرض الخمس، و(٤٠٢٤) كتاب المغازى.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٣) عن أبى سعيد الخدرى.

وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنّة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

وقال ﷺ: «احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..»[1].

وقال ﷺ: «لعن الله من سب أصحابي»[2].

وفي رواية قال ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[3].

وصيته ﷺ بالأنصار رضي الله عنهم

لقد علم النبي ﷺ أن الأنصار لن يكون لهم حظ من بعده في الخلافة أو الإمارة أو أي شيء من حطام الدنيا الزائل فواعدهم باللقاء على الحوض حتى يصبروا على أي بلاء يصيبهم من بعده.

«إنكم ستلقون بعدي أثَرَة[4] فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[5].

وقال ﷺ: «من أحب الأنصار أحبه الله ومن أبغض الأنصار أبغضه الله»[6].

وقال ﷺ: «إن الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم، والذي نفسي

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٣٦٣) كتاب الأحكام، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠٦).

(٢) حسن: رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٣٤)، وفي الأوسط (٧/ ١١٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥١١١).

(٣) حسن: رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٢)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٨٥).

(٤) أثرة: استئثار بأمور الدنيا. والأصل فيه الانفراد بالشئ المشترك دون من يشركه فيه.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٤٣٣٠) كتاب المغازي.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٧٥) كتاب الإيمان.

بيده، لا يحب الأنصار رجل حتى يلقى الله، إلا لقى الله وهو يحبه، ولا يبغض الأنصار رجل حتى يلقى الله، إلا لقى الله وهو يبغضه»(١).

* وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بُغض الأنصار»(٢).

وفاء النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه

فمن المعلوم أن أبا بكر رضي الله عنه هو أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ .. فهو الذي قدَّم الكثير والكثير لنصرة دين الله - جل وعلا- فلم يتأخر لحظة واحدة عن مساندة النبي ﷺ من أول لحظة من لحظات البعثة وحتى فارق الدنيا -رضي الله عنه وأرضاه-... فأراد النبي ﷺ أن يوضح للناس مكانة أبي بكر ليعرفوا قدره ومكانته.. وهذا من باب وفاء النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه.

قال ﷺ : «ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»(٣).

* وقال ﷺ : «ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»(٤).

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٥١١٢)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٧٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٤) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (١١/١٩١)، وفي الأوسط (١/١٦١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٢١٤).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٦٦١) كتاب المناقب، وابن ماجه (٩٤) في المقدمة، وأحمد (٧٣٩٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٦١).

وفاء النبى ﷺ لأمته

وها هو الحبيب ﷺ يضرب لنا المثل والأسوة والقدوة فى وفائه لأمته الذين يأتون يوم القيامة وهم فى ميزان حسناته ﷺ .

* فها هو يبكى خوفًا وشفقة على أمته .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبى ﷺ تلا قول الله - عز وجل- فى إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2] فرفع يديه وقال: «اللهم أمتى - وبكى، فقال الله عز وجل-: يا جبريل اذهب إلى محمد فسله: ما يبكيك -وربك أعلم- . فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال -وهو أعلم- فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك»[3] .

* وها هو ﷺ يدخر دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة لينقذهم من النار . . . ففي الحديث أن النبى ﷺ قال: «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»[4] .

* * *

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (١١٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

وفاء النبى ﷺ لعمه أبى طالب

ولقد كان أبو طالب - عم النبى ﷺ - يدافع عنه ويدفع عنه أذى المشركين فلم ينس النبى ﷺ له ذلك أبدًا وظل يتابعه بالدعوة- حتى آخر لحظة فى حياته لكن عمه مات على الكفر وأبى أن يقول: لا إله إلا الله..
فقال العباس - عم النبي- للنبى ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال ﷺ : «هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار»(١).

وهكذا كان وفاء النبى ﷺ لعمه أبى طالب.

وفاء النبى ﷺ لخديجة رضي الله عنها

وكان من بين الصفحات المشرقة لوفاء النبى ﷺ تلك الصورة الغالية من وفائه لأمنا خديجة رضي الله عنها فلقد كان النبى ﷺ يحبها حبًا جمًا فلم يتزوج النبى ﷺ امرأة قبلها أبدًا بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت فلما ماتت حزن عليها النبى ﷺ حزنًا شديدًا وظل يذكرها لآخر لحظة فى حياته ﷺ ... وهكذا يعلمنا النبى ﷺ كيف يكون الوفاء مع الزوجة الصالحة.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على نساء النبى ﷺ إلا على خديجة وإنى لم أدركها... قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ : «إنى قد رُزقت حبها»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

وفى رواية للبخارى. . . وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لى منها ولد»[1].

* وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى فأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيرًا منها؟ قال: «ما أبدلنى الله خيرًا منها!! قد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله أولادها، وحرمنى أولاد الناس»[2].

لئلا يقال: ذهب الوفاء من الناس

رُوى أن النعمان بن المنذر، كان له يومان: يوم بؤس، لا يظفر فيه بأحد إلا قتله - وهذا قبل الإسلام- ويوم نعيم لا يصادف فيه أحدًا إلا أنعم عليه.

وفى يوم بؤسه، ظفر برجل بعيد كل البعد عن وطنه وأهله، ولما قُدِّم لكى يُقتل طلب مُهلة ثلاثة أيام يعود فيها إلى أهله، ثم يرجع إلى الملك لينفذ فيه حكم القتل. فطلب الملك منه كفيلاً يضمنه لهذا الأمر، فنظر الرجل إلى وجوه الحاشية لعله يجد ذا مروءة يكفله، فوقع اختياره على رجل يُدعى - شريك - فخجل منه شريك، وضمنه على أنه إذا غاب عن الموعد المحدد تقدم للقتل بدلاً منه، وذهب الرجل، وغاب ثلاثة أيام، وجاءت ساعة الموعد، ولم يحضر الرجل، فتقدم شريك للقتل، وحزن عليه القوم، وجعلوا يتطلعون إلى الطرق من كل ناحية، فإذا بشخص يظهر من

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨١٨) كتاب المناقب.

(٢) رواه أحمد (٢٤٣٤٣) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا سند حسن فى المتابعات.

بعيد تحت الغبار، فأخروا قتل شريك حتى يظهر خبر هذا الآتي من بعيد، وما هي إلا لحظات حتى جاء الرجل وفاءً لموعده، فتعجب الناس من هذا الوفاء، وكأنما أصيبوا بغاشية، وكان الملك أشد إعجابًا منهم مما جعله يسأل شريك، ويقول له: لِمَ كفلته؟. فقال: خوفًا من أن يُقال: ذهبت المروءة من الناس. وسأل الرجل: لِمَ حضرت إلى القتل؟ فقال: لئلا يقال: ذهب الوفاء من الناس. فقال الملك: وأنا عفوت عنكما، لئلا يقال: ذهب العفو من الناس. ومن ذلك اليوم أبطل الملك «النعمان بن المنذر» تلك العادة الظالمة[1].

الحصان الوفي

كان ياما كان... كان هناك رجل أعزب اسمه: الزعتري كان يسكن بمصر وكان يعيش في الصحراء في خيمة جميلة.

وكان عنده فرسٌ أحبه حُبًّا جمًّا وكان يرعاه ويدلله غاية التدليل فكان يقدم له الشعير مخلوطًا بالسكر وإذا مرض استدعى له الطبيب ليعالجه- بإذن الله.

وظل على هذه الحالة مدة من الزمان.

وفي يوم من الأيام مرض الزعتري ونام في تلك الخيمة فحزن عليه الفرس حزنًا شديدًا وفقد شهيته وامتنع عن الطعام وترك حظيرته وظل واقفًا أمام خيمة صاحبه الزعتري.

وظل الفرس على هذا الحال إلى أن مات صاحبه الزعتري وجاء الناس من حوله ليُغسلوه ويكفنوه ويصلوا عليه ويدفنوه.

وحمل الناس جنازة الزعتري فسار الفرس خلفهم حزينًا حتى وصلوا إلى

---

(١) المستطرف (١ / ٢٢١)

قبر الزعـترى وأنزلوه فى قبره ليدفنوه فنظر الـفرس نظرة حزينة . . . نظرة وداع لصاحـبه الذى لطـالما كان يدلله ويلاعـبه ويُطعـمه الشـعير مـخلوطًا بالسكر . . . وها هو الآن يراه للمرة الأخيرة وهو فى قبره.

فلما دُفن الزعترى انطلق الفرس الحـزين أمام الناس كالبرق وظلَّ منطلقًا بسرعة حـتى وصل إلى صخرة عاليـة فوق التل فصعد علـى تلك الصخرة ووصل إلى أقصى ارتفاع فيها ثم ألقى بنفسه من فوق قمة التل ليموت وسط دهشة الجميع حزنًا على موت صاحبه الزعترى.

* * *



حكاية الكلب الوفى

كان يا ما كان. . . كان هناك رجل طيب ذهب يومًا لزيارة بعض إخوانه الذين يحبهم فى الله.

ومر فى الطريق على المقابر فدخل ليدعو لهم فوجد شيئًا عجيبًا.

لقد وجد قبرًا مكتوبًا عليه: هذا قبر كلب له خبر عجيب فمن أراد أن يعرف خبره فليذهب إلى قرية كذا فإن فيها من يخبره.

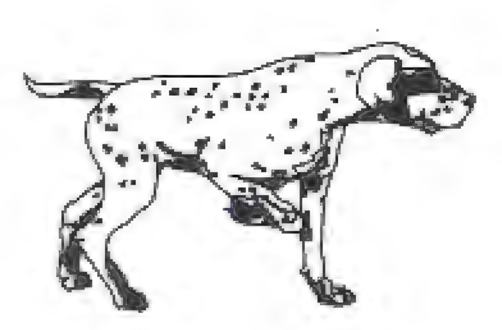
فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فذهب إليها وسأل أهلها فدلوه على شيخ كبير فى السن. . .

فدخل وسلم عليه وسأله عن خبر هذا الكلب.

فقال له الرجل: لقد كان فى هذا المكان ملك عظيم الشأن وكان يحب الخروج كثيرًا للنزهة والصيد والسفر. وكان عنده كلب لا يفارقه أبدًا. . . وكان يحبه حبًا شديدًا. وفى يوم من الأيام خرج الملك إلى بعض المتنزهات وطلب من الطباخ أن يُعد له ثريدًا باللبن.

انصرف الملك. . . وقام الطباخ وصنع للملك ثريدًا باللبن ونسى أن يغطيه لانشغاله بإعداد طعام أهل القصر - أسرة الملك- .

فجاءت حية كبيرة ونفثت سُمها فى اللبن فرآها الكلب ولكنه لم يستطع أن يفعل أى شىء مع الحية. . . وكانت هناك جارية خرساء قد رأت ما فعلته الحية.



وعــاد الملك من رحلة الصــيد وطلب مــنهم أن يحضــروا الثــريد باللبن فأحضــروه فحاولت الجارية الخرساء أن توضح لــلملك أن اللبن فيه سُم فلم يفــهم ما تقــول وبدأ الكلب ينبح ويصــيح حتى لا يشــرب الملك هذا اللبن المسموم فلم يلتفت إليه فلما رآه الكــلب يمد يده إلى اللبن ليشرب قفز على المائدة وشرب من اللبن فســقط ميتًا في التو واللحــظة، ففهم الملك أن اللبن كان مسمومًا فسأل الجارية: هل كان اللبن مسمومًا؟

فأشارت إليه ووضــحت له بالإشارات أن الحية جاءت ونفثــت سمها في اللبن وأن الكلب فعل ذلك من أجل أن يفدى حياته.

فقال الملك لكل من حوله: هل رأيتم وفاءً مثل وفاء هذ الكلب؟

قالوا: لا.

قال الملك: إن هذا الكلب لن يدفنه غــيرى بعــد أن فداني بحــياته... فدفنه وكتب عليه ما قرأت على قبره.

* * *

من ثمرات الوفاء

وهذه باقة عطرة من ثمرات الوفاء التي لا تنتهي أبدًا:

(١) من أوفى بعهد الله من توحيده وإخلاص العبادة له، أوفى الله بعهده من توفيقه إلى الطاعات وأسباب العبادات.

(٢) الذين يوفون بعهد الله، هم أولو الألباب وهم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله فوعدهم بأن لهم الجنة ومن أوفى بعهده من الله؟

(٣) مدح الله الموفين بعهودهم كثيرًا في القرآن.

(٤) الوفاء صفة أساسية في بنية المجتمع الإسلامي، حيث تشمل سائر المعاملات، إذ كل المعاملات والعلاقات الاجتماعية والوعود والعهود تتوقف على الوفاء، فإذا انعدم الوفاء انعدمت الثقة، وساء التعامل وساد التنافر.

(٥) من أهم أنواع الوفاء، الوفاء بالعهود من بيعة وبيع ودين ونذرٍ وشروطٍ تتعلق بالمعاملات المالية والاجتماعية.

(٦) المسلم المتمسك بالوفاء في كل أحواله يجد في نفسه سعادة عظيمة عندما يوفي حقوق الله - عز وجل - كاملة وحقوق إخوانه المسلمين. ولا ينسى حق أهله ونفسه عليه فيعطي كل ذي حقٍ حقه [١].

* * *

---

(١) نضرة النعيم (٨ / ٣٦٦٨).

أين نحن من الوفاء

وأخيرًا: أين نحن من خُلق الوفاء؟ أين الوفاء مع الله؟ هل حققنا العبودية لله - جل وعلا- أم أننا عشنا من أجل جمع حُطام الدنيا الزائل؟.

- أين الوفاء مع رسول الله ﷺ؟ هل عشنا على سنته أم أننا ذهبنا تتشبه بالشرق والغرب وتركنا مصدر عزنا ومعين كرامتنا ووجودنا؟.

- أين الوفاء مع الوالدين؟ أما سمعنا قول الله - جل وعلا-: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[1].

- أين الوفاء مع كل من علمنا علمًا نتقرب به إلى الله - عز وجل-؟.

لقد كان الإمام أحمد يستغفر للإمام الشافعي طوال حياته حتى لقي ربه - عز وجل- وفاءً له.

- أين الوفاء مع كل من أحسن إلينا؟.

إننا في حاجة إلى أن نُعلم الكون كله أن الإسلام هو دين الوفاء وأن رسولنا ﷺ هو سيد الأوفياء.

* فأسأل الله -جل وعلا- أن يرزقنا خُلق الوفاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) سورة الرحمن، الآية: (٦٠).



القناعة



القناعة

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به... ألا وهو خُلق القناعة.

* وما أجمل أن يتحلى المسلم بخُلق القناعة وأن يعلم أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة وأنها لو كانت تساوي جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء... وأن يعلم أن النعيم الحقيقي لن يكون إلا في جنة الرحمن التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق القناعة.

فضل الزهد في الدنيا (من القرآن الكريم)

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

---

(١) سورة النساء: الآية: (٧٧).

(٢) سورة يونس: الآية: (٢٤).

حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[2].

فضل الزهد فى الدنيا . من سنة الحبيب ﷺ .

وتعالوا بنا لنتعرف على فضائل الزهد فى الدنيا من خلال سنة الحبيب ﷺ.

- فها هو ﷺ يخبر أصحابه والأمة من بعدهم بضآلة الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

- قال ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»[3].

- وقال ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع؟»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»[5].

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه الألباني رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٨٦).

الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»[١].

* وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[٢].

النبي ﷺ يعلم الأمة نعمة القناعة

* وها هو ﷺ يعلم أصحابه وأمته نعمة القناعة؛ ليعلموا أن الدنيا لا تستحق أن ينشغل العبد بحطامها الزائل.

قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عندهُ قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[٣].

* وقال ﷺ: «قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»[٤].

* وقال ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[٥].

* ووضح النبي ﷺ أن الزهد في الدنيا من أعظم أسباب صلاح هذه الأمة فقال ﷺ: «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل»[٦].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٧٦) كتاب الزهد، وأحمد (١٥٣٥٧)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٢٠).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وحسنه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٦) صحيح: رواه أحمد في الزهد ص (١٠)، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٤٢٧).

* وأخبر الصادق ﷺ أن العبد إذا انشغل بالآخرة أتته الدنيا وهي راغمة وإذا انشغل بالدنيا خسر الدنيا والآخرة...

قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همهُ، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له»[١].

يقول أحد العلماء (حفظه الله):

قرأت سيرة سعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، والخليل بن أحمد وأمثالهم من علماء الملة، فوجدت العجب العجاب، من قناعتهم من الدنيا بالقليل، فهم على الخبز اليابس أحيانًا مع الماء، وأحيانًا مع الزيت، وربما جاعوا الأيام ولم يجدوا طعامًا، وربما لا يجدوا إلا خبز الشعير، مع أن الدنيا تطاردهم، وعطايا السلطان تطلبهم، وهم يرفضون ويفرون. وهذا هو العلم النافع الذي أثر في حياتهم وأخلاقهم، فبقي ذكرهم مرفوعًا دائمًا وأبدًا، وعمَّ نفعهم، واستفيد من علمهم، وانتشر فضلهم والثناء عليهم. رحمهم الله رحمة واسعة وإيانا معهم[٢].

مع سيد الزاهدين محمد بن عبد الله ﷺ

وها هو سيد الزاهدين وسيد ولد ادم محمد بن عبد الله ﷺ الذي عُرضت عليه الدنيا بزهرتها الفانية فأبى أن يقبلها.

- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٢) حدائق ذات بهجة (ص: ١٦٦) للشيخ عائض القرني.

يجد من الدقل[١] ما يملأ به بطنه.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خُبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض[٢].

- عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا ابن أُختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثةُ أهلة في شهرين، وما أُوقد في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ. قلت: يا خالة فما كان يُعيِّشُكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يُرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا [٣].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فرجعت إلى منزلها، فبعثت إليَّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ، فقال: «ما هذا؟» فقلت: فلانةُ الأنصارية دخلت عليَّ، فرأت فراشك، فبعثت إليَّ بهذا. فقال: «رُدِّيه» فلم أردَّه، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال: «يا عائشة، رُدِّيه، والله لو شئت، لأجرى اللهُ معي جبال الذهب والفضة»[٤].

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[٥].

---

(١) الدقل: رديء التمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤١٦) كتاب الأطعمة، و(٦٤٥٥) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٠) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٥٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) رواه أحمد بسند صحيح.

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) كتاب الزهد، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٦٨).

* بل كان النبي ﷺ يُكثر من هذا الدعاء: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»[١].. أي: ما يسد الرمق.

* بل تأمل معي هذا المشهد الجليل.

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «وأنا، والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما.. قوما» فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً. فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟»، قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحدٌ اليوم أكرم أضيافًا مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسرٌ وتمرٌ ورُطبٌ، فقال: كُلُوا، وأخذ المُديـة، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا. فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «والذي نفسي بيده، لتُسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»[٢][٣].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) قولها: «يَستَعذِب» أي: يطلب الماء العذب، وهو الطيب. و«العِذْق» بكسر العين وإسكان الذال المعجمة: وهو الكباسة، وهي الغُصن. و«المُدية» بضم الميم وكسرها: هي السكين. و«الحَلُوب» ذات اللبن. والسؤال عن هذا النعيم سؤال تعديد النعم لا سؤال توبيخ وتعذيب والله أعلم. وهذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه، كذا جاء مبينًا في رواية الترمذي وغيره.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٨) كتاب الأشربة.

وهذا حاله ﷺ عند الموت

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن عمرو بن الحارث أخى جُويرية بنت الحارث أُم المؤمنين ﵂، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ، عند موته دينارًا ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة»[1].

* وكيف لا يكون هذا هو حال النبى ﷺ وهو الذى قال: «لو كان لى مثل أُحد ذهبًا، لسرنى ألا تمر علىَّ ثلاث ليالٍ وعندى منه شىءٌ إلا شىءٌ أُرصده لدين»[2].

* بل وعن عائشة ﵂، قالت: تُوفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعًا من شعير[3].

* وعن عائشة ﵂، قالت: تُوفى رسول الله ﷺ وما فى بيتى من شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رفٍّ لى، فأكلت منه حتى طال علىَّ، فكِلتُهُ ففنى[4].

إياك والطمع

حبايبى الحلوين: هكذا كانت حياة النبى ﷺ .. وهكذا كانت حياة الصحابة والتابعين فى قمة البساطة لأنهم علموا أن الدنيا متاعٌ زائل وأن النعيم الحقيقى لن يكون إلا فى الجنة.

* ابنى الغالى: إذا أعطاك والدك شيئًا من المال ولو كان يسيرًا فاشكره

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٩) كتاب الوصايا.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٨٩) كتاب فى الاستقراض وأداء الديون، ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩١٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساقاة.

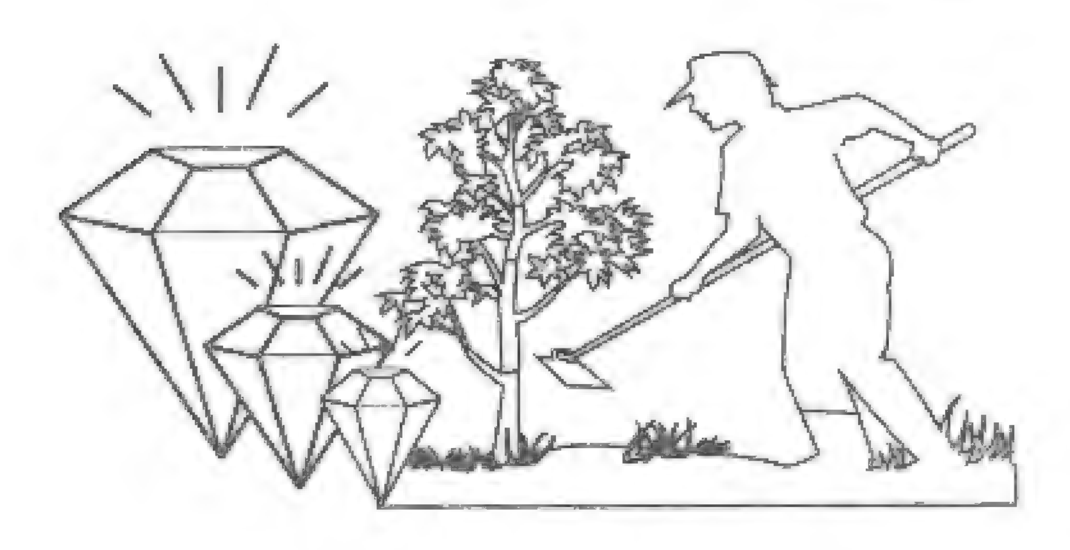
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٩٧) كتاب فرض الخمس، ومسلم (٢٩٧٣) كتاب الزهد والرقائق

على ذلك واحمد الله قبل ذلك على أى رزق يأتيك من عنده واجعل القناعة تملأ قلبك.. وإياك والطمع فإن الطمع يجعلك غير راضٍ عن الله ويُلهيك عن ذكر الله وعن شكره ويجعلك تنظر إلى ما فى أيدى الآخرين فتحسدهم وتحقد عليهم ويجعلك تنسى آخرتك فلا تستعد لها بالعمل الصالح.

● أما الطمع الذى أريدك أن تتحلى به: فهو الطمع فى رحمة الله والطمع فى طلب المزيد من العلم والطاعة التى تقربك من الله (جلَّ وعلا).

قصة المزارع ومنجم الألماس

كان يا ما كان... كان هناك رجل مزارع يعمل فى حقله ويجتهد فكان محصول الأرض وفيرًا، وكان يكسب من وراء ذلك أموالاً كثيرة وفى يوم من الأيام سمع أن بعض الناس يسافرون إلى أماكن بعيدة للبحث عن الألماس، وأنهم حصلوا على كميات كبيرة فباعوها وأصبحوا من الأثرياء... يسكنون أجمل القصور ويركبون أحدث أنواع السيارات. فلما سمع المزارع بذلك قرر أن يبيع أرضه وأن يأخذ ثمنها ليسافر إلى تلك البلاد بحثًا عن الألماس.



فجـاءه رجل صالح واشتـرى منه الأرض... أما صاحب الأرض فـقد أخذ ثمنها وسافر بحثًا عن الألماس وظل ثلاثة عشر عامًا يبحث عن الألماس فلم يجد شـيئًـا حتى أدركه اليـأس ولم يتحقق حلـمه... وفى لحظة يأس ذهب إلى البـحر وألقـى بنفـسـه فى الماء ليـموت منتـحـرًا وليكون طعامًـا للأسماك.

أما الرجل الذى اشترى منه الأرض فقد أخذ يعمل فيها بجدٍّ ونشاط إلى أن جمع مـالاً كثيرًا من حـصاد هذه الأرض... بل كـانت هناك مفـاجأة كبيرة.

ففى يوم من الأيـام... وبينما كان هذا الرجل يعـمل فى تلك الأرض التى اشتراها وإذا به يجد شيئًا يلمع فأخذه فإذا هو قطعة صغيرة من الألماس فتحمس وبدأ يحفر وينقب فوجد قطعة ثانية وثالثة ورابعة ... وفجأة وجد تحت هذه الأرض التى اشتراها منجم ألماس.

وهكذا ربح هذا الرجل الذى اشترى الأرض ووجد تحتها منجم الألماس.

وفى المقابل فقد خسر الرجل الذى باع أرضه وذهب ليبحث عن الألماس وهو لا يدرى أن الألماس كان فى أرضه تحت رجليه.

* * *

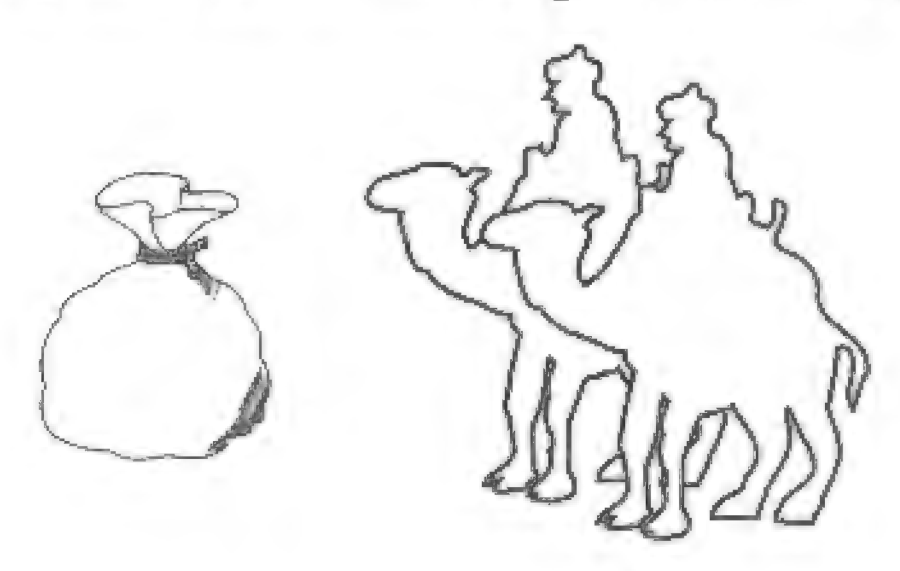
نهاية الطمع

يُحكى فى قديم الزمان، أن شابين خرجا فى تجارة وكان أحدهما طيب القلب وأمين ويدعى علاء، والآخر ماكر ومخادع ويُدعى زاهر.

وبينما هما فى الطريق ذهب علاء ليقضى بعض أموره فوجد كيسًا من المال فأخذه وعاد إلى زاهر ليخبره بما وجد، فقررا أن يقتسما هذا الكيس عند عودتهما.

ولكن زاهر كان ماكرًا فأراد أن يأخذ الكيس كله، وعندما اقتربا من المدينة قال علاء لزاهر: خذ نصف المال وأعطنى النصف الآخر، فأجابه زاهر بمكر: بل لنأخذ بعضًا منه وندفن الباقى فى مكان أمين لا يعلمه أحد غيرنا فإذا احتجنا إلى المال، نذهب إلى المكان ونأخذ حاجتنا من المال فوافق علاء لأنه طيب، . . . وفعلاً أخذا بعضًا من المال ودفنا الباقى تحت شجرة كبيرة.

بعد ذلك قام زاهر بأخذ المال وسوّى الأرض كما كانت، ومرت أشهر احتاج فيها علاء إلى المال، فأبلغ زاهرًا بحاجته تلك فذهبا إلى المكان ليأخذ



علاء، بعضاً منه كما تم الاتفاق، ولكنه فوجئ بعدم وجود كيس المال، فقال علاء: إنك خدعتني وأخذت المال، فأجابه زاهر: بل أنت من سبقتني إليه.

فذهبا إلى القاضي ليحكم بينهما، وقص علاء قصته، إلا أن زاهراً أنكر وحلف يميناً باطلاً، فقال له القاضي: هل لديك دليل، فأجابه زاهر بمكر: نعم إن الشجرة التي دفنا المال تحتها لتشهد أن علاء هو من أخذ المال.

فذهبوا إلى مكان الشجرة، وكان زاهر قد أمر أباه أن يختبئ داخل الشجرة، ويوهم القاضي وكأن الشجرة تنطق.

فسأل القاضي الشجرة: هل صحيح أن علاء هو من أخذ المال؟؟؟؟

فأجاب أبو زاهر: نعم.

ولكن القاضي كان من الأذكياء، وارتاب لأمر الشجرة، فأمر بجمع الحطب لإحراق الشجرة وعندما سمع أبو زاهر ما قاله القاضي، أخذ يستجير ويصيح فسأله القاضي عن القصة، فأخبره الحقيقة، فأمر القاضي بجلد زاهر ووالده، وأعطى المال إلى علاء.

لا تطمع

كان ياما كان..

كان هناك شابٌ اسمه عامر.

وكان يعيش مع والديه في قرية صغيرة جميلة وقريبة من الغابة وكان والده صياداً ماهراً.

وكان يأخذه معه كثيراً؛ ليتعلم الصيد على يديه.

وكان والده إذا استطاع أن يصطاد ما يكفيهم يرجع ولا يكمل مسيرة الصيد.

فكان عامر يتعجب من ذلك ويقول لوالده: لماذا لا تواصل الصيد يا أبي

لعلنا نحصل على صيد أكثر وأكثر.

فيرد الأب ويقول: يا بُنى.. هذا يكفينا ولله الحمد.

وفى يوم من الأيام أحسَّ عامر بأن والده قد كَبُرَت سِنُّه ولا يستطيع الخروج للصيد إلا بصعوبة بالغة.

وأحسَّ عامر بأنه أصبح ماهرًا فى الصيد.. ويستطيع أن يخرج وحده للصيد فلماذا لا يستأذن والده فى الخروج للصيد؟!

وبالفعل استأذن عامر والده فى الخروج للصيد، فأذِن له وقال: عليك يا بُنى أن ترضى بالقليل ولا تطمع فيصيبك الأذى.

قال له عامر: لن أطمع يا والدى.

خرج عامر للصيد متوكلاً على الله (جل وعلا)... وسمع دعاء الوالدين له بأن يعود سالمًا غانمًا.

* دخل عامر الغابة... وبينما هو يسير؛ إذ رأى غزالاً يسير بعيدًا عن سرب الغزلان فصوَّب سهمه إليه وضربه فأصاب الغزال فسقط مصابًا.

ففرح عامر فرحًا شديدًا وقال فى نفسه: يا ليت أبى كان معى؛ حتى يرى أنى أصبحت ماهرًا فى الصيد.

تذكر عامر قول أبيه: لا تطمع... ولكنه قال فى نفسه: ما زال فى الوقت متسعٌ فلماذا لا أتابع الصيد؟

وبينما هو يسير فى الغابة إذ رأى أرنبًا بريًا فأخرج سهمًا آخر وصوَّبه نحو الأرنب فاصطاده ففرح أكثر وأكثر ومازال الطمع يحركه؛ لأن يصطاد أكثر وأكثر.

* وفى لحظة خطيرة... كان عامر يسير ليبحث عن فريسة ثالثة وإذا به يسمع صوت زئير الأسد فخاف وصعد على الشجرة فجاء الأسد ورأى الغزال والأرنب، فأكل الأرنب وأخذ الغزال فى فمه؛ ليأكل هو وأولاده.

فحزن عامر حزنًا شديدًا وتذكر قول أبيه: لا تطمع.

* عاد عامر سريعًا إلى والديه فلما رآه والده قال له:

* حمداً لله على سلامتك يا بُنى: ماذا فعلت؟

فقصَّ عليه عامر كل ما حدث له وهو يبكى.

فقال له والده: ألم أقل لك يا بُنى: لا تطمع.

قال عامر: لقد تعلمت الدرس جيداً يا أبى ولن أطمع بعد اليوم أبدًا.

القناعة كنز لا يفنى

كان ياما كان.

كان هناك فى إحدى القرى الزراعية مجموعة من الشباب المزارعين الذين يكدُّون ويتعبون من أجل أن يزرعوا الأرض لصاحبها.

وكانوا يتقاضون راتبًا بسيطًا لا يكفى متطلبات الحياة.

وكان من عادة هؤلاء الشباب أنهم يعملون فى الأرض ساعات طويلة، ثم يأخذون راحة لصلاة الظهر وتناول طعام الغداء.

وفى يوم من الأيام بينما كان هؤلاء الشباب الفقراء يتناولون طعام الغداء، إذ مرَّ أمامهم رجل غنى يركب سيارة فارهة من السيارات الحديثة.

فقال شاب من هؤلاء الشباب: آدى الناس اللى عايشه!!!

فتوقف الرجل وعاد إلى الشاب ونادى عليه وقال له: ما رأيك فى أن نتبادل سويًا... أنت تكون مكانى وأنا أكون مكانك.

الشاب: وكيف ذلك يا سيدى.

الرجل الغنى: يا بُنى.. أنا أعطيك كل شىء عندى وأنت تعطينى كل شىء عندك.

الشاب: ولكنى ليس عندى أى شىء.

الرجل الغني: لا تقل هذا.. بل عندك الخير الكثير.. وعلى العموم أنت لن تخسر شيئًا.. فهل توافق أن نتبادل؟

الشاب: موافق.. ماذا عندك؟.. وماذا تريد مني؟

الرجل الغني: عندي خمس سيارات مرسيدس أحدث موديل..وعندي أربعة قصور وأربع شركات وحوالي عشرة ملايين جنيه مصري ومع كل هذا عندي مرض السكر والسرطان والفشل الكُلوي وانسداد في الشريان التاجي... فما رأيك أن تأخذ كل أموالي وأمراضي وتعطيني صحتك فقط؟!!!

الشاب: لا أريد أموالك ولا قصورك... الحمد لله على نعمة الصحة والعافية... يكفيني أن أعيش صحيحًا سليمًا، مرتاح البال ليس عندي هموم ولا غموم.. أعبد ربي دون تعب أو ملل... فهذه هي السعادة الحقيقية... لقد كنت أظن أن السعادة في المال ولكني الآن تيقنت أن السعادة في طاعة الله مع الصحة والعافية وراحة البال.

الرجل الغني: هكذا لابد أن يرضى كل إنسان بما قسمه الله له ولا ينظر لما في أيدي الناس.

* * *

ثمرات القناعة

(١) القناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٢) القانع تعزف نفسه عن حطام الدنيا رغبة فيما عند الله.

(٣) القَنوع يحبه الله ويحبه الناس.

(٤) وهو سعيد النفس بما قُسم له من الدنيا.

(٥) لو قنع الناس بالقليل لما بقي بينهم فقيرٌ ولا محرومٌ.

(٦) القناعة تُشيع الألفة والمحبة بين الناس[1].

* * *

---

(١) نضرة النعيم (٨/ ٣١٧٥).

مواساة الناس



مواساة الناس

حبايبى الحلوين: وها هو خُلق جديد من أخلاق النبى ﷺ التى ينبغى أن نتحلى بها حتى يعرف الناس جميعًا أن الإسلام دعوة أخلاقية عظيمة وأن نبينا ﷺ هو أحسن الناس خُلقًا وأنه جاء ليُتمم مكارم الأخلاق.

* إنه خُلق المواساة... مواساة الناس ومشاركتهم فى مصائبهم وقضاء حوائجهم.

المواساة دليل على الإيمان

حبايبى الحلوين: لا بد أن نعلم أنه كلما ازداد الإيمان فى قلب العبد فإنه يكون أكثر مواساة لكل من حوله.

ولذلك كان النبى ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه.

وكان الصحابة أعظم الناس مواساة فيما بينهم.

* ونحن نعلم أن كل إنسان لا بد أن يتعرض لأى ابتلاء فى هذه الحياة الدنيا... فمنهم من يمرض.. أو يفتقر.. أو يموت له قريب.. أو يعانى من الهم والغم... وكل هؤلاء يحتاجون إلى من يواسيهم ويَجبر خاطرهم ويساهم فى حل مشاكلهم وتفريج همومهم.

ومَن نفَّس عن مؤمنٍ كُربة من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة.

* * *

صور من المواساة

والمواساة لها صور كثيرة قد اجتمعت كلها في النبي ﷺ وأصحابه ﷺ. . ومن أعظم تلك الصور:

* **المواساة بالمال:**

وهي من أعظم أنواع المواساة. . . ولذلك شرع الله الزكاة والصدقات من أجل مواساة الفقراء والمساكين وغيرهم ممن يستحق أموال الزكاة والصدقات.

* فإذا كان زميلك أو جارك في حاجة شديدة إلى المال من أجل الطعام أو العلاج أو غير ذلك وكان عندك القدرة على أن تعطيه ولو شيئًا يسيرًا فلا تبخل عليه وتأكد أن الله سيُثيبك على ذلك وسيرضى عنك.

* واعلم أيضًا أن الله عز وجل سيخلف عليك، فقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك»[2].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعْطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا»[3].

* وليكن إنفاقك هذا ولتكن مواساتك هذه ابتغاء مرضات الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[4].

---

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦٨٤) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٤) سورة الإنسان: الآية: (٩).

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له. قال: فجعل يصرف بصره (١) يمينًا وشمالاً. فقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر (٢) فليعد به على من لا ظهر له. ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له» (٣).

قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل.

* فهل هناك في زماننا من يفعل نحو ذلك؟!

هل من رجل صالحٍ وسع الله عليه وعنده سيارات أن يُدخل سرورًا على أسرة مسلمة ويعطيها سيارة يكتسب عائلها منها!!

هل من رجل من هؤلاء الذين وسع الله عليهم بصنوف الأراضي -أرض بناء وأرض فضاء وأرض تُزرع- هل له أن يعطي أحدًا أرضًا يزرعها يعول بها فقراء ممتثلاً حديث رسول الله ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليمسك أرضه» (٤).

هل من صاحب عقارات يؤجرها يأتي عليه شهرٌ فيقول للمستأجرين عفوت لكم عن إيجار هذا الشهر؟!

هل من طبيب يأتيه مريض فقير فيتجاوز له عن قيمة الكشف؟! (٥) وهل من صيدلي يتجاوز للفقير عن قيمة الدواء؟! (٦).

* * *

(١) قوله: فجعل يصرف بصره، وفي رواية أبي داود (يصرفها). وفي التعليق هناك: والأقرب أن الناقة أعجزها السير فأراد أن يرى النبي ﷺ ذاك فيعطيه غيرها.

(٢) فضل ظهر أي زيادة ما يركب على ظهره من الدواب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٧٢٨) كتاب اللقطة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٤١) كتاب المزارعة، ومسلم (١٥٣٦) كتاب البيوع.

(٥) ولا يحتسب هذا من زكاة المال كما يفعله فريق من الأطباء.

(٦) فقه الأخلاق/ الشيخ مصطفى العدوي (٢/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

مواساة الضعفاء والفقراء

فهؤلاء لهم حقٌ كبير من المواساة وحظ كبير منها.

* قال سبحانه: ﴿ واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[1].

* وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾[2].

مواساة النزلاء والغرباء وأبناء السبيل

* فلابن السبيل حقٌ، قال الله عز وجل: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ... ﴾[3].

فإذا كان هناك غريب قد نزل ببلدتك وحلَّ بها واستأجر مسكنًا، فلا شك أنه يكون في الغالب منكسرًا لغربته وقلة معارفه وانعدام أقربائه، فينبغي أن نواسيه وأن نزوره بين الحين والحين وأن نستضيفه أحيانًا تعويضًا له عن أقاربه وأصدقائه الذين تركهم ببلاده.

* وإذا كان هذا الغريب قد ترك أهله وأوطانه من أجل طلب العلم فينبغي أن نكرمه وأن نواسيه حتى يستطيع أن يُكمل مسيرته العلمية والدعوية فيكون ذلك في ميزان حسناتنا.

* * *

(١) سورة الكهف: الآية: (٢٨).
(٢) سورة النساء: الآية: (٨).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٧٧).

ومن المواساة: الزيارة في الله

ولزيارة المسلمين أثرٌ عظيم في تطييب القلوب والترويح عن النفوس وتخفيف المصائب والأحزان، فضلاً عما فيها من الأجر العظيم والثواب العميم.

* قال الله سبحانه في الحديث القدسي: «حقَّت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقَّت محبتي للمتباذلين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ»[(١)].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد[(٢)] الله له على مدرجته[(٣)] ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟[(٤)] قال: لا. غير أني أحببته في الله عزَّ وجلَّ.

قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[(٥)].

ومن ثم كان النبي ﷺ يزور أصحابه ويزورونه.

ومن المواساة عيادة المرضى

فهي من أعظم الأعمال وأكثرها أجرًا... لأن المريض يحتاج إلى من يواسيه ويفتح له باب الأمل ولذلك كان أجر عيادة المريض - أي زيارة المريض - عظيمًا.

* قال رسول الله ﷺ: «من عاد مريضًا لم يزل في خُرْفَة الجنة» قيل: يا

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٤٩٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٢) أرصده رجلاً أي أقعده يرقبه وينتظره.

(٣) المدرجة: هي الطريق.

(٤) تربها: أي تقوم بإصلاحها.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب.

رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «جناها»(١).

وبيَّن النبي ﷺ أن عيادة المريض حق للمسلم على أخيه:

* فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»(٢).

* ويقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة: «يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مَرِضَ فلم تعده، أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني عنده؟»(٣).

* وقال ﷺ: «ما من مسلم يعود مسلمًا غُدوة، إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشيةً صلى عليه سبعون ألف ملكٍ حتى يصبح، وكان له خريفٌ في الجنة»(٤).

مواساة من مات له ميت

فالموت مصيبة كبرى... والإنسان إذا مات له حبيب أو قريب فإنه ينكسر قلبه ويحتاج إلى من يواسيه ويُصبره.

* فإذا علمنا بموت أحدٍ فلنذهب إلى أهله لنواسيهم ونُصبرهم ونُذكرهم بثواب الصبر على موت الأحباب.

فنذكرهم بقول الله (جلَّ وعلا): ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٤٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) رواه الترمذي وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٦٧).

(٥) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

وبقوله تعالى: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[١].

وبقوله ﷺ: «ما من الناس من مسلم يُتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»[٢].

ولنجتهد مع أهل الميت بل نَنُوب عنهم في إحضار الكفن ومستلزماته أو توكيل من يقوم بذلك ولنصنع لهم طعامًا كما ورد عن رسول الله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا»[٣].

ولنشهد معهم الجنازة ولنقم معهم على دفن الميت والدعاء له والاستغفار ولنقم بتعزيتهم أيضًا لتخفيف الآلام والأحزان عنهم.

مواساة الأرامل والأيتام

ومن أعظم من يحتاج إلى مواساة: الأرامل والأيتام.

فقد فَقَدَ هؤلاء عزيزًا عليهم.. وقائمًا كان يقوم بأمرهم ويدبر شئونهم بعد الله سبحانه وتعالى.

فقدوا هذا الذي كان يهمه أمرهم ويسعى في قضاء حوائجهم ويفرح لفرحهم ويسعد لسعادتهم ويحزن لحزنهم. فقدوا عائلهم الذي كان يعولهم ويربيهم ويدفع عنهم السوء والمكروه بإذن الله ويدافع عنهم وينافح.

فقدوا من كان يدخل عليهم بالهدايا والإتحافات، ويقابلهم بالمعانقات والابتسامات.

فهذه طفلة كانت دائمًا تقول: - إذا سمعت صوته - أبي قد جاء، أبي

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٢٤٨) كتاب الجنائز.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣١٣٢) كتاب الجنائز، والترمذي (٩٩٨) كتاب الجنائز، وابن ماجه (١٦١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٧٣٩).

قد جاء، وهذا طفل آخر يجرى مستقبلاً أباه مرحبًا به مهتشًا بشوشًا، وتلك زوجة تنتظر منه الحنان وترفع إليه أمر بيتها وأولادها، وتبث إليه بشجونها وأحزانها، وتفرح بابتساماته وتسعد بمقدمه. ففجأة فقد هؤلاء عائلهم الوحيد من البشر، فحُرموا هذا الحنان وانقطعت عنهم وجوه ذلك الإحسان، فمن ثَم احتاجوا إلى مواساة واحتاجوا إلى مداواة، ولذلك فقد تواردت نصوص الكتاب والسنة تحث على إكرام اليتيم والإحسان إلى الأرامل وتُرغب في صلتهم ومواساتهم وتحذر من أذاهم وقهرهم غاية التحذير.

* عن سهل بن سعد الساعدى ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم[1] فى الجنة هكذا» وقال بأصبعيه السبابة والوسطى[2].

* وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره[3] أنا وهو كهاتين فى الجنة»[4][5].

* وقال رسول الله ﷺ: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»[6].

وفى بعض الروايات: «أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل»[7].

* * *

---

(١) قال النووى رحمه الله تعالى: (٥/ ٨٣٣ طبعة الشعب). كافل اليتيم القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب.

(٣) أما قوله: «له أو لغيره» فالذى له أن يكون قريبًا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وعمته وخاله وخالته وغيرهم من أقاربه، والذى لغيره أن يكون أجنبيًّا، قاله النووى رحمه الله.

(٤) وأشار مالك بالسبابة والوسطى.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٨٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٧) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٦) كتاب الأدب.

ومن المواساة أن تشارك إخوانك أحزانهم

فلا يكونون في همٍّ وحزنٍ وبكاء لألم حلَّ بهم، وأنت تضحك وتبتسم ولا تبالي بما هم فيه من هموم وأحزان!! فالمسلم أخو المسلم يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويسعد لسعادته.

• ألا ترى أن النبي ﷺ قد قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

فإذا كان في بيت جيرانك مصيبةُ موتٍ أو أية مُصيبة وعندك مناسبة سعيدة فلا تُظهر سعادتك أمام إخوانك، فإن هذا يزيدهم همًّا إلى ما هم فيه من هموم وأحزان.

فإذا كان لك ولد نجح في الاختبارات وابن الجيران رسب فيها، فلتُراعِ مشاعر إخوانك ففي هذا نوع مواساة، والموفق مَن وفقه الله.

• من المواساة جبر خاطر المسلم وإدخال السرور على قلبه:

لما كانت المواساة لا تقتصر على مشاركة المسلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنصيحة.. أو غير ذلك فإن من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصة في أوقات حزنه، وعند تعرضه لما يعكر صفوه، وهنا فإن إدخال السرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطيبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجلِّ أنواعها، وقد كان ﷺ يواسي بالقليل والكثير، وقد علَّمنا ﷺ أن من أقال مسلمًا من عثرته أقال الله عثرته، وأن الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب.

إن حاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة الناس له في أتراحه أو أفراحه وهناك من تكون حاجته في وضع الدَّين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكل ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه، وعلى المسلم أن يعرف أن فائدة هذه المواساة لا ترجع إلى صاحب الحاجة -المواسَى- فقط، وإنما تشمل أيضًا المواسِي لأن الله عز وجل يقف إلى جانبه ويكون في حاجته، هذا في الدنيا، ويجازيه عليها أفضل جزاء يوم القيامة، وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن من لقي أخاه بما يحب ليسره بذلك سرَّه الله - عز وجل- يوم القيامة، لقد حفلت سير أعلام النبلاء بنماذج مشرقة من المواساة، ومن تأمل هذه الصفحات المشرقة التي حفلت بها سير هؤلاء يتضح أن مجالسة المساكين والتحدث معهم فيه جبر خاطرهم وإدخال السرور عليهم، وإذا كان الإنسان واجدًا فإنه كان يتكفل بنفقة هؤلاء وإعالتهم مع المحافظة على كرامتهم وتقديم المعونة لهم سرًّا [1].

* النبي ﷺ يحض الأمة على المواساة وتفريج هموم المسلمين:

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحض الأمة كلها على أن يواسي بعضهم بعضًا وعلى أن يسعى كل مسلم من أجل تفريج هم أخيه المسلم.

* قال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضي عنه دَينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن

(١) نضرة النعيم (٨/ ٣٤٦٠)

يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل»[(١)].

* وقال ﷺ: «من نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا نفس الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه...»[(٢)].

* وقال ﷺ: «من سره أن ينجيه الله من كرب[(٣)] يوم القيامة فلينفس[(٤)] عن معسر، أو يضع عنه»[(٥)].

* وقال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»[(٦)].

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويُقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها، نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم»[(٧)].

* وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة».

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥٣)، والأوسط (٦/ ١٤٠)، والصغير (٢/ ١٠٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) كرب: جمع كربة، وهي الغم الذي يأخذ بالنفس.

(٤) فلينفس: أي يمد ويؤخر المطالبة، وفي ذلك تنفيس وتفريج الكربة، لأن التنفيس بمعنى تفريج الكرب قال الجوهري: «ونفست عنه تنفيسًا أي رفَّهتُ يقال: نفَّس الله عنه كربه أي فرَّجها. (الصحاح ٣/ ٩٨٤). ومعنى يضع عنه «أي يتنازل عن دَينه».

(٥) صحيح: رواه مسلم (١٥٦٣) كتاب المساقاة.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٥٣) كتاب النفقات، ومسلم (٢٩٨٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٧) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١٦٤).

قيل: أرأيت إن لم يجد؟

قال: «يعتمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدق».

قال: أرأيت إن لم يستطع؟

قال: «يُعين ذا الحاجة الملهوف».

قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟

قال: «يأمر بالمعروف أو الخير».

قال: أرأيت إن لم يفعل؟

قال: «يُمسك عن الشر، فإنها صدقة»[1].

* وقال ﷺ: «من أقال مسلمًا أقال الله تعالى عثرته»[2].

* (عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن أصحاب الصُّفَّة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول الله ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس» أو كما قال: وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق نبي الله ﷺ بعشرة، وأبو بكر بثلاثة..)[3].

* **حال النبي ﷺ مع خلق المواساة:**

وإذا أردنا أن نعرف حال النبي ﷺ مع خُلق المواساة وتفريج هموم المسلمين فحسبنا أن نعرف أن النبي ﷺ لما نزل عليه الوحي لأول مرة وذهب إلى خديجة وهو ترتعد فرائصه من الخوف وقال لها: «والله لقد خشيت على نفسي يا خديجة» فما كان منها إلا أن قالت: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتكسب

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٥) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٠٨) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٦٠) كتاب البيوع، وابن ماجه (٢١٩٩) كتاب التجارات، وأحمد (٧٣٨٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (١٣٣٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٢) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٢٠٥٧) كتاب الأشربة.

المعدوم، وتُعين على نوائب الحق...»[١].

- فكان النبي ﷺ يفعل كل هذا قبل البعثة فما ظنك بحاله ﷺ بعد البعثة؟!

* إن النبي ﷺ هو صاحب أرحم قلب في الكون كله... وحسبنا قول الله عز وجل في وصف النبي ﷺ حين قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢]... وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

* **وبالمثال يتضح المقال:**

- وإذا أردنا أن نلقي الضوء على بعض الصور من مواساة النبي ﷺ لمن حوله فإن ذلك يحتاج إلى مجلدات ولكن حسبنا أن نُلقي الضوء على بعض تلك المواقف الجليلة.

* (عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، يعود مرضانا، - أي: يزور مرضانا - ويتبعُ جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناسًا يُعلمونى به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط)[٤].

* (وعن عبد الله الهوزني، قال: لقيت بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ بحلب، فقلت: يا بلال، حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن توفي وكان إذا أتاه الإنسان مسلمًا فرآه عاريًا يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري له

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦١) كتاب الإيمان.

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٤) حسن: رواه أحمد (٥٠٦)، وحسنه الشيخ أحمد شاكر (١/٣٧٨) وقال: إسناده حسن.

البردة فاكسوه وأطعمه...)[١].

* وتأمل معي هذا المشهد المؤثر

أن جابر رضي الله عنه قال: فقلت: يا رسول الله إن أبي ترك دينًا عليه... وليس عندي ما أفيه به إلا ما يُخرجه ثمرُ نخيله، ولو عمدت إلى وفاء دَينه من ذلك الثمر لما أديته في سنين...

ولا مال لأخواتي أُنفقُ عليهن منه غير هذا.

فقام رسول الله ﷺ ومضى معي إلى بيدر[٢] تمرنا وقال لي: «أُدعُ غرماء أبيك»[٣]، فدعوتهم. فما زال يكيل لهم منه حتى أدى الله عن أبي دَينه كله من تمر تلك السنة. ثم إني نظرت إلى البيدر فوجدته كما هو... كأنه لم تنقص منه تمرةٌ واحدةٌ[٤].

* مواقف من حياة السلف في المواساة:

لقد سطَّر سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - صورًا مشرقة على جبين التاريخ من المواساة وتفريج هموم المسلمين وقضاء حوائجهم.

ولعل من أبرز تلك الصور ما كان بين المهاجرين والأنصار.

* (عن أنس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قومًا أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبي ﷺ: «لا ما

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٥٥) كتاب الخراج والإمارة والفيء، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود.

(٢) البيدر: الموضع الذي يُكوم ويجمع فيه التمر.

(٣) غرماء: مفرده غريم: الدائن.

(٤) أخرجه ابن سعد (٣/٢/١٠٧) وأحمد (٣/٣٦٥) وأصلها في البخاري.

دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم»[1].

* وهذا مثلٌ رائع من أمثلة مواساة الأنصار لإخوانهم المهاجرين:

* أخرج البخارى من طريق إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: «لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن: إنى أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالى نصفين، ولى امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمِّها لى أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله فى أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغُدو ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة. فقال النبى ﷺ: «مهيم؟» قال: تزوجت، قال: «كم سُقت إليها؟» قال: نواة من ذهب، أو وزن نواة من ذهب»[2].

* وفى رواية فى «الصحيح» أيضًا من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أنى من أكثرها مالاً سأقسم مالى بينى وبينك شطرين، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلَّت تزوجتها...»[3].

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٨٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (١٢٦٦٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٠٢٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٠٤٩) كتاب البيوع، و(٣٧٨٠) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٧٨١) كتاب المناقب.

فستان العيد

كان ياما كان. . . في إحدى المدن الجميلة كانت الطفلة ياسمين تعيش مع والديها حياة سعيدة وكانت محبوبة من الجميع.

وكان والدها يشترى لها كل الملابس واللعب الجميلة.

وفى يوم من الأيام قالت ياسمين لأبيها: يا أبى أريد أن تشترى لى فستانًا جديدًا للعيد.

فقال والد ياسمين: ولكن يا حبيبتى أنت عندك ملابس كثيرة وكلها جديدة.

ياسمين: ولكن يا أبى أريد فستانًا ألبسه لأول مرة فى العيد.

فوافق والدها وقال لها: غدًا نذهب سويًا لنشترى لك فستانًا جديدًا.

ياسمين: جزاك الله خيرًا يا أحلى أب فى الدنيا.

وفى الصباح خرجت ياسمين مع أبيها ليشترى لها فستانًا جديدًا.

وأمام إحدى محلات بيع الملابس وقفت ياسمين تنظر إلى الفساتين الجميلة لتختار أجمل فستان . . . وبالفعل اختارت ياسمين فستانًا جميلاً ودخلت المحل لتسأل عن سعره فقال لها البائع: إنه بمائة وخمسين جنيهًا.

فقام والدها بدفع ثمن الفستان وأعطاه لياسمين التى كادت أن تطير من الفرح لحصولها على هذا الفستان الجميل.

ولما خرجت ياسمين من المحل مع أبيها وهى تحمل الفستان الجديد وإذا بها ترى فتاة صغيرة فقيرة فى نفس سنها تجلس أمام هذا المحل تبكى. . . فسألتها ياسمين عن سبب بكائها.

فقالت البنت الصغيرة: أنا يتيمة الأب والأم وأعيش مع خالتى لأخدمها وليس عندى فستان جديد ألبسه فى العيد ولا أملك إلا عشرين جنيهًا فلما

جئت لأشترى فستانًا جديدًا وجدت أرخص فستان بمائة جنيه فبكيت لأنى منذ سنتين لم ألبس فستانًا جديدًا.

فدمعت عين ياسمين وأعطتها فستانها الجديد وقالت لها: خذى هذا الفستان هدية من أختك ياسمين وأنا عندى فساتين كثيرة سألبس واحدًا منها فى العيد.

فرحت الفتاة اليتيمة فرحًا شديدًا وقامت من على الأرض تريد أن تُقبل يد ياسمين فسحبت ياسمين يدها قبل أن تُقبلها وسلمت عليها وقالت لها: ألف مبروك عليك الفستان الجديد.

فرح والد ياسمين بابنته فرحة لا تكاد توصف وقال لها: جزاك الله خيرًا يا ياسمين لأنك أدخلت الفرحة على قلب هذه البنت اليتيمة.

وعادت ياسمين مع والدها وهى فى غاية السعادة وهى تقول: الحمد لله أنى أدخلت السعادة على هذه البنت اليتيمة... وإن شاء الله سأدخر من مصروفى ومن ملابسى لأتصدق كل شهر على بنت يتيمة لأكون مع النبى ﷺ فى الجنة.

* * *

من فوائد المواساة

(١) توريث حب الله – عز وجل – ثم حب الخلق.

(٢) دليل حب الخير للآخرين.

(٣) تشيع روح الأخوة بين المسلمين.

(٤) تقوي العلاقات بين المسلمين.

(٥) تساعد على قضاء حاجات المحتاجين.

(٦) تُدخل السرور على المسلم وترفع من معنوياته فيُقبل على الحياة مسرورًا.

(٧) المواساة تجعل صاحبها من المسرورين يوم القيامة.

(٨) المواساة من أحب الأعمال إلى الله – عز وجل –.

(٩) المواساة تدعو إلى الألفة وتؤكد معنى الإخاء وتنشر المحبة.

(١٠) المواساة تدفع الغيظ وتذهب الغل وتميت الأحقاد[١].

* * *

---

(١) نضرة النعيم (٨/٣٤٦٩).

الإحسان



الإحسان

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق جديد من أخلاق الرسول ﷺ نريد أن نتعايش معه لنقتدى بالنبي ﷺ فى أخلاقه العالية.

إنه خُلق الإحسان.

* والإحسان كما عرفه النبي ﷺ بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

* لكن الإحسان لا يقتصر على العبادة فقط بل إنه يشمل كل نواحي الحياة.

* فإذا تعاملت مع والديك فلا بد أن تتعامل معهما بكل رحمة وحنان وتقدير وأن تُحسن إليهما حتى وإن أساء إليك أى واحدٍ منهما.

* وإذا كنت فى مدرستك فلا بد أن تتفوق فى دراستك وأن تُحسن التعامل مع كل ما تتعلمه... وأن تكون فى قمة الإحسان فى تعاملك مع الأساتذة والزملاء.

* وإذا فعلت أى شيء فلا بد أن تُتقنه وأن تفعله فى أحسن صورة وعلى أعلى درجة من الجودة لأن ذلك من الإحسان.

* وإذا صليت أو أديت أى عبادة فلا بد أن تؤديها بإحسان لتفوز بمحبة الله (جلَّ وعلا) فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].... ولتفوز برحمة الله فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٥٦).

* ابني الحبيب: إن المسلم لا بد أن يكون دائمًا في أحسن صورة وأحسن سلوك وأحسن أخلاق.

لا بد أن يكون حسن المظهر نظيفًا... لا بد أن تكون أخلاقه في غاية الحُسن.. لا بد أن تكون سلوكياته في غاية الحُسن والأدب والجمال.. لا بد أن يكون في عمله في غاية الإحسان والإتقان.. لا بد أن يكون في تعاملاته مُحسنًا صادقًا أمينًا وفيًا.

* هذا هو المسلم... صورة متكاملة من الإحسان لأن أسوته وقدوته هو النبي ﷺ الذي وصل إلى أعلى درجات الإحسان التي لم يصل إليها إنسان قبله ولن يصل إليها إنسان بعده.

مجالات الإحسان

وتتسع مجالات الإحسان لتشمل كل مناحي الحياة.. فالإحسان يبدأ بإحسان الإنسان لنفسه ثم أسرته ثم جيرانه ثم المجتمع الذي يعيش فيه ثم الإنسانية عامة بل ويتعدى تلك الحدود كلها ليصل الإحسان إلى النبات والحيوان والجماد... نعم هذا هو ديننا الذي يحض العبد على الإحسان في كل شيء ولذا قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء...»[1].

(١) الإحسان إلى النفس:

ابني الحبيب: وقد تسأل وتقول: كيف أحسن إلى نفسي؟

والجواب: بأن تُزكي نفسك بطاعة الله وأن تبتعد عن معصية الله... فتحرص كل الحرص على أن تصلي وتقرأ القرآن وتذكر الله وتكون صادقًا أمينًا وفيًا... وتبتعد عن الكذب والخيانة والسرقة والغيبة والنميمة وعن كل ما يُغضب الله (جلّ وعلا).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح.

ولذا قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1].

(٢) الإحسان إلى الوالدين:

ومن أعظم أنواع الإحسان أن يُحسن العبد إلى والديه فلقد أمرنا الحق جل وعلا بالإحسان إلى الوالدين فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[3].

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أقبل رجلٌ إلى نبيِّ الله ﷺ فقال: أبايعُكَ على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجرَ من الله. قال: «فهل من والديك أحدٌ حيٌّ؟» قال: نعم، بل كلاهما. قال: «أفتبتغي الأجرَ من الله؟» قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صُحْبَتَهُمَا»[4].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله! من أحق الناس بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أبوكَ»[5].

- ولقد حذر النبي ﷺ من عقوق الوالدين فقال ﷺ: «أتاني جبريل فقال: يا محمد من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين فقلت: آمين...»[6].

---

(١) سورة الشمس: الآيات: (٧ - ١٠).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٢٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٤) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٥٤٩) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٧١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٤٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٢/٢٤٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٥).

* وقال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة: من البغي وقطيعة الرحم»[١].

وفي رواية: «بابان مُعجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق»[٢].

بل جعل النبي ﷺ العقوق من أكبر الكبائر فقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثًا). قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...»[٣].

فجعله النبي ﷺ من أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله جل وعلا.

وقال ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً: عاقٌ ومنان ومكذب بالقدر»[٤].

(٢) الإحسان إلى الأقارب:

قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾[٦].. فمن أعظم أنواع الإحسان أن يُحسن العبد إلى أقاربه وأن يكون وَصولاً للرحم فإن صلة الرحم من الإيمان بالله واليوم الآخر فقد قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِن

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠٢) كتاب الأدب، والترمذي (٢٥١١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢١١) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٨٦١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩١٨).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٩٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١١٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥٤) كتاب الشهادات، ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان.

(٤) حسن: رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١١٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٨٥).

(٥) سورة النساء: الآية: (١).

(٦) سورة الرعد: الآية: (٢١).

بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت»(١).

ـ وصلة الرحم من أعظم أسباب الرزق والبركة في العمر فقد قال ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»(٢).

ـ بل إن صلة الرحم من أعظم أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

* عن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، فقال النبي ﷺ: «تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»(٣).

ـ وحذر النبي ﷺ من قطع الأرحام فقال ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم (٢٢) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾(٤)»(٥).

* وقال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»(٦).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٨٦) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أنس بن مالك.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٩٦) كتاب الزكاة، ومسلم (١٣) كتاب الإيمان، من حديث أبي أيوب.

(٤) سورة محمد: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٣٢) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٥٥٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٥٩٩١) كتاب الأدب.

وَيَقْطَعُونَنِي، وأُحسِنُ إليهم ويُسيئُونَ إليَّ، وأحلُمُ عنهم ويجهلونَ عليَّ، فقال: «لَئِنْ كُنتَ كما قُلتَ، فكأنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ، ولا يَزالُ معكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ ما دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١).

(٤) الإحسان إلى الجيران:

ومن أعظم أنواع الإحسان أيضًا أن يُحسن العبد إلى جيرانه. قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٢).

* وعن ابن عمر وعائشة ﭬ قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ»(٣).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «واللهِ لا يُؤمِنُ، واللهِ لا يُؤمِنُ، واللهِ لا يُؤمِنُ» قِيلَ: مَن يا رسولَ الله؟ قال: «الَّذي لا يأمنُ جارُهُ بوائقَهُ»(٤).

* وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فلا يُؤْذِ جارَهُ»(٥).

وعن أبي شُريحٍ الخُزاعيِّ ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فَلْيُحسِنْ إلى جارِه...»(٦).

(٥) الإحسان بين الزوجين:

ومن الإحسان أيضًا أن تُحسن الزوجة لزوجها وأولادها وذلك بأن تبذل

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٦) كتاب الأدب، من حديث أبي شريح، ورواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة، وبوائقه: يعني شروره.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٤٨) كتاب الإيمان، من حديث أبي شريح.

كل ما تستطيع من أجل إرضاء زوجها وتلبية رغباته وأن تهتم بأولادها وتحنو عليهم. . . وكذلك فإن من الإحسان أن يكون الزوج رحيمًا بزوجته وأولاده، وأن يسعى بكل ما يستطيع لإدخال السعادة والسرور عليهم. . . وكذلك فإن من الإحسان أن يكون الأولاد فى غاية الأدب مع الوالدين وبذلك تكتمل صورة الإحسان فى البيت المسلم فيصبح أفراد هذا البيت فى غاية السعادة وبخاصة إذا كانوا متعاونين على طاعة الله ومجتهدين فى الدعوة إلى الله - جل وعلا-.

فأما عن الكلام عن إحسان الأولاد لآبائهم فقد مضى الكلام عنه فى الحديث عن الإحسان إلى الوالدين. . . وأما عن إحسان الزوجة لزوجها فقد قال ﷺ : «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها، وهى على قتب لم تمنعه»[1].

بل قال ﷺ : «حق الزوج على زوجته أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدت حقه»[2].

وقال النبى ﷺ : «خير النساء من تسرك إذا أبصرت وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك فى نفسها ومالك»[3].

بل جعل النبى ﷺ طاعة الزوجة لزوجها من أعظم أسباب دخولها الجنة من أى باب من أبواب الجنة الثمانية فقال ﷺ : «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلى الجنة

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه (١٨٥٣) كتاب النكاح، وأحمد (١٨٩١٣)، من حديث عبد الله بن أوفى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٩٥).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان فى صحيحه (٩/ ٤٧٢)، والحاكم فى المستدرك (٢/ ٢٠٥)، من حديث أبى سعيد الخدرى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٤٨).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، وقال الهيثمى فى المجمع (٤/ ٢٧٣): رواه الطبرانى وفيه رزيك ابن أبى رزيك ولم أعرفه، والحديث صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٢٩٩).

من أى أبواب الجنة شئت»[١].

وأما عن إحسانها هي وزوجها لأولادهما فقد قال ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...»[٢].

وأما عن إحسان الزوج لزوجه فقد قال ﷺ : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٣].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينارٌ تصدقتَ به على مسكين، ودينارٌ أنفقتَه على أهلك، أعظمُهَا أجرًا الذى أنفقته على أهلك»[٤].

(٦) الإحسان إلى المجتمع:

ومن أنواع الإحسان أن يُحسن العبد إلى المجتمع الذى يعيش فيه... وبخاصة إلى اليتامى والمساكين والأرامل وأبناء السبيل فقد قال تعالى: ﴿ واعبُدُوا اللَّهَ ولا تُشرِكُوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذى القُربَىٰ واليتامَىٰ والمساكين والجارِ ذى القُربَىٰ والجارِ الجُنُب والصاحِب بالجَنب وابنِ السَّبيل وما ملكت أيمانُكُم إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ من كانَ مُختالًا فخورًا ﴾[٥].

فقد حضَّنا النبي ﷺ على الإحسان إلى الفقراء واليتامى وكل من كان على شاكلتهم فقال ﷺ : «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا - وأشار بالسبابة والوسطى - وفرج بينهما»[٦].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٦٦٤) من حديث عبد الرحمن بن عوف، وابن حبان فى صحيحه (٩/ ٤٧١) من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٦٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٩٩٥) كتاب الأدب.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٩٥) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣١٤).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٩٥) كتاب الزكاة.

(٥) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب، من حديث سهل بن سعد.

وفي رواية: «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»[١].

روى أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك»[٢].

(٧) الإحسان إلى الناس جميعاً:

وتتسع دائرة الإحسان لتشمل غير المسلمين الذين يخالفوننا في العقيدة ومع ذلك فإن من الإحسان أن نُحسن إليهم - بنية الدعوة إلى الله - ولذا قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] . . . ونحن نعلم جميعاً كيف كان النبي ﷺ يتألف قلوب المشركين وأهل الكتاب من أجل أن يدعوهم إلى توحيد الخالق -جل وعلا-.

(٨) الإحسان إلى الكون من حولنا:

وتتسع دائرة الإحسان لتشمل الكون كله بكل ما فيه من نباتٍ وحيوانٍ وجمادٍ. . . فأما عن الإحسان إلى النبات فإن ذلك يكون برعايته والاعتناء به وعدم الإفساد فيه. . . وأما عن الإحسان إلى الحيوان فإن ذلك يكون برحمته والعطف عليه وعدم إيذائه ولذا قال ﷺ: «في كل ذات كبد حرَّى أجر»[٤] فلو أنك قدمت لقمة أو شربة ماءٍ لحيوان لكان لك في ذلك الأجر الجزيل.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٨٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) صحيح: ذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٦٠) وقال: رواه الطبراني وفي إسناده من لم يسم وبقية مدلس، والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٨٠).

(٣) سورة المائدة: الآية: (١٣).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٦٨٦) كتاب الأدب، وأحمد (١٧١٣١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٢٦٣) ومعنى حرَّى: شدة الحر، وهو كناية عن شدة العطش.

بل لقد أخبر النبي ﷺ أنه: «غُفِر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركى يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خُفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفِر لها بذلك»(١).

وأما عن الإحسان للجماد فيشير إليه قوله تعالى: ﴿ولا تُفْسِدُوا في الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

بل إن من أعظم أنواع الإحسان للكون أن نبتعد عن فعل المعاصي فإن الكون كله يشعر بطاعتنا لله ويسعد بذلك ويشعر أيضًا بمعصيتنا لله ويحزن لذلك فلقد جعل الله للكون كله حسًّا وإدراكًا لذا قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٣).

ما أجمل الإحسان

كان يا ما كان.

كان هناك طفل صغير اسمه طارق لكن كان شريرًا.

وكان يحب إيذاء أصحابه وأصدقائه.. بل كان يجلس كل يوم ليفكر في طريقة جديدة يستطيع من خلالها أن يؤذي أصحابه...

وفي يوم من الأيام حفر طارق حفرة في الحديقة التي يلعب فيها هو وأصحابه وغطَّى تلك الحفرة بالحشائش واختبأ وراء شجرة من الأشجار ليرى ما سيحدث.

وبعد قليل جاء صديقه نادر ومشى في نفس المكان فوقع في الحفرة وأصيب في رجله فأخذ طارق يضحك بشدة من أعماق قلبه.

وفي اليوم التالي حفر طارق حفرة أخرى في مكان آخر بالحديقة وغطاها

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٣٢١) كتاب بدء الخلق، من حديث أبي هريرة.
(٢) سورة الأعراف: الآية: (٥٦).
(٣) سورة الإسراء: الآية: (٤٤).

بالأعشاب واختبأ وراء شجرة ليرى ما الذى سيحدث هذه المرة.

وبعد قليل جاء صديقه أحمد ومشى فى نفس المكان فوقع فى الحفرة وأصيب فى رأسه فأخذ طارق يضحك بشدة من أعماق قلبه.

وفى المرة الثالثة قام طارق فحفر حفرة ثالثة فى مكان آخر بالحديقة وغطاها بالأعشاب.. واختبأ وراء الشجرة كعادته ليرى ما سيحدث.. وانتظر طويلاً لكن لم يمر أحد من أصحابه.. فلما يئس رجع إلى بيته ولكنه نسى أنه كان قد حفر حفرتين قبل ذلك فوقع فى إحدى الحفرتين وانكسرت رجله وظل يصرخ فسمع صوته نادر وأحمد فأسرعا إليه وأخذاه إلى المستشفى لكى يعالجه الطبيب.

وبالفعل جاء الطبيب وعالج رجله ووضع له جبيرة لكى يلتئم الكسر فى أسرع وقت.

وبعد ذلك عاد طارق إلى البيت وهو يستند على كتفى صديقيه نادر وأحمد وهما يبكيان من أجله فأحسّ طارق بأنه قد أخطأ فى حق أصحابه.. ومنذ هذه اللحظة تغيرت حياة طارق وأصبح لا يفكر فى إيذاء أحد أبدًا بل أخذ يبذل جهده من أجل مساعدة إخوانه وأصدقائه.

وبالوالدين إحسانًا

كان محمود طفلاً صغيرًا فى العاشرة من عمره وكان أصغر إخوته الذين يدرسون فى جميع مراحل التعليم المختلفة، وفى يوم من الأيام كان محمود عائدًا من المدرسة حيث إنه كان يدرس فى الصف الرابع الابتدائى وعند دخوله منزلهم وجد أباه جالسًا.

فقال محمود لوالده: لِمَ لَمْ تذهب إلى العمل اليوم يا أبى؟

فقال له والده: لقد بلغت منذ شهرين ستين عامًا وبذلك أكون قد

وصلت إلى سنِّ التقاعد على المعاش واليوم استلمت جميع مستحقاتى وهى عبارة عن مكافأة نهاية الخدمة فى العمل وسوف أشترى لنا بيتًا صغيرًا بدلاً من أن نصرف كل شهرٍ مبلغًا منها لإيجار السكن.

ومرت الأيام.. واشترى الأب بيتًا لأولاده يعيشون فيه جميعًا، وفرح الجميع بالمنزل الجديد الذى أصبح ملكًا لهم، ومرت أيام أخرى ثم شهر بعد شهر وقد نفدت النقود التى كانت مع الأب وأصبح لا يجد نقودًا ينفقها على أولاده فجلس حزينًا؛ لأنه ليس معه نقود يشترى بها متطلبات أولاده من طعام وغير ذلك، وإذا به وهو فى هذه الأثناء مرضت زوجته مرضًا شديدًا؛ وكان كلما نظر محمود إلى أمه تألم ألمًا شديدًا؛ لأنه يعلم أنه لا يوجد مع أبيه نقود يذهب بها إلى الطبيبة؛ ليكشف على أمه أو يشترى لها الدواء، ثم جلس محمود يبكى على أمه ولكنه وقف فجأة وقال لنفسه: بدلاً من أن أجلس وأبكى لابد أن أفعل شيئًا ينقذ أمى... وخرج إلى الشارع مسرعًا ينظر إلى الناس من حوله والمحلات والعمارات المعلق عليها لوحات مكتوب عليها أسماء الأطباء فقرأ اسم إحدى الطبيبات وتحسّر وقال لنفسه: لو أن معى نقودًا لأتيت بهذه الطبيبة لتكشف على أمى ثم تمشّى قليلاً، فرأى صيدلية تبيع الدواء فوقف أمامها ينظر إلى الدواء الذى بداخلها ويقول فى نفسه: إنه الدواء الذى تحتاجه أمى ولكن ليس معى ثمن هذا الدواء وإذا به يلتفت فيرى محلاً لبيع الفاكهه فذهب إلى صاحبه وقال: السلام عليكم يا عماه هل من الممكن أن أنظف لك المحل وتعطينى نقودًا لأنى فى حاجة شديدة إليها؟

فنظر صاحب المحل له وقال: لا مانع عندى ولكن بدلاً من أن أعطيك نقودًا سأعطيك كيلو من العنب الطازج فوافق محمود ودخل المحل وعلّمه الرجل كيف ينظّف وأتى له الرجل بسطل أى: جردل به ماء وخيشة أى قطعة قماش ليمسح الأرض وبدأ محمود ينظف المحل ويمسح وبعد أن انتهى من

التنظيف ومسح المحل أعطى له الرجل كيلو من العنب الطازج، فأخذه وسار به مسرعًا إلى منزلهم ودق الباب ففتح له أخوه فقال له محمود: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردّ عليه أخوه السلام، ثم سأله ما هذا الذى معك؟

فقال له محمود: هذا شيءٌ خاصٌ بأمى ودخل إلى المطبخ وغسل العنب وحمله وذهب إلى غرفة أمه وجلس بجوارها، فوجدها نائمة، فأيقظها بهدوء وقال لها: لقد جئت إليك بهذا العنب وأمسك بعدد من حبات العنب يريد أن يضعها فى فمها فمسكت بيده وابتسمت له وقالت: من أين أتيت بالنقود التى اشتريت بها هذا العنب يا محمود؟

قال لها: أنا سأحكى لك الحكاية من أولها يا أمى. حينما رأيتك تتألمين وليس معنا نقود نذهب بها إلى الطبيب أو نشترى لك دواء تألمت وخرجت أمشى وأنا أقول لنفسى: لابد أن أفعل شيئًا... وحكى لها بقية ما حدث فبكت أمه وضمته إلى صدرها، فأمسك محمود بحبات العنب ووضعها فى فمها، فأكلت الأم وكلما أعطى لها محمود حبة قال: بسم الله الشافى، أسأل الله العلى العظيم أن يشفيك يا أمى وكانت كلما أكلت الأم أحست بنشاط فى جسمها وتحسن فى صحتها.

وقالت لمحمود: سبحان الله... يا محمود! أشعر بشيء عجيب هو أننى بعد أن أكلت العنب أشعر بتحسن فى جسمى وكأن هذا العنب جاء وجاء معه الشفاء من الله.

وضمت محمود إلى صدرها فقال محمود لها: سامحينى يا أمى أنا لم أستطع أن أقدم أكثر من ذلك لأنى أعلم أن الله عز وجل يقول: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ والرسول ﷺ حينما سأله الرجل من أحق الناس بحُسن صحابتى قال رسول الله ﷺ: «أمك ثم أمك.. ثم أمك.. ثم.. أبوك»، فرحت الأم من كلام محمود ودعت الله له أن يبارك فيه وأن يرزقه

رزقًا واسعًا فقال إخوته جميعًا: آمين يا رب العالمين[1].

ثمرات الإحسان فى الدنيا والآخرة

وأما عن ثمرات الإحسان فى الدنيا والآخرة فهى أكثر من أن تُحصَى وسأكتفى بذكر بعضها عسى الله أن يجعلنا من المحسنين:

* الإحسان هو المقياس الحقيقى الذى يُقاس به مدى نجاح الإنسان فى تلك الحياة... وصدق من قال: قيمة المرء ما يُحسن... فكلما ازداد إحسانًا كلما ازداد قدره ومكانته.
* أهل الإحسان هم أقرب الناس إلى قلوب الناس من حولهم فإن العبد أسير الإحسان... ولذلك تجد الناس يحبون كل من أحسن إليهم ويلتفون حولهم بل ويدافعون عنهم إذا أحدق بهم الخطر.
* الإحسان يجعل المجتمع متماسكًا ويجعل قلوب أفراده مترابطة بل وينشر الحب والوئام بينهم وهذا من أعظم عوامل التقدم فى أى مجتمع.
* الإحسان هو وسيلة المجتمع للرقى والتقدم، وإذا كان العدل وسيلة لحفظ النوع البشرى فإن الإحسان هو وسيلة تقدمه ورُقِّيه؛ لأنه يؤدى إلى توثيق الروابط وتوفير التعاون.
* الإحسان وسيلة لحصول البركة فى العمر والمال والأهل.
* الإحسان وسيلةٌ لاستشعار الخشية والخوف من الله تعالى، كما أنه وسيلة لرجاء رحمته عَزَّ وَجَلَّ.
* الإحسان وسيلةٌ لإزالة ما فى النفوس من الكدر وسوءِ الفهم وسوء الظن ونحو ذلك.
* الإحسان وسيلة لمساعدة الإنسان على ترك العجب بالنفس لما فى الإحسان من نية صادقة.

(١) سلسلة الحكايات (كيلو عنب) - أ. رضا طعيمة.

* الإحسان طريق ييسر لصاحبه طريق العلم ويفجر فيه ينابيع الحكمة.

* الدفع بالحسنى - وهي إحدى صور الإحسان - يقضي على العداوات بين الناس ويبدلها صداقة حميمة ومودة رحيمة وتنطفئ بذلك نار الفتن وتنتهي أسباب الصراعات، أما الدفع بالسيئة، أي: مقابلة السيئة بمثلها فإنه يؤدي إلى تدهور العلاقات وإشعال نيران الفتن وتفاقم أسباب الصراع ويهبط بالنوع البشري إلى حضيض التخلف ويعرض بقاءه لخطر الفناء[١].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢].

* إذا اقترن إسلام الوجه لله بالإحسان فإن ذلك يثمر الاستمساك بالعروة الوثقى التي يرجى معها خير الدنيا والآخرة، أي إن المحسن يحتاط لنفسه بأن يستمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٣].

* **الإحسان من أهم وسائل نهضة المسلمين:**

إن الإحسان يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به إتقان من يعلم علم اليقين أن الله - عزَّ وَجَلَّ - ناظرٌ إليه مُطّلعٌ على عمله، وبهذا الإتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات[٤].

* **الفوز بمعية الله:**

فأهل الإحسان يفوزون بمعية الله - جل وعلا- فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) نضرة النعيم (٢/ ٩١).

(٢) سورة فصلت: الآيتان: (٣٣، ٣٤).

(٣) سورة لقمان: الآية: (٢٢).

(٤) المحاور الخمسة للقرآن الكريم (ص: ١٩٢).

جاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١) ويا لها من منقبة عظيمة فمن وجد الله فماذا فقد، ومن فقد الله فماذا وجد.

* **الفوز بمحبة الله:**

فأهل الإحسان يفوزون بمحبة الله - جل وعلا- كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢) ومن فاز بمحبة الله فإنه يجنى الثمار الطيبة فى الدنيا والآخرة فقد قال تعالى كما فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى: «...وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينَّه ولئن استعاذنى لأعيذنَّه...»(٣).. بل قال ﷺ: «إن الله تعالى إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريلَ فقال: إنى أحبُّ فلانًا فأحِبهُ، فيُحبُّهُ جبريلُ، ثم يُنادى فى السماء فيقولُ: إن الله تعالى يحب فلانًا فأحِبُّوهُ، فيحبهُ أهلُ السماءِ، ثم يوضعُ له القبولُ فى الأرض...»(٤).

* **الفوز برحمة الله:**

فأهل الإحسان يفوزون أيضًا برحمة الله -جل وعلا- فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٥)، وهل يستطيع أى إنسان فى هذا الكون أن يستغنى عن رحمة الله -جل وعلا-؟. إن العبد لا يستطيع أن يعيش لحظة واحدة بغير رحمة الله... فلولا رحمة الله ما استطاع كائنٌ حى أن يأمن على نفسه؛ لأن الكون بلا رحمة سيكون كالغابة التى يأكل القوى فيها الضعيف.

---

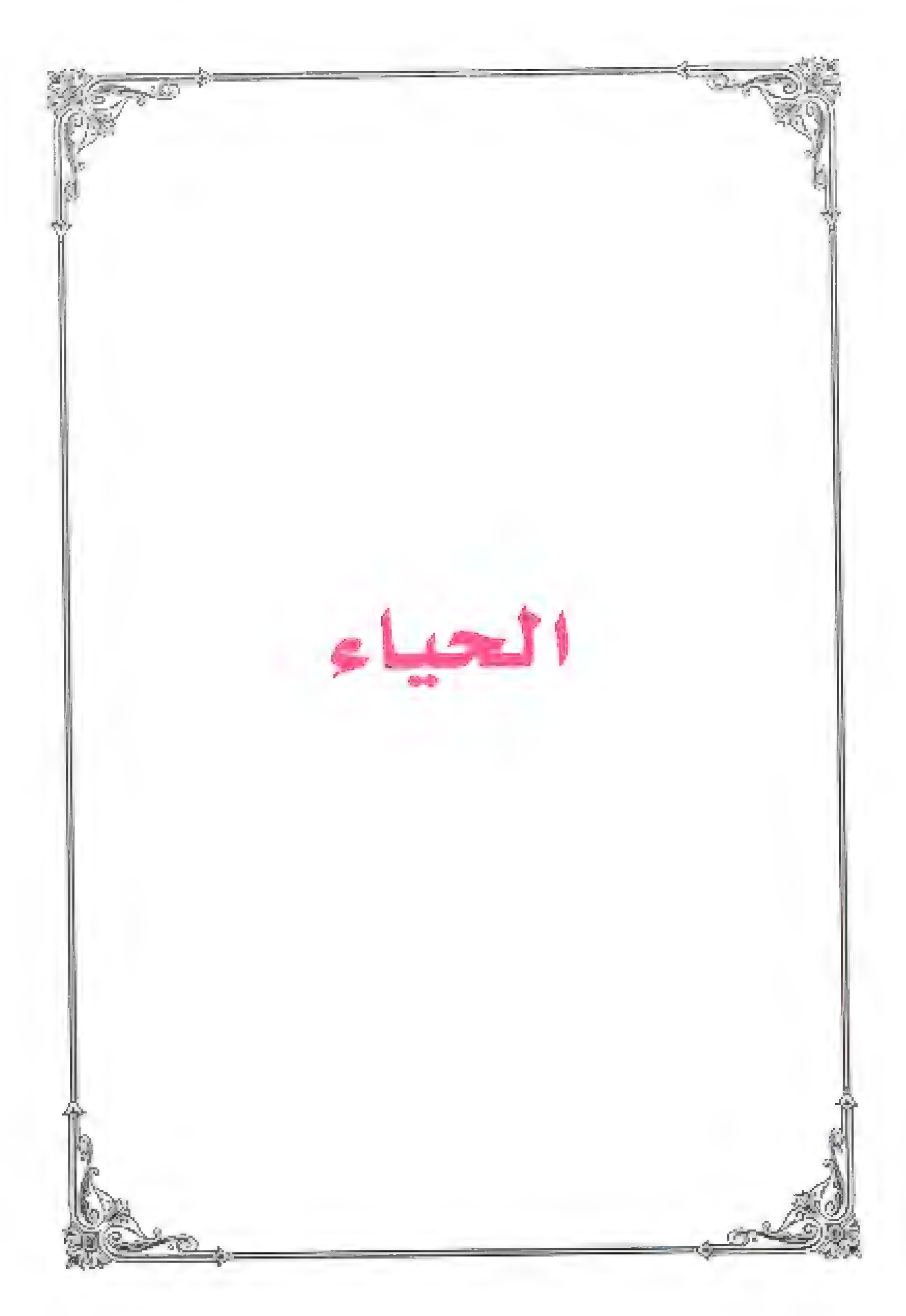
(١) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) سورة الأعراف: الآية: (٥٦).



الحياء

الحياء

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق الحياء.

* وما أعظم الحياء.. إنه خُلق من أعظم الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم ومسلمة.

ومن أجل قدر الحياء وشرفه كان هذا الخلق في مقدمة الأخلاق في هذا الدين الحنيف فقد قال النبي ﷺ: «إن لكل دين خُلقًا وخُلق الإسلام الحياء»[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق الحياء.

ما أجمل الحياء!

حبايبي الحلوين: ما أجمل أن نتعايش مع خُلق الحياء.

فترى الفتاة المسلمة إذا خرجت من بيتها كانت ملتزمة بحجابها وحيائها فلا ترفع صوتها في الطريق ولا تنظر إلى الرجال ولا تقف مع رجل غريب عنها ليس من محارمها.

وترى الفتى المسلم يغض بصره عن النساء ولا يتكلم كلامًا فاحشًا ولا يقف مع فتاة أجنبية عنه.. وإذا تكلم مع رجل أكبر منه فإنه يتعامل معه بكل حياء وأدب واحترام.

* وهكذا... إذا عشنا جميعًا على خُلق الحياء فإن المجتمع ستشيع فيه روح المودة والمحبة والإخاء.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٨١) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٤٠).

النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها

* عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه، عرفناه في وجهه»[١].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت امرأةٌ النبيَّ ﷺ كيف تغتسل من حيضتها؟ قالت: فذكرت أنه علَّمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها قالت: كيف أتطهر بها؟، قال: «تطهري بها، سبحان الله!» واستتر بيده على وجهه، قالت عائشة: واجتذبتها إليَّ وعرفت ما أراد النبي ﷺ فقلت: تتبعي أثر الدم[٢].

* ومن حياء رسول الله ﷺ ما رواه البخاري عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه من تردُّد النبي ﷺ بين ربه وبين موسى، وسؤاله ربه التخفيف - في الصلاة - حتى جعلها خمسًا، فقال له موسى عليه السلام: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك»، قال: «سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلِّم»[٣].

النبي ﷺ يحض الأمة على التحلي بخلق الحياء

وها هو الحبيب ﷺ يحض الأمة على التحلي بخلق الحياء.

* قال ﷺ - كما عند مسلم -: «الحياء كله خير»[٤].

وقال ﷺ - كما في «الصحيحين» -: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[٥].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٠٢) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٤) كتاب الحيض، ومسلم (٣٣٢) كتاب الحيض.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٧) كتاب المناقب، ومسلم (١٦٢) كتاب الإيمان.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٣٧) كتاب الإيمان.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١٧) كتاب الأدب، ومسلم (٣٧) كتاب الإيمان.

وقال رسول الله ﷺ: «ما كان الفُحش فى شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء فى شيء قط إلا زانه»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء فى النار»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء من الإيمان»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر»[٤].

حياء أصحاب الرسول ﷺ

ولقد تعلم أصحاب الرسول ﷺ الحياء منه ﷺ فكانوا مثالاً عاليًا وقمة سامقة فى الحياء.

هذا هو صِدِّيق الأمة الأكبر رضي الله عنه

* قال أبو بكر رضي الله عنه وهو يخطب الناس: «يا معشر المسلمين: استحيوا من الله فوالذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب الغائط فى الفضاء متقنعًا بثوبى استحياء من ربى عز وجل»[٥].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٧٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٢٢٧٨)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٠٩) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠١٣٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٧٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٥) مكارم الأخلاق / لابن أبى الدنيا (ص: ٢٠).

وهذا فاروق الأمة (عمر) رضي الله عنه

وهذا الفاروق عمر رضي الله عنه يقول: «مَن قَلَّ حياؤه، قَلَّ ورعه، ومن قل ورعه، مات قلبه»...، ويقول: «من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وُقي».

ملائكة الرحمن تستحي من عثمان رضي الله عنه

ويا لها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

* ففي «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله وسوّى ثيابه فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[(١)].

وقال ﷺ: «عثمان أحيى أمتي»[(٢)]... يعني أكثرها حياءً.

وعن الحسن رحمه الله - وذكر عثمان رضي الله عنه وشدة حيائه-، قال: «إن كان ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صُلبه».

* * *

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية (٥٦/١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٩٧٧).

ابن عباس رضي الله عنهما

عن عكرمة عن ابن عباس: أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده وعليه ثوب صفيق يقول: إني أستحي الله أن يراني في الحمام متجرداً»(١).

أين هؤلاء الرجال الأطهار

وها هو الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يسطر على جبين التاريخ صفحة ناصعة البياض من الحياء.

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إذا نام لبس ثيابًا عند النوم مخافة أن تنكشف عورته».

فجاءته إحداهما تمشي على استحياء

وتأملوا معي كيف كان خُلُق الحياء صفة لازمة لأهل الإيمان في كل زمان... فها هو الحق - جل وعلا- يحكي لنا كيف أن موسى - عليه السلام- لما سقى لابنتي الرجل الصالح في (مَدْين) جاءته بعد ذلك إحداهما تمشي على استحياء لتخبره بأن أباها يدعوه إلى المنزل.

* قال تعالى مخبراً عن هذا المشهد الجليل: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٥٥).

(٢) سورة القصص: الآيات: (٢٣- ٢٥).

حياء فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وعن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة رضي الله عنها ثوبٌ، إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال: «إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك»[١].

* بل وفي يوم من الأيام جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تسأله خادمًا، فقال: «ما جاء بك يا بنية؟»، فقالت: «جئت أسلم عليك»، واستحيت، حتى إذا كانت القابلة، أتته، فقالت مثل ذلك . . .

وفي بعض روايات هذه القصة: (أن رسول الله ﷺ جاءها وعليًا وقد أخذا مضاجعهما . . .) الحديث. وفيه: (فجلس عند رأسها، فأدخلت رأسها في اللفاع، حياءً من أبيها)[٢].

عائشة رضي الله عنها وحياء يعجز القلم عن وصفه

إن المرأة المؤمنة بفطرتها النقية تستحيي من أي رجل حتى ولو كان زوجها. . . فما ظنك بمن لا تستحي من الأحياء فحسب بل تستحي من الأموات!!!

إنها أمنا الطاهرة التقية عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أدخل البيت الذي دُفِن فيه رسول الله ﷺ وأبي رضي الله عنه واضعةً ثوبي، وأقول: «إنما هو زوجي وأبي»، فلما دُفِن عمر رضي الله عنه، والله ما دخلتُه إلا مشدودةً عليَّ ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه»[٣].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤١٠٦) كتاب اللباس، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٨٦٨).

(٢) رواه أبو داود وصححه الألباني في الإرواء (٦/٢٠٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٥١٣٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٧٧١).

علمتني أمي

قالت الفتاة: لقد علمتني أمي الكثير والكثير، فهي بحق مدرسة عظيمة، وإني أدين لها بالكثير فكم غرست فيّ من بذور الحب والعلم والخير وسقت هذا الغرس وتعهدته ضد الأخطار التي تهدده حتى أثمر خير الثمار.

احبك يا أمي... شكراً لك يا أمي.

وكان مما علمتني...

دخلت عليّ أمي ذات يوم وعلامات الدهشة تبدو على وجهي فسألتني عن حالي.

فقلت لها: أماه إن صديقة لي (احبها كثيرا) وهي جميلة وجدتها اليوم جاءت المدرسة وهي تلبس جلبابًا واسعًا طويلاً وتغطي شعرها بخمار صغير جميل ولكن لا أدري لماذا تفعل هذا وتستر جمالها؟

فنظرت إليّ أمي وهي مبتسمة وقالت: ... قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

فقد أمر الله في هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات الكثيرة المرأة بالتستُّر ولبس الحجاب حماية لها أن يؤذيها أهل السوء بقول أو فعل فالله هو الحكيم العليم يحب المؤمنين ويختار لهم ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

* وهذا الحجاب له مواصفات شرعية وهي:

(١) يغطي كل جسدها.

(٢) ألا يكون له ألوان ملفتة مبهرجة.

(٣) الا يكون شفافًا يُظهر ما تحته.

---

(١) الأحزاب، الآية: (٥٩).

(٤) أن يكون واسعًا ولا يكون ضيقًا.

(٥) ألا تضع العطر والطيب ليشمها الرجال.

(٦) ألا يشبه لباس الرجال.

فهذا هو شكل الحجاب الذى يحبه الله ويرضاه؛ لأن الله حيىّ ستير يحب الحياء والستر ومَن أحبه الله فاز فى الدنيا والآخرة [١].

الطفلة الداعية

انتهى اليوم الدراسى، وعادت الفتاة الصغيرة إلى منزلها وقد غشى وجهها الجميل البرىء من الحزن ولمحت الأم الحنون أن هناك أمرًا يؤثر فى نفس صغيرتها ولم تحتج إلى جهد كبير لتُفصح الصغيرة وتقول: أماه إن مُدرستى هددتنى بالطرد من المدرسة لأجل هذه الملابس الطويلة التى ألبسها.

الأم: ولكنها الملابس التى يريدها الله يا ابنتى.

الفتاة: نعم يا أماه ولكن المدرّسة لا تريده.

الأم: حسنًا يا ابنتى المدرسة لا تريد والله يريد فمن تطيعين؟! أتطيعين الله الذى خلقك وصوَّرك وأنعم عليك أم مخلوقة لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا؟!

الفتاة: بل أطيع الله.

الأم: أحسنت يا ابنتى وأصبت.

وفى اليوم التالى:

عندما ذهبت هذه الطفلة إلى المَدرسة غضبت المُدرسة جدًّا لأن تلك الفتاة لم تسمع كلامها، وظلّت المدرسة تهددها وتشدد عليها حتى بكت تلك الطفلة الصغيرة.

وقالت: لا أدرى مَن أطيع؟ أنت أم هو؟

---

(١) الحياء / د. إبراهيم الشربينى (ص: ٩-١٠).

قالت المدرسة: من هو؟ . . . قالت: الله الذى خلقك وصوّرك وأنعم عليك.

أطيعك أنت فألبس ما تريدين وأغضبه هو؟ أم أطيعه وأعصيك؟ ثم قالت: سأطيعه سبحانه، وليكن ما يكون . . .

سكتت المدرّسة.

وفى اليوم التالى دعت المدرسة أم الفتاة لتقول لها: لقد وعظتنى ابنتك أعظم موعظة سمعتها فى حياتى.

نعم . . فقد أظهرت تلك الفتاة المدرسة على حقيقتها وأخبرتها أنها جعلت نفسها نداً لله إذ هى تأمر بخلاف أمره وتُوجِّه إلى خلاف ما يريد فتصاغرت فى نفسها وانزاحت عن فطرتها تلك الحُجُب فعرفت الحقيقة(١).

لا يتعلم العلم مُستحى ولا مستكبر

وإذا كان حديثنا عن الحياء فينبغى أن نعرف أن هناك أشياء يصبح الحياء فيها مذموماً . . ومنها على سبيل المثال:

* الحياء فى طلب العلم . . فقد يمكث الرجل زماناً طويلاً لا يطلب العلم حياءً من أن يسأل غيره ويظل على هذا الحال إلى أن يضيع عمره كله بلا علم فيتجرع مرارة الجهل ويندم على عمره الذى مضى.

* وفى «صحيح مسلم» عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى قال لعائشة: «إنى أريد أن أسألك عن شيء، وأنا أستحى منك»، فقالت: «سل، ولا تستحى فإنما أنا أمك»(٢).

وقال البخارى: قال مجاهد: «لا يتعلم العلم مُستحى ولا مستكبر»،

---

(١) الحياء (ص: ١٥-١٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٤٩) كتاب الحيض.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[1].

الاستحياء من الملائكة

نحن نعلم يقينًا أن الحياء من أخلاق الملائكة . . . ولذا جاء في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «ألا أستحيي من رجلٍ تستحي منه الملائكة» - يقصد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

* بل ولقد امتنع جبريل (عليه السلام) من دخول بيت النبي ﷺ حياءً من عائشة رضي الله عنها فنادى النبيَّ ﷺ بصوتٍ خفي وأجابه النبيُّ ﷺ بصوتٍ خفي ثم قال ﷺ: «ولم يكن ليدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك»[2].

من فوائد الحياء

إن فوائد الحياء لا تُعد ولا تُحصى. . . وحسبنا قول النبي ﷺ: «الحياء كله خير».

وها أنا أسوق لحضراتكم بعض فوائد الحياء.

(١) الحياء مفتاح كل خير:

فالحياء هو مفتاح كل خير. . فهو الذي يحضنا على طاعة الله واتباع رسول الله ﷺ وبر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الجار وأداء الأمانة والوفاء بالوعد وإكرام الضيف وغير ذلك من الطاعات التي نتقرب بها إلى رب الأرض والسماوات (جلَّ وعلا).

---

(١) رواه البخاري تعليقاً في كتاب العلم باب الحياء في العلم، وانظر فتح الباري (١/٢٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز.

(٢) الحياء خلق يحبه الله - جل وعلا -:

جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى حييٌّ ستيرٌ يحب الحياء والستر ....»[1].

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: قال لي أشجُّ بن عصر: قال لي رسول الله ﷺ: «إن فيك لخلتين يحبهما الله عز وجل»، قال: قلت: «وما هما؟» قال: «الحلم والحياء»، قال: قلت: «قديمًا كانتا فيَّ أم حديثًا؟»، قال: «قديمًا»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله عز وجل[2].

(٣) الحياء من صفات الله - عز وجل -:

ومن صفات المولى -عز وجل- (الحيي) كما في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى حَيِيٌّ كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»[3].

* حياء الرب - جل وعلا - من عبده:

* قال يحيى بن معاذ: «من استحيا من الله مطيعًا، استحيا الله منه وهو مذنب».

(٤) الحياء خلق مشترك بين الأنبياء:

* قال ﷺ - كما عند البخاري -: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

* فقوله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» يشير إلى أن

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٠١٢) كتاب الحمام، والنسائي (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم، وأحمد (١٧٥٠٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٥٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٢٥) كتاب الأدب، وأحمد (١٧٣٧٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (١٩٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٤٨٨) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٥٥٦) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٦٥) كتاب الدعاء، وأحمد (٢٣٢٠٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٧٥٧).

هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين.

(٥) الحياء يعين العبد على هجر المعاصي كلها حياءً من الله -عز وجل-:

(٦) الحياء يحمي العبد من الفضيحة في الدنيا والآخرة:

لأنه يجعل بين العبد وبين ارتكاب أسبابها ساترًا وحجابًا.

(٧) الحياء يجعل العبد مقبلاً على طاعة الله - جل وعلا -:

لأنه يرى ويشعر بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى فيزداد العبد طاعة لله وشكرًا لله . . . فهو يفعل ذلك وفاءً لله وذلك من باب قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[1].

(٨) الحياء يكسو المرء الوقار:

بحيث أنه لا يفعل ما يُخلُّ بالمروءة والتوقير ولا يؤذي من يستحق الإكرام.

(٩) الحياء أبهى زينة:

فإن العبد لن يتزين بزينة أبهى وأجمل من الحياء..

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما كان الفُحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه»**[2].

(١٠) الحياء إيمان:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفع أحدهما، رُفع الآخر»**[3].

---

(١) سورة الرحمن: الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (١٩٧٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤١٨٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٢٢٧٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٥٥).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٣)، والحاكم في المستدرك (١/٧٣)، ورواه البيهقي في الشعب (٦/ ١٤٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٠٣).

ليس من الحياء

وبعد أن عشنا سويًا فى تلك الرحلة مع الحياء كان لا بد لنا من وقفة مع بعض الأشياء التى يظن الناس أنها من الحياء وهى أبعد ما تكون عن الحياء.... وها هى بعضها:

* أن تخرج المرأة سافرة متبرجة كاشفة جسدها للأجانب فإذا نظر إليها رجل احمرَّ وجهها وحاولت أن تستر جسدها!!! .... هذا ليس من الحياء فى شىء وإنما الحياء أن تلبس حجابها وتستر جسدها ولا تخرج إلا للضرورة ومعها أحد محارمها.

* أن يصافح الرجل المرأة الأجنبية زعمًا منه أنه استحيا منها لأنها مدَّت يدها لتصافحه!!!

قال ﷺ: «لأن يُطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له»[(١)].

* أن يشهد الرجل شهادة زور زعمًا منه أنه فعل ذلك حياءً من أحد أقاربه لأنه طلب منه أن يفعل ذلك.

* أن يُقرض رجلٌ رجلاً مالاً وهو لا يثق بأمانته، ويود أن لو أشهد عليه الجن والإنس، ومع ذلك يستحى أن يستكتبه الدَّين أو أن يُشهد عليه، أو يمكِّن سفيهًا من ماله استحياءً منه، فيبدده شذر مذر.

عن أبى موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يُستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخُلق فلم يُطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه، ورجل آتى سفيهًا ماله، وقد قال الله

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠/٢١١، ٢١٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٠٤٥).

تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [1] [2].

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس من الحياء

* أن يترك الإنسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حياءً من الناس فهذا ليس من الحياء في شيء بل هذا ضعف وعجز ومهانة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقّن الله عبداً حُجته قال: يا رب رجوتك وفرقت من الناس» [3] - أي: خفت من الناس -.

* فإذا رأينا مسلماً يفعل منكراً فلا يجوز أن نتركه يُلقي بنفسه في النار بحجة أننا نستحيي أن ننكر عليه.

* قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعن رجلاً هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه، أو شهده، أو سمعه» [4].

كيف نكتسب خلق الحياء؟

حبايبي الحلوين: ولعلكم تتساءلون وتقولون في أنفسكم: كيف نكتسب خُلق الحياء؟

* وسأخبركم ببعض الوسائل التي تعين على اكتساب خُلق الحياء:

---

(١) سورة النساء: الآية: (٥).

(٢) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٦)، وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٨٠٥).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠١٧) كتاب الفتن، وأحمد (١١٢٢٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٨١٨).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢١٩١) كتاب الفتن، وابن ماجه (٤٠٠٧) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٦٨).

أولاً: أن نتعرف على فضائل الحياء حتى نحرص على التحلي بخلق الحياء.

ثانيًا: أن نبتعد عن الأشياء التي تضيع الحياء: كالكلام الفاحش والبذيء والسب واللعن والكذب وغير ذلك من الأخلاق السيئة.

ثالثًا: تقوية الإيمان.. وذلك بكثرة العمل الصالح... وذلك لأن الحياء ثمرة الإيمان ومعرفة الله (عزَّ وجلَّ).. فإذا ازداد الإيمان ازداد الحياء.

رابعًا: التعبد بالتفكر في أسماء الله الحسنى التي تستوجب المراقبة والإحسان كأسمائه: الشهيد، والرقيب، والعليم، والسميع، والبصير، والمحيط، والحفيظ.

قال حاتم الأصم: (تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتَّ فاذكر علم الله فيك).

خامسًا: المواظبة على العبادات المفروضة والمندوبة كالصلاة التي قال تعالى في شأنها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[1]، وقد قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانًا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق! فقال ﷺ: «سينهاه ما تقول» أو قال: «ستمنعه صلاته»[2].

وكالزكاة التي قال سبحانه فيها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3].

سادسًا: لزوم الصدق وتحريه، وتجنب الكذب؛ لأن الصدق يهدي إلى البر، قال ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة»[4].... والحياء من جملة البر.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: (٤٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٩٤٨٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٢٣٧).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٠٣).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٦) كتاب البر والصلة والآداب.

سابعًا: المواظبة على تكلف الحياء مرة بعد مرة حتى تألفه النفس، وتعتاده، ويصير لها طبعًا وسجية، وهذا يستلزم التجمل بالصبر كالمريض الذي يصبر على تعاطي الدواء المر.

ثامنًا: مخالطة الصالحين، ورؤيتهم، والسماع منهم، والاستمداد من حيائهم.

قال بعضهم: «أحي حياءك بمجالسة من يُستحيا منه».

وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يُصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه».

تاسعًا: استحضار حياء المثل الأعلى للبشرية رسول الله ﷺ ومطالعة سيرته العطرة، وشمائله الكريمة، ثم استحضار حياء صحابته ﷺ وسيرتهم سيما الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأصحاب بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، وسائر المهاجرين والأنصار، ثم من تبعهم من أهل العلم والإيمان.

عاشرًا: اعتزال البيئة الفاسدة والموبوءة التي تصد عن الخُلق الحسن، والتنزه عن معاشرة قليلي الحياء، والتحول إلى الصحبة الصالحة، .... وفي حديث قاتل المائة أن العالم قال له: «... ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها ناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء...»[1].

* وأخيرًا فإني أسأل الله - جل وعلا- أن يرزقنا نعمة الحياء وأن يحشرنا في زمرة الأتقياء إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٧٦٦) كتاب التوبة.

التواضع

التواضع

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به . . ألا وهو خُلق التواضع.

إن نعمة التواضع من أجلّ وأعظم النعم التي يمتن الله بها على عباده. . . ولقد كان نصيب النبي ﷺ من هذا الخُلق هو النصيب الأعظم فلقد كان الحبيب ﷺ سيد المتواضعين حتى إنه لما أراد أن يخبر الأمة عن قدره ومكانته عند الله عزّ وجلّ قال بعدها: «ولا فخر» وهذا من فرط تواضعه ﷺ حتى لا يظن أحدٌ أن النبي ﷺ يقول ذلك تفاخرًا. قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ: آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»[1].

فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع هذا الخُلق الجليل من أخلاق النبي ﷺ عسى الله أن يرزقنا أخلاقه وأن يرزقنا صُحبته في الجنة . . . . إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التواضع من صفات عباد الرحمن - جل وعلا -

التواضع: صفة من صفات عباد الرحمن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾[2].

* قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي يرحمه الله:

«ذكر أنَّ صفاتهم أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣١٤٨) كتاب تفسير القرآن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٤٦٨).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٦٣).

بأنهم: ﴿يمشون على الأرض هونًا﴾ أي: ساكنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع لله ولعباده»[1].

ووصف الله عباده الذين هداهم للإيمان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أذلّة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾[2].

قال ابن الحاج يرحمه الله: «من أراد الرفعة فليتواضع لله تعالى؛ فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة، صعد إلى أعلاها،... فكأن سائلاً سأله: ما صعد بك هنا أعني في رأس الشجرة، وأنت تحت أصلها-؟!، فكأن لسان حاله يقول. من تواضع لله رفعه»[3].

دعوة إلى التواضع

وها هي دعوة مباركة إلى التواضع تأتيكم من فوق سبع سموات لتتعايشوا بقلوبكم وأرواحكم مع هذا الخُلق الرفيع.

قال تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص ٥٨٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

(٣) «المدخل» لابن الحاج (٢/ ١٢٢).

(٤) سورة الفرقان: الآية: (٦٣).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٥٤).

الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[4].

النبي ﷺ يحض الأمة على التواضع

وها هو الحبيب ﷺ يحض أمته على التواضع لإشاعة روح المحبة والتآلف والرحمة بين المسلمين.

* قال ﷺ: «وإن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد ولا يبغي أحدٌ على أحد»[5].

* وقال ﷺ: «أبغوني الضعفاء فإنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم»[6].

* وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليُمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة»[7].

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣-٢٤).
(٢) سورة الإسراء: الآية: (٣٧).
(٣) سورة الشعراء: الآية: (٢١٥).
(٤) سورة لقمان: الآية: (١٨).
(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.
(٦) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٦) كتاب الجهاد والسير، بنحوه.
(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٣) كتاب الأشربة.

* وعن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى العضباء، وكانت لا تُسبق، فجاء أعرابي على قَعُود لها فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سُبقت العضباء، فقال رسول الله ﷺ: «إن حقًا على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه»[1].

من تواضع لله رفعه الله

اعلم أيها الابن الحبيب أن الله عز وجل سيرفع قدرك في الدنيا والآخرة بتواضعك، فقد قال سيد المتواضعين ﷺ: «.. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[2].

* وقال ﷺ: «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد مَلَك فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك: دع حكمته»[3].

* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يقول الله تبارك وتعالى: «من تواضع لي هكذا - وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها - رفعته هكذا- وجعل باطن كفيه إلى السماء ورفعهما نحو السماء»[4].

هذا هو سيد المتواضعين ﷺ

هذا هو سيد المتواضعين الذي رسم على جبين الزمان صورة حية من التواضع ليتعلم منه الكون كله كيف يكون التواضع الحقيقي.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة لو شئت

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠١) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) حسن: رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢١٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٧٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣١١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٩٤)

لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك إن حُجزته لتساوي الكعبة، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت نبيًا عبدًا، وإن شئت نبيًا ملكًا. فنظرت إلى جبريل عليه السلام، فأشار إليَّ أن ضع نفسك، فقلت: نبيًا عبدًا»[١].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «آكُلُ كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»[٢].

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حدث: أن رسول الله ﷺ ذُكر له صومي، فدخل عليَّ، فألقيت له وسادة من أدم، حشوها ليف، فجلس على الأرض، وصارت الوسادة بيني وبينه.......»[٣].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن جدته مُليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته فأكل منه ثم قال: «قوموا فأصلي لكم» قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لُبس فنضحته بماء فقام عليه رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف[٤].

* وعن أبي رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت: يا سول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه؟ فأقبل عليَّ رسول الله وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأتي بكرسي، فقعد عليه، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته، فأتم آخرها[٥]

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: «لو دُعيت إلى كُراعٍ أو ذراع

---

(١) ذكره العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٣٠٤٥) وقال: والحديث صحيح دون جملة الحجزة وبلفظ: بل عبدًا رسولاً، انظر الصحيحة (١٠٠٢).

(٢) صحيح: رواه أبو يعلى في مسنده (٤١٥/١٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٤٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٨٠) كتاب الصوم، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٦٥٨) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨٧٦) كتاب الجمعة.

لأجبت. ولو أهدى إليَّ ذراع أو كراع لقبلت»[١].

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»[٢].

* عن أنس رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله[٣].

* وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه في خطبة له قال: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويُواسينا بالقليل والكثير[٤].

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: «أنا نازلٌ» ثم قام وبطنه معصوب بحجر - ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا-...»[٥].

* وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: سأل رجلٌ عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم. كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته[٦].

* وعن عائشة رضي الله عنها وقد سُئلت عما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[٧].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥١٧٨) كتاب النكاح.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤١٢٦) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٠٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٢٤٧) كتاب الاستئذان.

(٤) رواه أحمد (٥٠٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٤١٠١) كتاب المغازي، ومسلم (٢٠٣٩) كتاب الأشربة.

(٦) أخرجه البغوي في شرح السنة (١٣/ ٢٤٢) وقال محققه: إسناده صحيح.

(٧) صحيح: رواه البخاري (٦٠٣٩) كتاب الأدب.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[(١)].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تُطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله»[(٢)].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول إني خيرٌ من يونس بن متّى»[(٣)].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك إبراهيم عليه السلام»[(٤)].

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[(٥)].

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكثتُ سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية... الحديث فيه: «وإنه - أي رسول الله ﷺ - لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدم - جلد - حشوها ليفٌ؛ فرأيتُ أثر الحصير في جنبه فبكيتُ، فقال: «ما يبكيك؟» فقلتُ[(٦)]: يا رسول الله، إنَّ كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»[(٧)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٦٢) كتاب الإجارة.
(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٤٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٩٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومواضع، ومسلم (٢٣٧٧) كتاب الفضائل.
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٩) كتاب الفضائل.
(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٠٧٢) كتاب الأدب.
(٦) القائل هنا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٧) صحيح: رواه البخاري (٤٩١٣) كتاب تفسير القرآن.

سلفنا الصالح ونعمة التواضع

ولقد ضرب سلفنا الصالح ﷺ المثل الأعلى فى التواضع فهم الذين عاشوا على سنة الحبيب ﷺ وتعلموا التواضع من سيد المتواضعين ﷺ.

* قال أبو بكر الصديق ﷺ وجدنا الكرم فى التقوى، والغنى فى اليقين، والشرف فى التواضع.

* وأورد ابن الأثير بسنده فى أُسد الغابة: عن أبى صالح الغفارى: أن عمر بن الخطاب كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء فى بعض حواشى المدينة من الليل، فيستقى لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبى بكر الصديق الذى يأتيها، وهو يومئذ خليفة. فقال عمر: أنت هو لعمرى!!

* وكان أبو بكر ﷺ يحلب للحى أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة، قالت جارية من الحى: الآن لا تُحلب لنا مَنَائِحُ (أغنام) دارنا، فسمعها أبوبكر فقال: بلى لعمرى لأحلبنها لكم، وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خُلق كنت عليه، فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية من الحى: يا جارية أتحبين أن أرغى لك أو أصرح؟ فربما قالت: أرغ، وربما قالت: صرح، فأى ذلك قالت فعل.

* وعن سعيد بن المسيب: أن أبا بكر ﷺ لما بعث الجنود نحو الشام أمَّر يزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ولما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشى ونحن رُكبان؟! فقال: إنى أحتسب خُطاى هذه فى سبيل الله.

* وعن محمد بن عمر المخزومي عن أبيه قال: نادى عمر بن الخطاب: الصلاة جامعة! فلما اجتمع الناس وكثروا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس! لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فأظل يومى وأى يوم! ثم نزل فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! ما زدت على أن قمئت نفسك - يعنى: عبت نفسك- فقال: ويحك يا ابن عوف! إنى خلوت فحدثتنى نفسى فقالت: أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك! فأردت أن أُعرفها نفسها.

* وخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعه أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خُفَّيه فوضعهما على عاتقه وأخذَ بزمامِ ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خُفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوضُ بها المخاضة؟ ما يسرُّنى أن أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوَّه، لو يقل هذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ ... إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله.

* وعن زاذان عن على رضي الله عنه أنه كان يمشى فى الأسواق وحده وهو وال يرشد الضال، وينشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[1]، ويقول نزلت هذه الآية فى أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة على سائر الناس.

* وعن ثابت قال: كان سلمان رضي الله عنه أميرًا على المدائن فجاء رجل من أهل الشام من بنى تيم الله معه حمل تين فقال لسلمان: تعال احمل! وهو

---

(١) سورة القصص: الآية: (٨٣).

لا يعرف سلمان، فحمل سلمان، فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير!
قال: لم أعرفك، فقال له سلمان: لا حتى أبلغ منزلك.

* وعن عبد الله بن حنظلة أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه مرَّ في السوق وعليه حُزمةٌ من حطب فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله من هذا؟ قال: أردت أن أدفع الكبر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[1].

لا تغتر بقوتك

كان ياما كان.

كان هناك فهدٌ مغرور بقوته وشبابه.

وفي يوم من الأيام ذهب إلى البحيرة ليشرب الماء... وبعد أن شرب نظر إلى صورته على صفحة الماء، فأعجب بشكله فقد كان مفتول العضلات تبدو عليه علامات القوة والشباب فقال في نفسه: لابد أن يعلم جميع سكان الغابة أنني أنا الأقوى.

وبينما هو عائد إلى بيته؛ إذ رأى كلبًا ضعيفًا فدفعه بقوة دون سبب.

وقال له: أتدري من أنا؟

فرد عليه الكلب قائلاً: أنت الفهد الذي يعيش معنا في الغابة.

فقال له الفهد بكل غرور: أنا الفهد المغوار.. من وقف أمامي فمصيره الدمار.

فقال الكلب: احذر أيها الفهد من الكبر والغرور واعلم أن هناك من هو أقوى منك.

* فتركه الفهد وسار ليبحث عن حيوان آخر ليتباهى عليه بقوته.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.



فرأى الغزالة تدفعها دفعة قوية فسقطت على الأرض فبكت وقالت: لماذا تدفعني وأنا ما فعلت معك شيئًا؟!

فقال الفهد: ألا تعلمين من أنا؟.. أنا الفهد المغوار... من وقف أمامى فمصيره الدمار.

* وهكذا أخذ الفهد يستعرض قوته على أى حيوان يلقاه.

ذهبت الحيوانات إلى الفيل لتشتكى إليه من الفهد.

فقال الفيل: لقد أصابه الغرور وسوف ألقنه درسًا لن ينساه وسوف أرسل له طبيبًا لكى يعالجه.

* أرسل الفيل إلى الأسد وحكى له قصة الفهد وطلب منه أن يعالجه.

فذهب الأسد إلى الفهد ودفعه دفعة قوية أسقطته على الأرض.

فسأله الفهد: لماذا تفعل معى هذا أيها الأسد؟

فقال الأسد: ألا تعلم من أنا؟.. أنا ملك الغابة.. من وقف أمامى فسوف يفقد شبابه.

ثم تركه وعاد إليه فى اليوم التالى ودفعه دفعة قوية وقال له نفس الكلمات وأخذ يفعل معه ذلك كل يوم.

* جلس الفهد حزينًا فمر عليه الكلب وقال له: ما لى أراك حزينًا أيها الفهد.

الفهد: إن الأسد يؤذيني ويضربني كل يوم بلا سبب.

الكلب: ألا تعلم أيها الفهد أنه كما تدين تُدان وكما تزرع تحصد وأنت قد أذيت كل سكان الغابة الضعفاء فسلط الله عليك الأسد؛ لتذوق طعم ومرارة الظُّلم حتى لا تظلم أحدًا ولتعلم أن هناك من هو أقوى منك.

* قال الفهد: الآن عرفت أنني قد أخطأت في حقكم جميعًا، فلن أظلم بعد اليوم أحدًا أبدًا.. وذهب الفهد ليعتذر لكل حيوانات الغابة، فسامحوه جميعًا وذهبوا إلى الفيل ليشكروه على ما فعله من أجل رفع الظُّلم عنهم.

الديك المغرور

وقف الديك كعادته نافش الريش فرحًا مختالا وهو يصيح مع إطلالة صباح جديد.. كان يغيظ ديكًا آخر تغير صوته في الفترة الأخيرة، ولم يعد باستطاعته أن يشارك الديك المغرور الصياح عند الصباح.. حاول كثيرًا أن يعيد صوته إلى سابق عهده، لكن دون جدوى، في كل مرة كان صوته يخرج خافتًا مجروحًا.

وكان يطيب للديك المغرور أن يهزأ من جاره بكل الوسائل الممكنة.. حتى إنه كثيرًا ما كان يشتمه دون سبب، ولم يكن الديك الذي أصيب صوته مُحبًّا للشجار، لذلك كان يفضل الصمت، ويمضي إلى الحقل القريب حزينًا يشكو للأشجار والأزهار همَّه، ويرجو الله أن يعيد له صوته كما كان من قبل..

* في صباح أحد الأيام قال الديك المغرور مزهوًا وهو يخاطب الديك الثاني:

- أنا أستغرب أن تبقى مقيمًا هنا حتى الآن، ما الفائدة منك.. الأفضل أن ترحل بعيدًا، اسمع صوتى الجميل وفكر هل تستطيع أن تكون مثلى فى يوم من الأيام.. أنت ديك مريض وستبقى كذلك، وسأبقى أفضل منك بكثير..

أجابه الديك الآخر حزينًا مُستاءً:

- لا أنكر أنك تملك صوتًا جميلاً، صدقنى أنا أدعو الله العزيز أن يُديمه لك.. لكن أيها الجار لماذا كل هذا التكبر، هل من الجائز أن تتباهى بما وهبك الله مختالاً فخورًا متكبرًا.

قال الديك المتعجرف:

- كلُّ هذا الكلام لا فائدة منه، أنت ديك مريض وستبقى كذلك، وأنا أملك أجمل صوت وسأبقى كذلك..

مضى الديك الثانى حائرًا حزين القلب.. قال يخاطب نفسه:

- لماذا يفعل جارى الذى عرفته منذ مدة طويلة ما يفعله.. كلُّ واحد منا مُعرَّض للمرض، فهل يعنى ذلك أن يكون كل واحد منا ضد الآخر فى مرضه، أم من الواجب أن نكون معًا فى مواجهة كل شىء..

سبحان الله! لا أدرى ماذا أفعل مع هذا الجار.. على كلٍّ سامحه الله، ولا أتمنى له إلا كل خير..

ولأن الأيام تمر بسرعة، فقد تغيرت أشياء كثيرة، وتبدلت أحوال كثيرة.. من ذلك أن الديك المغرور فَقَدَ صوته تمامًا، ولم يعد باستطاعته الصياح كل صباح كما كان يفعل من قبل.. بينما عاد الصوت بكل جماله وبهائه وروعته للديك الثانى، لكنه كان الجار الحنون القريب من جاره، وكان يواسيه بكل الطرق الممكنة، ويرجو الله أن يعيد له صوته كما كان.. حتى إنه، احترامًا لمشاعر جاره، كان يبتعد قدر المستطاع، كلما أراد أن يُطلق

صوته الجميل.. وكان الجار المتعجرف يشعر بالندم على ما بدر منه من قبل، بعد أن رأى كيف يعامله الديك الذي عاد له صوته..

ومع الأيام، عاد الصوت للديك الأول، لكنه تعلَّم أن يكون كريمًا عطوفًا مُحبًا لجيرانه.. ومع كل صباح كان يرتفع صياح الديك الأول ليجيبه الديك الثاني، وبقيت الصداقة بينهما جميلة رائعة، حيث بقي كل واحد منهما يحب الثاني كُلَّ الحُبِّ..[1].

ثمرات التواضع

وها هي باقة عطرة من ثمرات التواضع الذي لا تنتهي ثمراته أبدًا:

* فالتواضع خُلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبة رب العالمين -جل وعلا-.
* وهو الطريق الذي يوصل إلى مرضاة الله وإلى جنته.
* وهو عنوان سعادة العبد في الدارين.
* وهو السبيل الذي يقربك من الله ويقربك من الناس.
* وهو السبيل للفوز بحفظ الله ورعايته وعنايته.
* وهو الطريق لحصول النصر والبركة في المال والعمر.
* وهو السبيل للأمن من عذاب الله يوم الفزع الأكبر.
* وهو دليل على حُسن الخلق وقائد إلى حُسن الخاتمة.

فأسأل الله - جل وعلا- أن يرزقنا جميعًا هذا الخُلق الرفيع.

* * *

---

(١) نقلاً من موقع (اتحاد الكتاب العرب للأطفال).



الشكر



الشكر

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به... ألا وهو خُلق الشكر.

* وما أجمل أن يشعر المؤمن بنعم الله عليه فقد قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(١).

وأمرنا أن نشكره على تلك النعم فقال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٢).

ووعدنا بالجزاء العظيم على شكر النعمة فقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(٣).

بل وأخبر أن الشكر سبب لزيادة النعم وسعة الأرزاق فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(٤).

وأخبر الله (جلّ وعلا) أن الشكر سبب للنجاة من العذاب فقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾(٥).

وأخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من خلقه وأمره، بل هو الغاية التي خلق لأجلها: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة النحل: الآية: (٥٣).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١٧٢).
(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٤٤).
(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٧).
(٥) سورة النساء: الآية: (١٤٧).
(٦) سورة النحل: الآية: (٧٨).

أسرة شاكرة لله (جلَّ وعلا)

دخل أنس على أبيه مسرورًا جدًّا وقال لأبيه: هلا باركتم لي: لقد فزت في مسابقة القرآن وحصلت على المركز الأول... فرح الأب جدًّا وقبَّل أنسًا وقال له: مبارك لك يا ولدي فهيا فلتسجد لله شكرًا على هذه النعمة العظيمة، فسجد أنس شكرًا لله ثم التفَّ الأبناء حول الأب والأم في حُبٍّ وحنان وهم يباركون لأنس ويُقبِّلونه على هذا الفوز ثم قال الأب: الحمد لله يا ولدي إن نعمه علينا لا تُعد ولا تُحصَى فلا تنسَ يا ولدي أن تشكر الله فإن حق الله عليك في كل نعمة أن تشكره عليها فالله هو الذي أعطاك القدرة على الفهم والحفظ وأعطاك العين التي رأيت بها الآيات فاستطعت أن تحفظها وأعطاك القدرة على تذكرها بعد حفظها.

فكما فزت في مسابقة القرآن فإن هذه النعمة أيضًا امتحان إن شكرت الله فزت أيضًا في هذا الامتحان (امتحان النعم).

صغاري الأحباء... إن هذا الامتحان لكل مسلم لأن كل مسلم فينا لديه من نعم الله ما لا يستطيع عدَّهُ فالله يمتحنه هل سيشكر على هذه النعم أم لا.

فانظر يا ولدي قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

فقد كنا أجِنَّة (صغارًا) في بطون أمهاتنا فأخرجنا الله منها وأعطانا نعمة السمع. وأعطانا نعمة البصر.

فالحمد لله على نعمة البصر فتخيلوا لو كنا عُميًا لا نرى ماذا كان سيحدث لنا؟... كنا سنتخبط ونقع وربما تتكسر عظامنا ولما استطعنا أن نعيش.

وأعطانا الله نعمة القلب.

---

(١) سورة النحل: الآية: (٧٨).

فالقلب هو بمنزلة الرئيس المسيطر على بقية أعضاء الجسد فهو يضخ الدم لهذه الأعضاء وبهذا يوصل لها الغذاء والهواء والطاقة ويأخذ منها المواد الضارة حتى يتخلص منها.

فالحمد لله على نعمة القلب فإن القلب لو توقف لمات الإنسان.

ولكن السؤال لماذا أعطانا الله كل هذه النعم؟

استأذن عليٌّ أباه في الإجابة:

عليٌّ: لكي نشكر الله عليها لأن الله قال في نهاية الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

الأب: أحسنت يا علي نعم لقد أعطانا الله هذه النعم ليختبرنا هل سنشكره أم ننكر نعمته ولا نشكره.

عائشة: ولكن يا أبي كيف نشكر الله على هذه النعم حتى ننجح في الامتحان؟

الأب: سؤالك جميل يا عائشة إن شكر النعمة يكون يا بُنيتي بالقلب واللسان والأعضاء (الجوارح).

فالقلب بأن: نعبد الله وحده ونعترف له بالفضل.

وباللسان بأن: نقول الحمد لله وبقية كلمات الحمد والشكر.

وبالأعضاء بأن: نستعملها فيما يحبه الله ويرضاه ولا نستعملها في معصيته.

الأم: وإن من شكر النعم أيضًا يا أحبائي أن نُحدِّث الآخرين بنعم الله علينا.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: (٧٨).

(٢) سورة الضحى: الآية: (١١).

فليكن لنا أوقات نُذكِّر بعضنا بنعم الله علينا وليكن لنا أوقات نتأمل فيها نعم الله كنعمة الماء والأرض والبحر.

فاطمة: وهل البحر يا أمي نعمة كالسماء والأرض؟

الأم: بالتأكيد يا بنتي فلقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

فالبحر به أسماك جميلة (لحمًا طريًّا) وهي طعام لنا.

ومنه نستخرج اللؤلؤ والياقوت فنصنع منه هذه الحُلي الجميلة.

وهو وسيلة للسفر فتسير السفن في البحر وتنقل الركاب من مكان لآخر أو تستخدم هذه السفن للصيد

وجعله الله نزهة لنا فنركب السفن ونتنزه في البحر ونتأمل قدرة الله فيه.

فالبحر حقًّا نعمة نحمد الله عليها.

استأذن عبد الرحمن في أن يقص عليهم قصة «القطة الجائعة».

عبد الرحمن: كانت هناك قطة جائعة جدًا فدخلت على بعض الرجال وأخذت تدور حولهم وحاول الرجال أن يفهموا لماذا تدور حولهم هذه القطة ماذا تريد أهي مريضة؟! وبعد عناء فهم الرجال أنها جائعة وعطشى فأعطوها الماء والطعام فالتهمته بسرعة فأدرك الرجال أن عندهم نعمة كانوا لا يفهمونها قبل هذا اليوم وهي نعمة الكلام واللسان والإشارة فهذه القطة لم تكن تملك لا الكلام ولا الإشارة فحمدوا الله وسجدوا شكرًا له.

الأب: وكم من نعم يا أحبائي لا نراها ولا نتذكرها فنحن نعجز أن نُحصي نعم الله علينا.

---

(١) سورة النحل: الآية: (١٤).

فمن نعمه الليل والنهار والسماء والأرض والشمس والقمر والشجر والبحر. . . و. . . . . و. . . . . و. . . . . و. . . . .

وفجأة طرق الباب فقطع الأب كلامه وقام بسرعة ليفتح الباب فإذا بالجد يدخل عليهم مسروراً وفجأة وجد الجد جميع الأبناء يسجدون في اتجاه القبلة فتعجب ثم قال لهم: لماذا تسجدون؟

فردّوا: لأننا تذكرنا نعمة الله علينا إذ لنا جد طيب مثلك يزورنا ويأتي لنا بالحلوى فأردنا أن نسجد لله شكرًا على هذه النعمة.

فضحك الجد وأقبل عليه الأولاد يأخذون منه الحلوى اللذيذة [١].

علمتني أمي

لقد علمتني أمي الكثير والكثير فهي بحق مدرسة عظيمة وإني أدين لها بالكثير فكم غرست فيّ من بذور الحب والعلم والخير وسَقَتْ هذا الغرس وتعهدته ضد الأخطار التي تهدده حتى أثمر خير الثمار.

أحبك يا أمي. . . أشكرك يا أمي.

وكان مما علمتني أمي. . . .

كانت أمي دائمًا على لسانها كلمة الحمد لله، فإذا طلع الصباح نظرت إلى نوره وقالت: الحمد لله وإذا أقبل الليل نظرت إلى ظُلمته وقالت: الحمد لله.

وإذا رأت القمر قالت: الحمد لله، وإذا رأت الأرض وما عليها من الزروع قالت: الحمد لله، وإذا نزل المطر قالت: الحمد لله، بل والأعجب من هذا كله أنها أيضًا إذا أصابها مكروه كأن وقع منها شيء فانكسر أو أصابها مرض قالت: الحمد لله. . . فألح عليّ سؤال لماذا تكثر أمي من

---

(١) الشكر/ د. إبراهيم الشربيني (ص: ٥-٨).

قول: «الحمد لله» أليس هناك ذكر لله غير هذا الذكر؟

وفي يوم سألتها عن سر هذا فأجابتني وقالت: يا ولدى إني أحمد الله عندما يطلع النهار وأحمده عندما يأتي الليل لأن الليل والنهار من نعم الله التي تستحق أن نشكر الله عليها.

فعندما أرى نور الصباح أتذكر نعمة الضوء وأنه فيه ينشط العباد ويسعى الناس في العمل ليأتوا بالرزق وتخرج العصافير من أعشاشها لتأتي لصغارها بالطعام... فالصباح وقت العمل.

أما عندما أرى الليل أتذكر نعمة الله إذ جعل لنا الظلام لنرتاح وننام بعد العمل طوال النهار.

فلو كان اليوم كله نهارًا لما ارتحنا ولما نمنا ولتعبنا ولم نستطع الحياة.

ولو كان اليوم كله ليلاً لما استطعنا العمل ولاحتجنا إلى الضوء ولما استطعنا الحياة أيضًا، فالحمد لله أن جعل الليل والنهار وجعلهما يتعاقبان.

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[1].

وإذا رأيت الأنهار تذكرت نعمة الماء (العذب) الذي نشرب منه ونتوضأ منه وإذا نزل المطر تذكرت نعمة السحاب وأن الله جعل هذا المطر يسقى الزرع فيكبر ويحصده الناس ويأكلونه.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[2] (المزن: السحاب)، (أجاجًا: مالحًا).

ولهذا يا ولدي أحمد الله على هذه النعم إن الحمد يا ولدى سر المزيد.

الابن: وكيف يا أمي يكون الشكر سر المزيد؟!!

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الواقعة: الآيات: (٦٨-٧٠).

الأم:يا ولدى لقد قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(١) فإذا أردت أن يزيدك الله من نعمه فاشكره عليها فتحصل على مزيد ومزيد من النعم ويبارك الله لك في النعم التي أعطاها لك.

الابن:ولكن كيف أشكر الله على هذه النعم العظيمة؟

الأم:يا ولدى فعندما يطلع النهار وتتذكر أنه نعمة أنعم الله عليك بها فتطيعه في النهار ولا تعصيه فهذا شكر نعمة النهار وكأن تعود المرضى وتتصدق على المحتاجين.

وإذا جاء الليل تذكرت أنه نعمة فقمت بالليل تصلى لله شكرا على نعمته ولم تعصه بالليل لأنه يراك.

فإذا قمت من نومك حمدت الله أنك قمت وعادت إليك الحياة بعد نومك لأن النوم هو موت، فقلت: «الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وهكذا يا عزيزى تستعمل النعم فيما يحبه الله ويرضاه فهذا شكر النعم.

الابن: ولكنك يا أمى تشكرين الله إذا أصابك ما تكرهين أيضًا؟

الأم: نعم يا ولدى لأنى أتذكر أن الله رحمنى إذ لم يصبنى ضرٌّ كبير.

فإذا مرضت تذكرت من هو أكثر منى مرضًا وتذكرت نعمة الدواء.

وإذا جرحتنى السكين تذكرت من ليس له يد أصلاً.

وإذا انكسر منى كوب تذكرت نعمة الله إذ أنعم علىّ بأكواب كثيرة فانكسر منها واحد فقط.

فالحمد لله يا ولدى في السراء والضراء.

يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك(٢).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٧)

(٢) الشكر (ص: ٩-١١).

المؤمن يرى نعمة الله عليه في كل شيء

المؤمن عميق الإحساس بما لله عليه من فضل عميم وإحسان عظيم، ونعم تحيط به عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته. إنه يشعر بنعمة الله عليه منذ كان في المهد صبيًا، بل منذ كان في بطن أمه جنينًا،... كان صبيًا وليدًا لا سن له تقطع، ولا يد له تبطش، ولا قدم له تسعى، فأجرى الله له عرقين رقيقين في صدر أمه يُجريان لبنًا خالصًا، كامل الغذاء، دافئًا في الشتاء، باردًا في الصيف، وألقى الله محبته في قلب أبويه، فلا يطيب لهما طعام ولا شراب، ولا يهنأ لهما نوم ولا عيش، حتى يكفياه ما أهمَّه ويدفعا عنه كل سوء.

وكان في بطن أمه جنينًا، فجعل الله له قرارًا مكينًا، هيأ له فيه أسباب الغذاء والدفء والتنفس، وجعل له متكئًا عن يمينه ومتكئًا عن شماله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[1].

المؤمن يشعر بنعمة الله عليه في كل شيء حوله، ويرى في كل ذرة في الأرض أو في السماء منحة من الله له، تيسر له معيشته، وتعينه على القيام برسالته في الحياة، إنه يرى نعمة الله في هبة الريح، وسير السحاب، وتفجر الأنهار، وبزوغ الشمس، وطلوع الفجر، وضياء النهار، وظلام الليل، وتسخير الدواب، وإنبات النبات.

ولنقرأ في مثل هذا قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[2][3].

---

(١) سورة المرسلات: الآيات: (٢٠-٢٣).

(٢) سورة لقمان: الآية: (٢٠).

(٣) الإيمان والحياة (ص: ١٣٠-١٣١).

سيد الشاكرين ﷺ

وإذا كان حديثنا عن الشكر فلا نستطيع أن ننسى سيد الشاكرين محمد ابن عبد الله ﷺ.

* لقد كان محمد رسول الله أشد الناس إحساسًا بنعمة الله وفضله في كل شئونه، ولذا تراه إذا تناول طعامه - وإن كان من خشن الخبز وجاف الشعير - يتناوله تناول الراضي الشاكر.

* كان إذا أكل أو شرب قال: «الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوَّغه وجعل له مخرجًا»[(١)].

وفي رواية: كان إذا قُرب إليه طعامٌ قال: «بسم الله»، فإذا فرغ قال: «اللهم إنك أطعمت وسقيت، وأغنيت وأقنيت، هديت واجتبيت، اللهم فلك الحمد على ما أعطيت»[(٢)].

وكان إذا رُفعت مائدتهُ قال: «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله الذي كفانا وآوانا، غيرُ مكفي ولا مكفور، ولا مودع، ولا مُستغنى عنهُ ربنا»[(٣)].

وكان إذا أتاهُ الأمرُ يسرهُ قال: «الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحاتُ، وإذا أتاهُ الأمر يكرههُ قال: الحمدُ لله على كل حال»[(٤)].

وكان إذا استجد ثوبًا يقولُ: «اللهم لكَ الحمد، أنت كسوتنيه، أسألُك من خيره، وخير ما صُنع لهُ، وأعوذ بك من شره، وشر ما صُنع لهُ»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٥١) كتاب الأطعمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٥ - ٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٨٤٩١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٧٦٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٤٥٩) كتاب الأطعمة.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٨٠٢) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٦٥).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٢٠) كتاب اللباس، والترمذي (١٧٦٧) كتاب اللباس، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٦٦٤).

* وكان إذا عطس حمد الله فيقال له: «يرحمك الله فيقول: يهديكم ويُصلح بالكم» (١).

* وكان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي له» (٢).

* وكان لا يقوم من مجلس إلا قال: «سبحانك اللهم ربي وبحمدك لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك، قال: لا يقولُهن أحدٌ حيث يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان منه في ذلك المجلس» (٣).

* وكان إذا قفل من غزو، أو حج، أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض، (ثلاث تكبيرات)، ثم يقولُ: «لا إله إلا الله وحده لا شريك لهُ، لهُ المُلك، ولهُ الحمدُ وهُو على كل شيء قديرٌ آيبُون تائبون، عابدُون ساجدون، لربنا حامدُون، صدق الله وعدهُ ونصر عبدهُ، وهزم الأحزاب وحدهُ» (٤).

فهذا هو شعور المؤمن دائماً، شعور الذاكر لنعمة الله، الشاكر لفضل الله ﴿ وما بِكُم مِّن نِّعمةٍ فمِن اللهِ ﴾ (٥) ﴿ وإن تعُدُّوا نِعمت اللهِ لا تُحصُوها ﴾ (٦).

ولا عجب أن كانت أول آية في كتاب الله الخالد - بعد البسملة - آية تُشعر المؤمنين أبداً بنعمة الله وإحسانه وتوجههم إلى حمده وشكره، تلك هي آية فاتحة الكتاب. ﴿ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ﴾ (٧) ولا غرو أن جعل الإسلام تلاوتها فريضة يومية يكررها المسلم كل يوم ما لا يقل عن سبع

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٢٢٤) كتاب الأدب.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٥) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٣٣) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٨٦٧).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٩٧) كتاب الحج، ومسلم (١٣٤٤) كتاب الحج.

(٥) سورة النحل: الآية: (٥٣).

(٦) سورة إبراهيم الآية: (٣٤).

(٧) سورة الفاتحة: الآية: (٢)

عشرة مرة في صلواته الخمس[1].

* وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ إني والله لأحبك، أوصيك يا معاذ: لا تدعنَّ في دُبُر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[2].

* وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه قالت عائشة: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غُفِر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً»[3] ؟!.

* وكان من دعائه: «ربِّ أعني ولا تُعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسر هُداي إليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ. اللهم اجعلني لك شاكراً لك ذاكراً»[4].

سليمان (عليه السلام) ... الغني الشاكر

وسأحدثكم عن نبي الله سليمان (عليه السلام) الغني الشاكر الذي استعمل نعم الله في طاعته ومرضاته.

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

---

(1) الإيمان والحياة (ص: ١٣٥).

(2) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٢) كتاب الصلاة، والنسائي (١٣٠٣) كتاب السهو، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٩٤٩).

(3) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٣٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٢٠) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(4) صحيح: رواه أبو داود (١٥١٠) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٥٥١) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٣٠) كتاب الدعاء، وأحمد (١٩٩٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في ظلال الجنة (٣٨٤).

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾(١).

لقد سار الموكب «موكب سليمان» من الجن والإنس والطير في ترتيب ونظام يُجمع آخره على أوله وتضم صفوفه حتى أتوا على وادٍ كثير النمل «وادى النمل» فقالت نملة باللغة المتعارفة بينها وبين النمل: ادخلوا مساكنكم كي لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم.

ومملكة النمل مملكة دقيقة التنظيم تتنوع فيها الوظائف وتؤدى كلها بنظام عجيب فأدرك سليمان ما قالت النملة لأن الله أنعم عليه بفهم لغة النمل وكثير من الحيوانات. فأول ما خطر على باله أن هذه نعمة من الله يجب عليه شكرها ولم يخطر بباله أن يتكبر بهذا الْمُلك أو يقول: ﴿ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾(٢) أو ينكر فضل الله بل لقد علم سليمان أن السياج الواقى للنعم الذى يحافظ عليها من الزوال هو «الشكر».

فسرعان ما نظر بقلبه إلى الله الذى أنعم عليه بهذه النعمة الخارقة فاتجه إلى ربه فى إنابة وتوسل ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾(٣).

ومعنى أوزعنى: أى اجمع يا رب جوارحى وقلبى ولسانى ومشاعرى وخواطرى كلها... اجمعنى كُلِّى واجمع كل طاقاتى لتكون كلها فى شكر نعمتك.

لقد أدرك سليمان أن شكر النعمة ليس فقط بقول «الحمد لله» وإنما الشكر يكون باللسان والجوارح والقلب.

ثم قال: ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾(٤) وذلك لأن الله يوفق من يشكر نعمته للعمل الصالح... فحتى العمل الصالح نعمة من الله يستحق الشكر عليها.

---

(١) سورة النمل- الآيات: (١٦-١٩).

(٢) سورة القصص: الآية: (٧٨).

(٣)، (٤) سورة النمل: الآية: (١٩).

﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ فهو يعلم أن الصلاح رحمة ونعمة لا يعطيها أحد إلا الله فيتضرع إلى ربه الذى أنعم عليه وسخَّر له الجن والإنس والطير ليتم عليه نعمته بالصلاح.

لقد كان سليمان خائفًا من أن يقصر فى شكر الله على هذه النعم العظيمة... وهذا دفعه أن يشكر الله بكل ما يملك ودائمًا كان يرى النعمة اختبارًا من الله لعبده فإن شكرها حفظ الله له هذه النعمة وإن كفرها وجحدها أخذها الله منه.

ولهذا قال سليمان: ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[1].

ولهذا جازاه الله من جنس عمله وأعطاه مُلكًا لا ينبغى لأحد من بعده أى لن يكون لأحد من بعده مُلك مثله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[2].

فاستجاب الله لدعاء هذا الشاكر وسخر له الرياح فكان يأمرها أن تحمله إلى مكان بعيد ثم تعيده فى لمح البصر فتطيعه وسخر الله له الجن والشياطين منهم من يغوص لقاع البحر فيأتى له بالكنوز ومنهم من يبنى له القصور وعلَّمه الله لغة الطير والحيوانات والحشرات.

وليس عجيبًا أن يكون سليمان بهذا الشكر لربه وأبوه داود عليه السلام يقول لرب العالمين: يا رب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة تستوجب شكرًا فقال: الآن شكرتنى يا داود... فلقد أدرك داود أنه حتى توفيق الله لعباده الشكر هذه نعمة يستحق الله أن يُشكَر عليها.

فطوبى للشاكرين... طوبى للشاكرين[3].

---

(١) سورة النمل: الآية: (٤٠).

(٢) سورة ص: الآية: (٣٥).

(٣) الشكر (ص: ٣١).

الشكر بالقلب واللسان والجوارح

حبايبي الحلوين: والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

* فأما الشكر بالقلب: فيكون ذلك بأن تعترف بقلبك بأن هذه النعم من عند الله وأنها تستوجب الشكر لله (جلَّ وعلا).

* وأما الشكر باللسان: فيكون ذلك بأن تتحدث بنعم الله عليك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1].

* وأما الشكر بالجوارح: فيكون ذلك بأن تستعمل تلك الجوارح في طاعة الله (جلَّ وعلا)... كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[2].

ولنذكر جميعًا قول الحبيب ﷺ: «احفظ الله يحفظك»[3]. فالإنسان لا يعرف قدر النعمة إلا بعد زوالها ولذلك كان الحبيب ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوُّل عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك»[4].

وقال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرًا أعلنته وإن رأيت بهما شرًا سترته، قال فما شكر الأذنين قال: إن سمعت بهما خيرًا وعيته وإن سمعت بهما شرًا دفعته. قال فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقًّا لله هو فيهما، قال: فما شكر البطن؟ قال أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا.

* * *

---

(١) سورة الضحى: الآية: (١١).

(٢) سورة سبأ: الآية: (١٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٩) كتاب الذكر والدعاء.

الكون كله يعجز عن تحقيق الشكر لله

إن الكون كله بكل ما فيه من الإنس والجن والملائكة والجماد والنبات والدواب والطيور لو اجتمعوا على قلب رجل واحد ليشكروا الله على نعمة واحدة لعجزوا عن أداء شكرها فكيف بسائر النعم.

قال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(2).

ولذلك كان الحبيب ﷺ إذا أراد أن يثني على الله (جل وعلا) كان يقول: «.. لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(3).

* وقال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها؛ إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة»(4).

* وعن ابن غنام - عبد الله - عن رسول الله ﷺ: «من قال حين يُصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر؛ إلا أدَّى شكر ذلك اليوم»(5).

* وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض»(6).

---

(1) سورة إبراهيم الآية: (٣٤).

(2) سورة لقمان. الآية: (٢٠).

(3) صحيح: رواه مسلم (٤٨٦) كتاب الصلاة.

(4) حسن: رواه ابن ماجه (٣٨٠٥) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٥٦٢).

(5) حسن: رواه أبو داود (٥٠٧٣) كتاب الأدب، وحسنه الحافظ ابن حجر.

(6) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

* وعن أبي يحيى صهيب بن سنان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[(١)].

المعاصي تزيل النعم وتمحق البركة

حبايبي الحلوين: لا بد أن تعلم أن المعاصي تُزيل النعم الحاضرة وتحجب النعم الآتية.. فإذا أراد الله أن يحفظ نعمته على عبده ألهمه أن يكون مطيعاً لله بهذه النعمة.

وإذا أراد الله زوال نعمته عن عبده تركه يرتع في الذنوب والمعاصي حتى تزول عنه هذه النعمة.

* ولا بد أن نعلم أن المعاصي تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل والطاعة... فهي تمحق بركة الدين والدنيا.

* وقد علمنا كيف أن قارون لما تكبر وعصى الله ولم يشكره على هذه النعم... عاقبه الله عقاباً شديداً فقال: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾[(٢)].

* وكذلك قوم سبأ الذين رزقهم الله من كل أصناف النعم فلم يشكروا الله على هذه النعم فقلب الله تلك النعم التي كانوا يتمتعون بها عذاباً عليهم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد.
(٢) سورة القصص: الآية: (٨١).
(٣) سورة سبأ: الآيات: (١٥-١٧).

* وفي سورة النحل ضـرب الله المثل بتلك القرية التي كـفرت بنعم الله فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[1].

* فهيا - يا حبايبي - نتذكر نعم الله علينا ونقول الآن: الحمد لله.

* * *

---

(١) سورة النحل: الآية: (١١٢).







النصيحة



النصيحة

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن تتحلى به... ألا وهو خُلق النصيحة.

فالمسلم لا بد أن يحب الخير لإخوانه ولا بد أن يحرص على جلب المنافع لهم ودفع المصائب عنهم... وهنا يأتي دور هذا الخُلق العظيم - ألا وهو النصيحة -.

فإذا جاءك جارك أو صاحبك أو قريبٌ لك يستشيرك في أي أمر من أمور دينه أو دنياه فلا بد أن تقدم له النصيحة الخالصة دون غشٍ أو خداع.. فتنصحه بما فيه مصلحته فهذا حق من حقوق إخوانك عليك.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق النصيحة.

مكانة النصيحة في الإسلام

إن النصيحة لها مكانة عظيمة في دين الله - جل وعلا- وذلك لما يترتب عليها من صلاح المجتمع ونقائه وطهارته.

ومن المعلوم أن بذل النصيحة من أعظم مقومات ترسيخ الأخوة الإيمانية في المجتمع المسلم وبخاصة إذا كانت النصيحة خالصة لوجه الله وخرجت برحمة وحنان وبصورة تجعل الإنسان يشعر بحرص إخوانه على إيصال الخير إليه.

* ومن أجل مكانة النصيحة في دين الله - جل وعلا- جعلها النبي ﷺ عماد الدين وقوامه فقال ﷺ: «الدين النصيحة»[1].

---

(1) صحيح: رواه مسلم (٥٥) كتاب الإيمان، من حديث تميم الداري رضي الله عنه، ورواه البخاري معلقًا باب الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين.

ولقد كان النبي ﷺ دائمًا يبذل الوصية والنصيحة لأصحابه ﷺ وللأمة من بعدهم.

* فهذا رجل يأتيه ويقول للنبي ﷺ: أوصني فيقول له: «أوصيك أن تستحي من الله تعالى، كما تستحي من الرجل الصالح من قومك»(١).

ويقول ﷺ لرجل آخر: «أوصيك أن لا تكون لعانًا»(٢).

ويقول لرجل آخر: «أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض»(٣).

وفي رواية: «أوصيك بتقوى الله تعالى، في سر أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن، ولا تسألن أحدًا شيئًا، ولا تقبض أمانة، ولا تقض بين اثنين»(٤).

بل عندما طلب الصحابة أن يوصيهم وصية مودع قال لهم ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أُمِّر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٥).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٦/ ٦٩)، من حديث سعيد بن يزيد الأزدي ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٧٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٥٥ - ٢٠) أول مسند البصريين، من حديث جُرْمُوز الهُجَيْمي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٢٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٣٦٥) باقي مسند المكثرين، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٥٥).

(٤) حسن: رواه أحمد (٢١٠٦٣) مسند الأنصار ﷺ، من حديث أبي ذر ﷺ، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٤٤).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، والترمذي (٢٦٧٦) كتاب العلم، وابن ماجه (٤٢) في مقدمة سننه، والدارمي (٩٥) في مقدمة سننه، وأحمد (١٦٦٩٤) مسند الشاميين، من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

- وجاءت وصيته ﷺ بالجار فقال ﷺ: «أوصيكم بالجار»[١].

ولا عجب في ذلك فلقد أوصاه جبريل (عليه السلام) بالجار كثيراً...

قال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٢].

- بل وجاءت وصية النبي ﷺ بأصحابه ﷺ فقال ﷺ: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم...»[٣].

وقال ﷺ: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[٤].

* هكذا كان النبي ﷺ يتعهد أصحابه وأمته بالوصية والنصيحة فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع خُلق من أخلاق الرسول ﷺ عسى الله أن يرزقنا صحبته في الجنة.

بذل النصيحة من صفات الأنبياء

ولقد كان الأنبياء يبذلون النصيحة لقومهم من أجل أن يأخذوا بأيديهم إلى طاعة الله -جل وعلا-.

قال تعالى مخبراً عن نبيه نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (٨/ ١١١)، والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي أمامة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٤٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عائشة ﵂.

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢١٦٥) كتاب الفتن، وابن ماجه (٢٣٦٣) كتاب الأحكام، وأحمد (١١٥) مسند العشرة المبشرين بالجنة، من حديث عمر بن الخطاب ﵁، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٩٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥١٠) كتاب فضائل الصحابة، عن أنس ﵁.

(٥) سورة الأعراف: الآية: (٦٢).

وقال تعالى مخبراً عن نبيه هود - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(١).

وقال تعالى مخبراً عن نبيه صالح - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(٢).

* وقال تعالى مخبراً عن نبيه شعيب - عليه السلام - أنه قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾(٣).

* ووصى إبراهيم - عليه السلام - بنيه بأن يموتوا على الإسلام....

قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٤).

* بل كان الصالحون يحرصون على بذل النصيحة..

فهـا هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة ليبذل النصيحة لنبي الله موسى - عليه السلام - كما وصفه الحق -جل وعلا- فقال: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾(٥).

* * *

(١) سورة الأعراف: الآية: (٦٨).
(٢) سورة الأعراف: الآية: (٧٩).
(٣) سورة الأعراف: الآية: (٩٣).
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٣٢).
(٥) سورة القصص: الآية: (٢٠).

النبي ﷺ يبذل للأمة النصيحة الخالصة

لقد كان النبي ﷺ يتعهد أصحابه ﷺ والأمة من بعدهم بالنصح والتواصي فكان ينصح لهم ويوصيهم ويعلمهم ويوجههم.

* عن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سَرِية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً...»، الحديث [(١)].

* هكذا كان النبي ﷺ يبذل لهم النصحية والوصية الغالية... بل إنه ﷺ سأل أصحابه ﷺ في حجة الوداع فقال لهم: «وأنتم مسئولون عنى، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت [(٢)].

فشهد الصحابة أن النبي ﷺ قد بلَّغ وأدى ونصح لهم وللأمة من بعدهم... ونحن (والله) نشهد أن النبي ﷺ قد بلغ وأدى الذى عليه ونصح لنا ولم يترك خيراً إلا وقد دلنا عليه ولم يترك شراً إلا وقد حذرنا منه - بأبي هو وأمي ﷺ -.

وها هو ﷺ يعلمهم بذل النصيحة

وكان النبي ﷺ يُعَلِّمُ أصحابه وأمته من بعدهم بذل النصيحة والتواصي فيما بينهم ليسعدوا في الدنيا بطاعة الله - جل وعلا- وفي الآخرة بجنته ورضوانه - سبحانه وتعالى-.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١) كتاب الجهاد والسير.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٩٠٥) كتاب المناسك، وابن ماجه (٣٠٧٤) كتاب المناسك، والدارمي (١٨٥٠) كتاب المناسك، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود، والحديث أصله في مسلم (١٢١٨) كتاب الحج.

قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعُدْهُ وإذا مات فاتبعه»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين»[(٢)].

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «للمملوك الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي إلى سيده الذي له عليه من الحق والنصيحة والطاعة أجران»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنُصحه لم يجد رائحة الجنة»[(٤)].

مبايعة على النصح لكل مسلم

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[(٥)].

* قال الإمام النووي -رحمه الله-: ومما يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة لجرير رضي الله عنه رواها الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده، اختصارها أن جريرًا أمر مولاه أن يشتري له فرسًا، فاشترى له فرسًا بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٥٠) كتاب العتق، ومسلم (١٦٦٤) كتاب الأيمان، من حديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٥١) كتاب العتق، ومسلم (١٥٤) كتاب الإيمان، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٥٠) كتاب الأحكام، ومسلم (١٤٢) كتاب الإيمان، من حديث مَعْقِل ابن يسار المزني رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨) كتاب الإيمان، ومسلم (٥٦) كتاب الإيمان، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله. فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة، وصاحبه يرضى وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها، فقيل له في ذلك. قال: إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم[1].

نصيحة غالية من إبراهيم بن أدهم

ذهب رجل مذنب إلى رجل من الصالحين اسمه: إبراهيم بن أدهم فقال له: إني مُسرف على نفسي بالذنوب والمعاصي فأريد منك وصفة تجعلني أبتعد عن الذنوب والمعاصي.

فقال له إبراهيم بن أدهم: سأخبرك بخمسة أشياء إن فعلتها فلن تكون من العُصاة.

فقال الرجل: هات ما عندك يا إبراهيم، فقال: الأولى إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل شيئًا من رزقه، فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم، والأرزاق كلها من عند الله؟ فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل من رزقه وتعصيه؟! قال: لا يا إبراهيم هات الثانية. فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصي الله فلا تسكن بلاده، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك لله، فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه؟! قال: لا يا إبراهيم هات الثالثة فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصي الله فانظر مكانًا لا يراك فيه فاعصه فيه قال: كيف



(١) مسلم بشرح النووي (٢/ ٥٣).

تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر - يعلم السر وأخفى- ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء. فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه؟! قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني إلى أجل معدود. فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾. فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة؟! قال: نعم. هات الخامسة يا إبراهيم. فقال: إذا جاءك الزبانية -وهم ملائكة جهنم- ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا إبراهيم، أنا أستغفر الله وأتوب إليه... ولزم العبادة حتى فارق الحياة.

اقبل نصيحة إخوانك

كان ياما كان.

كان هناك ثلاثة من الأصدقاء (أحمد وفتحي وعصام) وكانوا يعيشون في مدينة جميلة تُطل على البحر مباشرة وكانت مليئة بالحدائق والبساتين.

وكان الثلاثة مجتهدين في الدراسة ومتفوقين.

وفي نهاية كل أسبوع يخرجون سويًا في نزهة لتجديد النشاط مرة أخرى فيرجعوا إلى دراستهم في غاية التركيز والنشاط.

وفي يوم من الأيام خرجوا لنزهة جميلة إلى إحدى حدائق المدينة المطلة على البحر.. وأخذوا معهم الطعام والشراب والفاكهة واللعب التي سيلعبون بها.

فلما وصلوا وضعوا أغراضهم تحت إحدى الأشجار الوارفة وأخذوا يلعبون ويمرحون في الحديقة.

فلما حان وقت الصلاة ذهبوا إلى المسجد القريب وصلوا صلاة الظهر ثم عادوا وقد حان وقت الغداء فأخرجوا الطعام وجلسوا يأكلون الطعام الشهى الذى أعدته لهم والدة أحمد.

ولما انتهى الثلاثة من الغداء قام أحمد ونظف مكانه وكذلك فعل عصام.. أما فتحى فقد ترك بقايا الطعام فى الحديقة وقال لهما هيا بنا لنستمتع مره أخرى باللعب.

فقال له أحمد: يا فتحى. لماذا لا تنظف مكانك وتضع بقايا الطعام فى سلة المهملات؟

فتحى: لأننا بعد قليل سوف نترك هذا المكان فلا يضرنى أن المكان نظيف أو غير نظيف.

عصام: لكن هذا لا يجوز يا فتحى لأن الإسلام دين النظافة ولأنك لابد أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

أحمد: نعم يا فتحى... وكذلك لابد أن تعلم أن بقايا الطعام التى تركتها سوف تتغير رائحتها وستؤذى من سيأتى بعدنا لنفس المكان، ونحن قد جئنا لهذا المكان فوجدناه نظيفًا ولابد أن نتركه نظيفًا.

* ورغم كل هذا أصر فتحى على أن يترك بقايا الطعام.

* فقال أحمد لعصام: أنا أستطيع أن أنظف مكان فتحى وأحمل بقايا طعامه إلى سلة المهملات ولكنى أريد أن ألقنه درسًا لا ينساه أبدًا.

* وبالفعل بعد أسبوع ذهب الثلاثة كالعادة للنزهة واللعب فنزلوا فى نفس المكان ووضعوا أغراضهم تحت نفس الشجرة.

فلما أرادوا أن يلعبوا قال فتحى: هيا نذهب إلى مكانٍ آخر فإنى أشم رائحة كريهة فى هذا المكان.

أحمد: ولكن يا فتحى هذا أفضل مكان فى هذه الحديقة فكيف نتركه.

فتحى: ألا تشم هذه الرائحة الكريهة؟

أحمد: طبعًا أشمها وهى فعلاً رائحة كريهة جداً ولكنك لم تسأل نفسك عن سبب هذه الرائحة الكريهة.

فنظر فتحى فوجد أن بقايا الطعام التى تركها هنا منذ أسبوع قد تعفنت وتسببت فى هذه الرائحة الكريهة.

فقال له عصام: أرأيت يا فتحى كيف أنك حرمتنا من اللعب فى هذا المكان الجميل بسبب بقايا الطعام التى تركتها.

أحمد: بل ومن المؤكد أنك حرمت كثيراً من الناس من أن يستمتعوا بهذا المكان بسبب هذه الرائحة.

فوضع فتحى رأسه فى الأرض وقال: أنا آسف... وسوف أنظف المكان فورًا ولن أفعل ذلك أبدًا... وأنتم على حق لأنه لو فعل كل إنسان فى الأماكن العامة مثلما فعلت فلن يبقى مكان نظيف فى المدينة أبدًا.

- وبالفعل قام فتحى بتنظيف المكان وهو يشعر بالسعادة.

ثم أخذوا يلعبون ويستمتعون بهذه الحديقة الجميلة ويقولون: حقًا.. إن النظافة من الإيمان.

آداب النصيحة

وهناك آداب ينبغى أن نتحلى بها عند بذل النصيحة لمن حولنا:

(١) أن تكون النصيحة خالصة لوجه الله:

بحيث لا يرجو الناصح إلا وجه الله والدار الآخرة ولا يكون ذلك لطمع دنيوى أو لطلب الرياء والسمعة.

(٢) أن تكون عن دراية وعلم:

لأن الإنسان إذا لم يكن على علم فقد ينصح بمنكر، وقد ينهى عن

معروف، فلابد من العلم بذات الأمر الذي فيه النصيحة، وليس شرط العلم أن يكون حافظًا للقرآن الكريم كاملاً، وحافظًا للصحيحين، لا، بل المقصود هو العلم بذات الأمر المنصوح به.

(٣) أن يتحلى الناصح بخلق الرفق:

كذلك على الناصح أن يتخلق بالرفق، أي: أن تكون النصيحة في رفق ولين، وقد أمر الله تعالى باللين مع من هو أكفر أهل الأرض في زمنه (فرعون) فقال لنبيه موسى وهارون (عليهما السلام) حينما أمرهما بالذهاب إلى فرعون الطاغية المتكبر: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[١]، والنبي ﷺ يقول: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من يُحرم الرفق يحرم الخير كله»[٣].

قال ربنا - جل وعلا -: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤]، وقال - جل وعلا-: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٥]، فمن لوازم النصيحة الرفق، أن تكون رفيقًا رحيمًا في نصيحتك.

(٤) اختيار الأسلوب المناسب للنصيحة:

وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص... فبعض الناس يحتاج إلى النصيحة بشكل مباشر وبعضهم يحتاج إلى النصيحة بشكل غير مباشر كما كان النبي ﷺ يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا... أو يفعلون كذا...».

- بل وفي أكثر الأحوال يحتاج الناس إلى النصيحة من خلال القدوة

(١) سورة طه: الآية: (٤٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٢) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث جرير ابن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).

(٥) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

المتمثلة في شخص الناصح الذي يبذل لهم النصيحة.

- ولا ننسى أيضًا أن بذل النصيحة للصغير يختلف عن بذلها للكبير... وكذلك فإن بذلها لصاحب المكانة المرموقة يختلف عن بذلها للرجل البسيط.

- فالحاصل أنه ينبغي لمن يبذل النصيحة أن يتحلى بالذكاء وفقه النفس حتى يعلم متى يتكلم ومتى يصمت ومتى يبذل النصيحة بشكل مباشر ومتى يبذلها بشكل غير مباشر.

(٥) أن لا يكون الهدف منها التشهير أو الانتقاص:

فالواجب على الناصح أن يجعل المنصوح يشعر بأن المقصود إرادة الخير له... وأن تلك النصيحة ليس من ورائها أي مطمع سوى الفوز برضوان الله والحرص على جلب المنفعة لإخوانه المسلمين امتثالاً لقول سيد المرسلين ﷺ - كما عند مسلم -: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(١)].

(٦) أن تشمل النصيحة أمر الدين والدنيا:

فإذا رأيت أخاك مقصرًا في طاعة الله أو جريئًا على معصية الله -جل وعلا- فعليك أن تبذل له النصيحة بكل رحمة وحنان... وكذلك إذا رأيته مقبلاً على أمر من أمور الدنيا وعلمت أن مصلحته في أن يبتعد عن ذلك الأمر فانصحه في ذلك فإن الواجب على المسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير في أمور الدنيا والآخرة.

(٧) لا تنصح أخاك إلا سرًا:

* قال مسعر بن كدام - رحمه الله تعالى -: «رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي في سر بيني وبينه، فإن النصيحة في الملأ تقريع»[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٥) كتاب الإيمان، من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٩٠).

ولذلك قال الشافعي - رحمه الله-:

تعـهـدني بنُصـحك في انفـراد
وجنبني النصيحة في جماعه

فـإن النُصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت أمري
فلا تجزع إذا لم تُعط طاعه

وقال: «من وعظ أخاه سراً فقد وعظه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[١].

* ولذلك فينبغي أن تحرص كل الحرص على بذل النصيحة للغير سراً حتى لا تجرح مشاعره وتؤذي أحاسيسه فيكون ذلك حائلاً بينه وبين قبول النصيحة والانتفاع بها.

(٨) على الناصح أن يتخلق بخلق الصبر:

وأخيراً فإن الذي يبذل النصيحة للناس عليه أن يتحلى بالصبر وذلك؛ لأن أكثر الناس لا يستجيبون في التو واللحظة بل إن بعضهم قد يسمع النصيحة فلا يستجيب لها إلا بعد سنوات ولذلك فعلى الناصح أن يعلم يقيناً أنه ليس عليه إلا البلاغ أما الهداية فلا يملكها أحد إلا الله -جل وعلا- فقد قال تعالى للحبيب محمد ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢].

- ونحن نعلم أن النبي ﷺ عُرضت عليه الأمم فرأى النبي ومعه الرهيط ورأى النبي ومعه الرجل والرجلان ورأى النبي وليس معه

---

(١) مقدمة المجموع شرح المهذب (١/ ٣١).
(٢) سورة القصص: الآية: (٥٦).

أحد[1]... أي: لم يؤمن معه من قومه أحد.

- بل ونحن نعلم أيضًا كيف تحمل النبي ﷺ الأذى من مشركي قريش وغيرهم وكيف أنهم دبروا المؤامرات تلو المؤامرات لقتل الحبيب محمد ﷺ ومع ذلك كان يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[2] بل وعند فتح مكة لم ينتقم من أهل مكة ولم يعلق لهم المشانق بل قال لهم بلسان الرحمة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[3].

ثمرة غالية

وها هي ثمرة غالية من ثمرات بذل النصيحة ألا وهي أن العبد إذا دل الناس على أي خير فله مثل أجرهم دون أن ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

* قال ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[4].

وقال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم، مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[5].

وقال ﷺ: «**ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم**[6]»[7].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٥٢) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٧٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٧٩٢) كتاب الجهاد والسير، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه البيهقي في الكبرى (٩/١١٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٩٣) كتاب الإمارة، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٤) كتاب العلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) حُمْر النَّعَم: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

من فوائد النصيحة والتواصي

وإليكم تلكم الباقة العطرة من فوائد النصيحة والتواصي:

(١) النصيحة لُب الدين وجوهر الإيمان.

(٢) دليل حب الخير للآخرين، وبغض الشر لهم.

(٣) تكثير الأصحاب إذ إنه يؤمَن منه الجانب، وتقليل الحُسَّاد، إذ إنه لا يحب لغيره الشر والفساد.

(٤) صلاح المجتمع إذ تُشاع فيه الفضيلة، وتُستر فيه الرذيلة.

(٥) إحلال الرحمة والوداد مكان القسوة والشقاق.

(٦) الاشتغال بالنفس لاستكمال الفضائل من تمام النصح.

(٧) بيان خطأ المخطئ في المسألة والمسائل - وإن كرهه- من النصيحة الواجبة لا من الغيبة المحرمة.

(٨) من قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والتقريع.

(٩) في التواصي بالحق وبالصبر ونحوهما ما يكفل حياة مستقرة للمجتمع الإسلامي.

(١٠) في الأخذ بوصية الله - عز وجل - ووصية رسوله ﷺ صلاح حال الفرد والمجتمع معًا.

(١١) للوصية الصادقة تأثير بالغ في النفس وهي دافع قوي لتنفيذ الموصى به.

(١٢) الوصية وسيلة من وسائل التقوى والتذكر والتعقل[١].

وأخيرًا: فإني أسأل الله -جل وعلا- أن يرزقنا الرفق والرحمة في نصح الناس من حولنا وأن يرزقنا الإخلاص في الأمور كلها... إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) نضرة النعيم (٨/ ٧-٣٥).





الإخلاص



الإخلاص

حبايبى الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخلاق الرسول ﷺ يجب أن نتحلى به.. ألا وهو خُلق الإخلاص.

* وما أجمل أن يكون المسلم مُخلصًا لله (جلَّ وعلاَ) فى جميع أقواله وأفعاله وأن يزهد فى ثناء الناس ومدحهم.

* وكيف لا يريد المسلم بعمله وجه الله وهو يعلم أن الناس جميعًا لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون له موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

* ولذا فإنه يجب علينا جميعًا أن نجعل حياتنا كلها خالصة لوجه الله تعالى ممتثلين قول الله (جلَّ وعلا): ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق الإخلاص عسى الله أن يحشرنا فى زُمرة المخلصين.

نعمة الإخلاص

ابنى الحبيب: لا بد أن تعلم أن الله (عزَّ وجلَّ) لا يقبل أى عمل بغير إخلاص فقد قال النبى ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغى به وجهه»[2].

فإذا صليت أو صُمت أو فعلت أى طاعة ولم يكن عملك ابتغاء مرضاة الله وإنما كان من أجل الفوز بمدح الناس وثنائهم فإن الله لا يقبل هذا العمل أبدًا.

* ومن أجل ذلك لا بد أن نستحضر النية الصالحة قبل أى عمل أن هذا

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان (١٦٢-١٦٣).

(٢) سبق تخريجه.

العمل ابتغاء مرضاة الله (جلَّ وعلا).

* فالنية الصالحة بالنسبة للعمل الصالح كالروح بالنسبة للجسد فلا ينفع قول ولا عمل إلا بنية صالحة وموافقة للسنة.

* وقد يتحصل الإنسان على الأجر والثواب العظيم بسبب النية الصالحة وإن لم يعمل أي شيء.

قال ﷺ: «... إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله تعالى علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادقُ النية، يقولُ: لو أنَّ لي مالاً، لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواءٌ...»[1].

* وتخلَّف رجال من الصحابة في غزوة تبوك لم يكن عندهم زاد ولا راحلة... حبسهم العذر، ولم يكن عند النبي ﷺ ما يحملهم عليه، فبكوا بكاء الرجال شوقًا إلى الغزو فعلم الله نيَّاتهم، فشاركوا الغزاة في الأجر، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[2].

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في غزاة، فقال: «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم»[3]، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»[4].

* بل قد يظفر العبد بمنازل الشهداء إن سأل الله الشهادة بصدق حتى

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٢٢٨) كتاب الزهد، وأحمد (١٧٥٧٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٩٢).

(٣) في رواية الإسماعيلي كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٦/٤٧): «إلا وهم معكم فيه بالنية»، وفي حديث جابر عند مسلم (١٩١١): «إلا شركوكم في الأجر» أي: أن لهم من الأجر مثل أجر الغازي.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٤٢٣) كتاب المغازي.

وإن مات على فراشه.

* عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجلَّ: إذا تحدث(٢) عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها»، وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به - فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرَّاي»(٣)(٤).

* وإذا كان القلب في الدنيا هو محل النية فهو في الآخرة محل الحساب... ولذلك فسوف يُبعث كل عبدٍ على نيته ويحاسبه الله (جلَّ وعلا) على هذه النية.

* عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه»(٥).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث الناس على نياتهم»(٦).

وقال ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد، فأُتي به، فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدت،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.

(٢) أي: «همَّ» كما في الرواية الأخرى، وفي رواية ثالثة: «أراد».

(٣) أي: من أجلي.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٢٩) كتاب الإيمان.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها وأحمد (١٤١٣٤).

(٦) صحيح: رواه أحمد في مسنده (٨٨٤٦) عن أبي هريرة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع رقم (٨٠١٤).

قال: كـذبت، ولكنك قـاتلت ليقـال جريء، فقـد قيل، ثم أُمـر به فسُـحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه، فعـرفها، قال: فما عـملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقـال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فـقد قيل، ثم أمر به فـسُحب على وجهـه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المـال كله، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعـرفها، قال: فما عملت فـيها؟ قال: مـا تركت من سبيل تُحب أن ينفق فيـها إلا أنفقتُ فيـها لك، قال: كـذبت ولكنك فعلتَ ليقـال: هو جواد، فقـد قيل: ثم أمر به فـسُحب على وجهه، ثم أُلقي في النار»[1].

* بل إن الخلود في الجنة أو في النار يكون بسبب النيات.

* قـال الحسـن: «إنما خُلِّد أهـل الجنة في الجنة، وأهل النـار في النار، بالنيات»[2].

* قد يقول قائل: لِمَ يعذِّب الله الكافر بالخلود في النار مُدداً لا نهاية لها مع أن العدل يقتضي أن يعـذبه بمقدار المدة التي كفرها؟ ولِمَ يُخلَّد المؤمن في الجنة مع أنه لم يؤمن ولم يطع إلا مدة محدودة من الزمان، بل قد يسلم لله قبل الغرغرة ويدخل في الإسلام ويموت ولم يسجد لله سجدة واحدة؟

والسبب في ذلك أن المؤمن ينوي أن يطيع الله أبـداً، فجـوزي بالخلود جزاء نيته، والكافر كان عازمًا وناويًا الكفر أبداً فجوزي بنيته[3].

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[4].

* * *

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥ - ١٩) كتاب الإمارة.
(٢) الإحياء (٤/ ٣٦٧).
(٣) انظر «الأشباه والنظائر» للسيوطي ص(١١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٥٥٦).
(٤) سورة الأنعام: الآية: (٢٨).

الإخلاص فى الكتاب والسنة

حبايبي الحلوين: ولقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة التى تحضنا على إخلاص النية لله (جلّ وعلا) فى كل أقوالنا وأعمالنا.

* قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾(١).

* وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(٢).

* وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾(٣).

* الأحاديث الواردة فى فضل الإخلاص:

وقد جاء فى سنة الحبيب ﷺ الأحاديث الكثيرة التى تحض على الإخلاص لله - جل وعلا- فى كل شىء.

قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(٤).

* وعن أبى الدرداء رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما ابتُغى به وجه الله»(٥).

---

(١) سورة الزمر: الآيات: (٢-٣).

(٢) سورة البينة: الآية: (٥).

(٣) سورة الزمر: الآية: (١١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٩٠٧) كتاب الإمارة، من حديث عمر ابن الخطاب.

(٥) حسن لغيره: رواه الطبرانى فى مسند الشاميين (١/٣٥٣)، قال المنذرى فى الترغيب والترهيب (١/٢٤): بإسناد لا بأس به، وقال العلامة الألبانى رحمه الله فى «صحيح الترغيب» (١/١٠٧): حسن لغيره، من حديث أبى الدرداء

* وقال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغي به وجهه»(١).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه - أو نفسه -»(٢).

* وعن أبي فراس - رجل من أسلم - قال: نادى رجل فقال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: «الإخلاص»، وفي لفظ آخر قال: قال رسول الله ﷺ: «سلوني عما شئتم» فنادى رجل: يا رسول الله: ما الإسلام؟ قال: «إقام الصلاة وإيتاء الزكاة». قال: فما الإيمان؟ قال: «الإخلاص». قال: فما اليقين؟ قال: «التصديق»(٣).

من جعل نيته لعمل الآخرة فاز في الدنيا والآخرة

* قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾(٤).

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم همًا واحدًا همَّ المعاد؛ كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في

(١) حسن: رواه النسائي (٣١٤٠) كتاب الجهاد، من حديث أبي أمامة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٥٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٩٩) كتاب العلم، وله رواية أخرى مثلها إلا قوله: «خالصًا من قلبه - أو نفسه» فقيه: «خالصًا من قبل نفسه» (٦٥٧٠) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه البيهقي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (٣).

(٤) سورة الإسراء: الآيات: (١٨-١٩).

أحوال الدنيا؛ لم يبال الله فى أى أوديته هلك»(١).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه، جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»(٢).

نصيحتى لأحبابى

أخى الحبيب: اعمل الخير والطاعة ابتغاء مرضاة الله ولا تغتر بمدح الناس فإن الناس لن ينفعوك أو يضروك إلا بإذن الله (جلَّ وعلا).

* احرص كل الحرص على أن تُخفى أعمالك الصالحة عن أعين الناس قدر استطاعتك.. حتى لا تغتر بمدحهم فيخرج الإخلاص من قلبك.

لقد كان الواحد من سلفنا الصالح يُخفى قيامه بالليل حتى عن زوجته لكى لا يعرف أحدٌ أنه يصلى قيام الليل.

وكان الرجل منهم يصلى فى المسجد ويبكى من خشية الله ودموعه على خده ولا يدرى به صاحبه الذى بجواره.

وكما كان الواحد من سلفنا الصالح يُخفى صلاته وصدقته فإنه كان أيضًا يُخفى صيامه.

صام داود بن أبى هند أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدَّق به فى الطريق، ويرجع عشيًا فيُفطر معهم، فيظن أهلُ السوق أنه قد أكل فى البيت، ويظنُّ أهله أنه قد

---

(١) حسن لغيره: رواه ابن ماجه (٢٥٧) عن ابن مسعود، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى «صحيح الترغيب» (٣١٧١) وقال: حسن لغيره.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى «صحيح الجامع» (٦٥١٠).

أكل في السوق[١].

* ولقد كان الواحد منهم يخفي الصدقة التي يتصدق بها.

* ولقد ذكر الحبيب المصطفى ﷺ هؤلاء السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فكان من بينهم: «... ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

* فهذا زين العابدين علي بن الحسين - رحمه الله - يقول عنه أبو حمزة الثمالي: «كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدَّق به، ويقول: إن صدقة السرِّ تطفئ غضب الرب - عزَّ وجلَّ -».

* وقال عمرو بن ثابت: «لما مات علي بن الحسين، فغسَّلوه؛ جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره، ويُعطيه فقراء أهل المدينة».

* ولقد كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين»[٢].

* وهذا حالهم مع قضاء حوائج المسلمين:

لقد حثنا النبي ﷺ على قضاء حوائج المسلمين وإدخال السرور عليهم فقال ﷺ: «من نفَّس عن مؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا نفَّسَ الله عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستَر مسلمًا، ستَره الله في الدنيا والآخرة، والله في عَونِ العبد، ما كانَ العبدُ في عونِ أخيه.....»[٣].

وقال ﷺ: «أحبُّ الناسِ إلى الله أنفعهم، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرور تُدخلهُ على مسلم، أو تكشف عنهُ كربةً، أو تقضي عنهُ دينًا، أو تطردُ عنهُ

(١) صفة الصفوة (٣/ ٣٠٠).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ١٣٥-١٣٦) بتصرف.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

جوعًا، ولأنْ أمشيَ معَ أخي المسلمِ في حاجة أحبُّ إليَّ من أنْ أعتكفَ في المسجد شهرًا، ومنْ كفَّ غضبهُ، سترَ الله عورته، ومنْ كظمَ غيظًا، ولوْ شاءَ أنْ يمضيه أمضاهُ، ملأ الله قلبهُ رضىً يومَ القيامة، ومنْ مشى معَ أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبتَ الله تعالى قدمهُ يومَ تزولُ الأقدامُ، وإنَّ سوءَ الخلق ليُفسدُ العملَ، كما يفسدُ الخلُّ العسلَ»[1].

- ولكن مع ذلك لابد أن يكون العمل خالصًا لوجه الله.

* قال طلحة بن عبيد الله: «خرج عمر رضي الله عنه ليلة في سواد الليل، فدخل بيتًا، فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مُقعدة، فقلتُ لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت: إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا، يأتيني بما يُصلحني، ويُخرج عني الأذى، فقلتُ لنفسي: ثكلتك أمُّك يا طلحة، أعثرات عمر تتَّبع؟!!»[2].

لا تنشغل إلا برضوان الله

أراد جحا أن يُعلم ابنه درسًا غاليًا وهو أن الإنسان لا ينبغي أن يشغل نفسه بإرضاء الناس لأنه لن يستطيع أن يرضي كل الناس.. بل عليه أن يشغل نفسه بإرضاء رب الناس (جل وعلا).

فقال جحا لابنه ذات يوم: يا بني أحضر الحمار حالاً.

فقال: لماذا يا أبي؟

قال جحا لابنه: سنذهب به إلى القرية المجاورة.

قال ابنه: لماذا سنذهب به إلى القرية المجاورة.

قال جحا: افعل ما أمرتك به، وستعرف عندما نذهب.

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ١٣٩)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» ص (٤٧)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١٧٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ١٤٠).

أحضر الابن حماراً وقال جحا: اركب أنت يا بُنى على الحمار، وسوف أمشى أنا.

فركب الابن على ظهر الحمار ومشى جحا وراءه.

وفى الطريق رآهما جماعة من الناس، فصاحوا وقالوا: أيها الولد... كيف تركب أنت وتترك أباك يمشى على قدميه؟!

فنظر الولد إلى أبيه جحا وقال له: اركب أنت يا أبى على الحمار، وسوف امشى أنا.

فركب جحا ونزل الولد.

فصادفهم جماعة أخرى.. فقالوا: ما هذا يا جحا ألا يوجد فى قلبك رحمة، كيف تركب أنت وتترك ابنك الصغير يمشى وراءك والجو حار هكذا؟!

قال جحا لابنه: أسمعت؟... هيا نركب معًا...

وبالفعل ركب جحا وابنه على ظهر الحمار...

فمرا على جماعة من الناس كانوا يجلسون تحت ظل شجرة..

فنظروا إلى جحا بغضب شديد وقالوا له: أتركب أنت وابنك على هذا الحمار الضعيف، ألا يوجد فى قلبك رحمة؟!

فنزل جحا وابنه من على الحمار..



فقال جحا لابنه: الأفضل يا بنى أن نترك الحمار يمشى أمامنا ونمشى نحن خلفه. . .

فقابلهما جماعة أخرى من الناس، فقالوا: انظروا. . . جحا وابنه يمشيان ويتركان الحمار يمشى أمامهما. . .

فكيف يمشيان والجو شديد الحر هكذا، يا له من رجل مجنون!.

وهنا قال جحا لابنه: يا بنى إنك لن تتمكن أبدًا من إرضاء الناس جميعًا مهما فعلت. . .

فقال ابنه: عندك حق يا أبى . . . فقد تعلمت الدرس. . فحقًا لن أتمكن من إرضاء كل الناس.

قال جحا: إذن هيا بنا نعود إلى قريتنا.

كيف تكون مخلصا؟

ابنى الحبيب: وقد يخطر على بالك هذا السؤال: كيف أكون مخلصًا؟

* **وها أنا أصف لك الطريق إلى الإخلاص:**

* **الاستعانة بالله (جلّ وعلا):**

* وأول خطوة للوصول إلى طريق الإخلاص: الاستعانة بالله.

ومع أن الوصول للإخلاص ليس بالسهل اليسير ولكنه مع ذلك سهل يسير على من يسره الله عليه.

- وكما قال النبي ﷺ: «... **إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**» [1].

- فما عليك إلا أن تسأل الله - عزّ وجلّ - أن يرزقك الإخلاص وأن يُجنبك الرياء.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٧٥٨)، (٢٨٠٠) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

* معرفة الإخلاص وثمراته:

ولكي تكون مخلصًا لا بد أن تتعرف على ثمرات الإخلاص حتى تكون حريصًا على الفوز بتلك الثمرات.

* قراءة سير المخلصين:

فإن قراءة سير المخلصين تجعل المسلم في غاية الشوق لأن يكون مثلهم فيفعل مثلما فعلوا ليفوز برضوان الله كما فازوا.

* التفكر في زوال الدنيا وسرعة فنائها:

فأنت حينما تعلم أن الدنيا دار ممر وليست بدار مقر وأنها ستزول... وأن النعيم الحقيقي لن يكون إلا في جنة الرحمن (جلَّ وعلا) فإنك بذلك تزهد في نعيم الدنيا وكل ما فيها من المال والمنصب والشهرة وتطمع في أن تفوز برضوان الله وجنته.

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١].

* صحبة المخلصين:

* قال رسول الله ﷺ: «أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله تعالى»[٢].

قال جعفر بن سليمان: «كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع»[٣].

---

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٢) صحيح: رواه الحكيم الترمذي (٤/ ٨٠) . وابن المبارك (١/ ٧٢)، ورواه ابن جرير في التفسير (١١/ ١٣٢)، وابن المبارك (١/ ٧٢) كلاهما عن سعيد بن جبير، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦)، وقال: عن سعيد بن جبير أو ابن المسيب، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٥٨٧).

(٣) «السير» (٦/ ١٢٠).

* قال ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة»[1].

صاحب أهل الإخلاص وصافهم، واستفد من أخلاقهم وأوصافهم، واسكن معهم بالتأدب في دارهم، وإن عاتبوك فاصبر ودارِهم.

* محاسبة النفس ومجاهدتها:

مما يدفع الرياء والهوى ويبعده... أن يحاسب المرء نفسه، يحاسبها قبل أن يقدم على العمل، وينظر في هَمِّه وقصده.

* قال الحسن: «كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة تَثَبَّت؛ فإن كانت لله أمضاها، وقال: رحم الله عبدًا وقف عند همه، فليس يعمل عبد حتى يهم، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر».

* الحرص على إخفاء الأعمال:

قال قتادة: كان يقال: قَلّما سهر الليل منافق.

وقال الإمام أحمد: لا رياء في الصوم.

- ومن ثم فكثرة الصيام والقيام تدريب عملي على الإخلاص.

* الخوف من سوء الخاتمة وعذاب القبر:

إذا علم المرء أن النَّفَس قد يخرج ولا يعود، وأن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي الله عز وجل، وأن الموت نازل به لا محالة، وأنه يحشر ويبعث على نيته فيخشى أن يفضحه رياؤه وميراثه يوم موته.

* قال ﷺ: «يبعث الناس على نياتهم»[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٠١) كتاب البيوع، ومسلم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٢٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٢٧٩).

* وقال ﷺ: «يُبعث كل عبد على ما مات عليه»(١).

وفى القبر يأتى الرياء والعمل الخبيث ممثلاً فى رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول للمرائى: أبشر بالذى يسوؤك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: وأنت فبشرك الله بالشر مَن أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فجزاك الله شراً، وأما المخلص فيأتيه إخلاصه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرُّك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذى كنت تُوعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فجزاك الله خيراً.

* استحضار مشاهد يوم القيامة:

فإن العبد إذا استحضر كل مشاهد يوم القيامة وتخيل كيف أن الناس يُحشرون يوم القيامة حُفَاة عُراة غُرلاً وأنهم يقفون فى أرض المحشر سنوات طويلة تتفاوت من عبدٍ لآخر حتى إن بعضهم ليقف فى أرض المحشر خمسين ألف سنة . . . وأن الشمس تدنو فوق الرؤوس حتى تكون كمقدار ميل وأن كل عبدٍ يفيض عرقه على قدر ذنوبه فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه أو إلى ركبتيه أو إلى حِقويه ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا . . . وأنه يُؤتَى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فلا يبقى ملَكٌ مُقرب ولا نبىٌ مُرسَل إلا جثى على ركبتيه وقال: يا رب سلِّم سلِّم . . . وأن العبد سيقف بين يدى الله - جل وعلا - ليسأله عن كل أعماله وأقواله . . . وأن العبد سيمر من على الصراط المنصوب على متن جهنم . . . إلى آخر تلك الأهوال.

إذا استحضر العبد كل هذه المشاهد فإنه لا ينشغل قلبه لحظة واحدة

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

بالمخلوقين ومدحهم وثنائهم وإنما ينشغل قلبه برضوان الله ورحمته . . .
ومن ثَم فإنه يُخلص النية في كل عمل يعمله لله وحده.

* الخوف من عذاب النار:

* وقد علمنا أن أول من تُسعر بهم النار: ثلاثة وهم: قارئ القرآن والمتصدق والمجاهد.

وذلك لما أرادوا المدح والثناء ولم يريدوا بعملهم وجه الله.

* التفكر في نعيم الجنة:

ابني الحبيب . . ابنتي الغالية:

أي نعيم في الدنيا يجعلنا ننسى نعيم الجنة ونضحي بالنعيم الكامل واللذة التي لا تنقطع في جنة عرضها السماوات والأرض أعدها الله - جل وعلا - لعباده الصالحين.

* فإذا أراد العبد بعمله المدح والثناء من الناس فهل يملك له الناس جنة أو نارًا . . . إذًا فلماذا لا يريد العبد بعمله وجه الله - جل وعلا-.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الجنة بناؤها لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها[2] المسك الأذفر[3]، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران[4]، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.
(٢) ملاطها: ما يوضع بين الأحجار في البناء.
(٣) الأذفر: الطيب الريح.
(٤) الزعفران: نوع من أنواع الصبغة.

تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم»[(١)].

* وقال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرِّي في السماء إضاءة: لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرُهم الأُلُوَّة - عود الطيب - أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء»[(٢)].

وفي رواية للبخاري ومسلم: «آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مُخ سُوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض: قُلُوبهم قلب رجل واحد، يُسبحون الله بكرة وعشيًا»[(٣)].

* وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا»[(٤)].

«الميل»: ستة آلاف ذراع.

* وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المُضمر السريع مائة سنة ما يقطعها»[(٥)].

* وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٢٥) كتاب صفة الجنة، وأحمد (٧٩٨٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

* الزمرة: الجماعة. ليلة البدر: من الإضاءة والإشراق. مجامرهم: مباخرهم. الألوة: عود يتبخر به. الرشح: العرق. على صورة: على هيئة.

(٣) انظر التخريج السابق.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٨٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

أهلُ الجنة الجنة ينادي منادي: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا وإن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدًا»[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «القاب قوسٍ في الجنة خيرٌ مما تطلع عليه الشمس أو تغرب»[2].

* وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة سُوقًا يأتونها كل جمعة. فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسنًا وجمالاً. فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حُسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حُسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً»[3].

* وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة. يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أُعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[4].

* وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٧٩٣) كتاب الجهاد والسير.

* قاب قوس: قدر ما بين المقبض والسية من القوس.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

* إن في الجنة سوقًا، أي: مجتمعًا يجتمعون فيه كما يجتمع الناس في الدنيا في أسواقها، يأتونها كل جمعة، أي: في مقدار كل جمعة، أي: أسبوع. «وريح الشمال»: هي التي تهب من دبر القبلة، وبها يأتي المطر.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

القمر ليلة البدر، وقال: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته»[1].

* وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تُريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

* * *

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢/ ٥٥٤/فتح) مواقيت الصلاة - ومسلم (٦٣٣) المساجد.

* لا تُضامون: لا يحصل لكم ضيق ولا مشقة . . . . والمراد نفي الازدحام.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان / باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه.

(٣) سورة يونس: الآيتان: (٩ ، ١٠).

الحلم والرفق



الحلم والرفق

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أعظم أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن تتحلى به . . . ألا وهو خلق الحلم والرفق .

* ولا بد أن تعلم أن الحلم والرفق من الأخلاق السامية التي يفتح الله بها القلوب ويُلين بها الأفئدة . . . ولذا كان ينبغي على كل مسلم أن يتحلى بهاتين الصفتين ليفتح الله بهما القلوب فإن قلوب العباد تميل إلى صاحب القلب الرحيم الذي يرفق بكل من حوله . . . وتنأى وتبتعد عن صاحب القلب الغليظ الذي لا يرحم مَن حوله ولا يرفق بهم ولا يحلم عليهم .

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق الحلم والرفق .

الرفق كله خير

ابني الحبيب: لا بد أن تعلم أن الرفق كله خير .

فاحرص على أن تتعامل مع كل من حولك باللين والرفق ولا تتعامل معهم بالشدة والعنف . . . فإن الناس يحبون من يرفق بهم وإن الرفق يجعل المجتمع خاليًا من العنف . . . بل إن الرفق يجعلك تفوز بكل خير في الدنيا والآخرة .

فكن رفيقًا مع الوالدين والأقارب ومع إخوانك وجيرانك وأصحابك وكل من حولك لتعيش في سعادة غامرة فتكون من الفائزين في الدنيا والآخرة .

* * *

الرفق يعين على حصول المقصود

فإن كنت رفيقًا حصلت على ما تريد وإن لم تكن رفيقًا خسرت كل شيء.

وذلك أن تعلم أن الطريق الضيق بين جدارين، الذي لا يتسع إلا لمرور سيارة واحدة فحسب، لا تدخلها هذه السيارة إلا برفق من قائدها وحذَرٍ وتوقٍّ، بينما لو أقبل بها مسرعًا وأراد المرور من هذا المكان الضيق لاصطدام يمنةً ويسرة وتعطلت سيارته، والطريق لم يزد ولم ينقص، والسيارة هي هي، لكن الطريقة هي التي اختلفت، تلك برفق وهذه بشدة. والشجرة الصغيرة التي تغرسها في حوض فناء أحدنا، إذا سكَبْتَ عليها الماء شيئًا فشيئًا تشرب منه وينفعها، فإذا أخذت كمية من هذا الماء بعينه وحَجْمه وألقيتَه دفعة واحدة لاقتلعت هذه النبتة من مكانها، إن كمية الماء واحدة ولكن الأسلوب تغيَّر.

إن من يخلع ثوبه برفق يضمن سلامة ثوبه، خلاف من يجذبه بقوة ويسحبه بسرعة، فإنه يشكو من تقطع أزراره وتمزقه.

ومن اللطائف في انكشاف عدم صدق إخوة يوسف في مجيئهم بثوبه، وزعمهم أن الذئب أكله: أنهم خلعوا الثوب برفق فلم يحصل فيه شقوق، ولو أكله الذئب كما زعموا لَمزَّق الثوب كلَّ ممزَّقٍ، ولم يخلعه خلعًا.

إن حياتنا تحتاج إلى رفق، نرفق بأنفسنا: «**وإن لنفسك عليك حقًّا**»(١). نرفق بإخواتنا: «**إن الله رفيق يحب الرفق**»(٢). نرفق بالمرأة: «**رفقًا بالقوارير**(٣)»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٩٦٨) كتاب الصوم، من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) القَوارير: النساء، وشبّههن بالزجاج لضعفهن.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٦١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٣) كتاب الفضائل، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، بلفظ: «رويدك» بدلاً من: «رفقًا».

على الجسور الخشبية التي بناها الأتراك على ممرات الأنهار، مكتوب في أول الجسر: رفقًا رفقًا؛ لأن المارَّ بهدوء لا يسقط، أما المسرع فجدير أن يهوى إلى مستقر النهر.

وفي مذكرات لأديب سوري كان يسكن في مدينة «السلمية»، وله درَّاجة نارية، أراد أن يعبر بها على جسر بناه الأتراك من الخشب على النهر، وهم بنوه لمن أراد أن يمشي بدراجته متئدًا متأنيًا، قال هذا الرجل: فذهبتُ مسرعًا على جسري، فلما أصبحتُ من أعلى الجسر متوسِّطًا النهر، نظرتُ يمنة ويسرة، وأنا لم أرفق بنفسي ولا بدراجتي فاضطربت بي، واختلَّ نظري، فوقعتُ بدراجتي في النهر ... وكانت قصة طويلة.

إن على مداخل حدائق الزهور والورود في بعض مدن أوروبا: لوحةٌ مكتوب فيها: «تَرَفَّق»؛ لأن الداخل مسرعًا لا يرى ذاك النبت الجميل ولا يضمن سلامة ذاك الورد الباهي، فيحصل الدعس والدفس والإبادة؛ لأنه ما رفق ولا تأنَّى.

هناك معادلة تربوية تقول: إن العصفور لا يترفَّق كالنحلة. وفي الحديث: «المؤمن كالنحلة، تأكل طيبًا وتضع طيبًا، وإذا وقعت على عُود لم تكسره»[1]. فالنحلة لا تُحِسُّ بها الزهرة أبدًا، وهي تلعق الرحيق بهدوء، وتنال مطلوبها برفق. والعصفور على ضآلة جسمه يخبر الناس بنزوله على سنابل، فإذا أراد النزول سقط سقوطًا، ووثب وثبًا.

ولا أزال أذكر قصة الرسَّام الهندي، وقد رسم لوحة بديعة الحسن، ملخَّصها: سنبلة قمح عليها عصفور قد وقع، وهذه السنبلة مليئة بالحَبِّ، مترعرعة النمو، باسقة الطول، وعلَّقها المَلِك على جدار ديوانه، ودخل الناس يهنِّئون الملك بهذه اللوحة ويشكرون الرسَّام على حسنها، ودخل رجل

(١) حسن: رواه البيهقي في الشعب (٥/٥٨)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٥٦)، عن ابن عمرو ﷺ، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٨٤٦).

فقير مغمور في وسط الزحام فاعترض على اللوحة، وأخبر أنها خطأ، وضجَّ الناس به؛ لأنه خالف الإجماع، فاستدعاه الملك برفق، وقال: ما عندك؟ قال: هذه اللوحة خطأ رسمها، وغلط عرضها. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ الرسام رسم العصفور على السنبلة وترك السنبلة مستقيمة ممتدة، وهذا خطأ، فإن العصفور إذا نزل على سنبلة القمح أمالها، وأخضعها؛ لأنه ثقيل لا يملك الرفق. قال الملك: صدقتَ. وقال الناس: صدقتَ. وأنزل اللَّوحة، وسُحبت الجائزة من الرسام.

إن الأطباء يُوصون بالرفق في تناول العلاج، وفي مداولة العمل والأخذ والعطاء.

إن العَجَلة والهوج والطيش في أخذ الأمور وتناول الأشياء، كَفِيلةٌ بحصول الضرر وتفويت المنفعة؛ لأن الخير بُني على الرفق، «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع الرفق من شيء إلا شانه[1]»[2].

إن الرفق في التعامل تُذعن له الأرواح، وتنقاد له القلوب، وتخشع له النفوس.

إن الرفيق من البشر مفتاح لكل خير، تستسلم له النفوس المستعصية، وتثوب إليه القلوب الحافدة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[3][4].

* * *

(١) شانه: قبّحه وعيّبه.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) سورة آل عمران: الآية: (١٥٩).
(٤) لا تحزن (ص: ٤٦٨- ٤٧١).

الحضُّ على الحلم والرفق من القرآن والسُّنة

حبايبي الحلوين: تعالوا بنا لنرى كيف حضَّنا القرآن الكريم والسنة المباركة على التحلي بالحِلْم والرفق.

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (٤).

* وأما عن الأحاديث التي تحضُّ على الحِلْم والرفق فهي كثيرة ولكن سأكتفي بذكر بعضها عسى الله (عز وجل) أن ينفعنا بها.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»(٥).

* وعنها أن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف وما لا يُعطي على ما سواه»(٦).

* وعنها أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»(٧).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٩٩).

(٣) سورة فصلت: الآيتان: (٣٤، ٣٥).

(٤) سورة الشورى: الآية: (٤٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب.

(٧) صحيح: وقد تقدم.

* وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تُعسروا، وبشروا ولا تُنفروا»[(١)].

* وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يُحرم الرفق يُحرم الخير كله»[(٢)].

* عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق».

وفي رواية: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق»[(٣)].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: «لا تغضب» فردَّد مراراً، قال: «لا تغضب»[(٤)].

* (عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرةً، ورفعت إلى فيها [(٥)] تمرةً لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار»)[(٦)].

* (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم[(٧)] والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩) كتاب العلم، ومسلم (١٧٣٤) كتاب الجهاد والسير، واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٢) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٦-٢٣٩) باقي مسند الأنصار، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢١٩).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦١١٦) كتاب الأدب.

(٥) فيّ: فم.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٩٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٣٠) كتاب البر والصلة والآداب، واللفظ له.

(٧) السُّقم: المرض - والسقيم: أي المريض.

فليطول ما شاء»[١].

* ويخبر النبي ﷺ عن هذا الأجر العظيم لكل من كان رفيقًا بإخوانه المسلمين ويسعى في تفريج همومهم.

* (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّس[٢] عن مؤمن كربة[٣] من كرب الدنيا؛ نَفَّس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومَن يَسر على معسر؛ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَنْ ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»)[٤].

* بل ويخبر النبي ﷺ أن الله قد حرَّم على النار كل عبدٍ رفيق رحيم بمن حوله.

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمَنْ تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هيِّن سهل»[٥].

* ومن ثمَّ فقد بشَّر النبي ﷺ كل عبدٍ رفيق بجنة عرضها السماوات والأرض.

* (عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خُطبته: «...وأهل الجنة ثلاثة: ذو سُلطان مقسط[٦] متصدقٌ موفقٌ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف[٧] متعفف ذو عيال...»)[٨].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٣) كتاب الأذان، ومسلم (٤٦٧) كتاب الصلاة.

(٢) نفَّس: فرَّج وخفَّف.

(٣) الكُرْبة: الضيق والشدة والغم الذي يأخذ بالنفس.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٣٩٢٨) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٣٨).

(٦) القسْط: العدل.

(٧) التعفف: الكفُّ عن الحرام وسؤال الناس.

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

صور من رفق النبي ﷺ

وإن كان حديثنا عن الحِلْم والرفق فلا نستطيع أن ننسى أبدًا صاحب القلب الرحيم الرفيق الذي علّم الكون كله كيف يكون الحِلْم والرفق.

- وإذا أردت أن أسلط الأضواء على صور من حِلْم النبي ﷺ ورفقه فإنني سأحتاج إلى سرد سيرته العطرة من أولها لآخرها ولكن حسبنا أن نُلقي الضوء على بعض تلك المواقف العطرة.

* (عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في نفر[1] من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلةً وكان رحيمًا رفيقًا فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: «ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلُّوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم»)[2].

* (عن عائشة رضي الله عنها أن يهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: السام[3] عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال: «مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش». قالت: أوَ لم تسمع ما قالوا؟ قال: «أوَ لم تسمعي ما قُلت رددت عليهم فيُستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيَّ»)[4].

* (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله ﷺ: «دَعُوه وأَهْرِيقوا[5] على بوله ذنوبًا من ماء أو سجلاً[6] من ماء فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا مُعسرين»)[7].

(١) النَّفَر: جماعة من الرجال دون العشرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٨) كتاب الأذان، ومسلم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) السَّام: الموت.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٣٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

(٥) أهرق: أراق وأهدر.

(٦) السجل: الدلو المملوءة الكبيرة.

(٧) صحيح: رواه البخاري (٦١٢٨) كتاب الأدب.

* (عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين»[١] فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»)[٢].

* (عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز[٣] مما أعلم من شدة وجد[٤] أمه من بكائه»)[٥].

* (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَدِمَ الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله إن دوسًا عصت وأبت فادع الله عليها، فقيل هلكت دوس. قال: «اللهم اهد دوسًا وأت بهم»)[٦].

* (وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)[٧].

---

(١) الأخشبين: جبلين بمكة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (١٧٩٥) كتاب الجهاد والسير.

(٣) التجوز: التخفيف.

(٤) وَجْد أمه: حزنها.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩) كتاب الأذان، ومسلم (٤٧٠) كتاب الصلاة.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٣٧) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٥٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٣٥٦٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل.

سلفنا الصالح .... وحالهم مع الحلم والرفق

* (عن علي بن الحسين رضي الله عنه أن رجلاً سبه فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم... فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعده عن الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى مدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير)[1].

* (قال لقمان الحكيم: «ثلاثة لا يُعرفون إلا عند ثلاثة: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه»)[2].

* (قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى»)[3].

مجالات الرفق

الأصل أن يكون الرفق في كل شيء ومع كل الناس حتى تتفتح القلوب وتُقبل على طاعة الله - جل وعلا -... لكن حسبُنا أن نُسلط الأضواء على بعض الأشياء التي ينبغي أن يكون الرفق فيها واضحًا جليًا.

* **الرفق بالوالدين:**

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

---

(١) الإحياء (٣/ ١٧٨).
(٢) الإحياء (٣/ ١٧٩).
(٣) الإحياء (٣/ ١٧٨).

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك ﴾ [٢].

* (وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله») [٣].

* (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي [٤] ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكًا، فيشتريه، فيعتقه») [٥].

* (وعنه رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أمك» قال: ثم مَنْ؟ قال: «أبوك») [٦].

* (وعنه عن النبي ﷺ قال: «رَغِم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة») [٧].

* الرفق بالأقارب:

قال تعالى: ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ [٨].

* وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم

---

(١) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٣، ٢٤).
(٢) سورة لقمان: الآية: (١٤).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٧) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٨٥) كتاب الإيمان.
(٤) لا يوفيه حقه.
(٥) صحيح: رواه مسلم (١٥١٠) كتاب العتق.
(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٧١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٤٨) كتاب البر والصلة والآداب.
(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥١) كتاب البر والصلة والآداب.
(٨) سورة النساء: الآية: (١).

الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[١].

* وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم[٢]، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل[٣] من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾»[٤].

وفي رواية للبخاري: فقال الله تعالى: «من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»[٥].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ[٦]، ولا يزال معك من الله ظهير[٧] عليهم ما دمت على ذلك»[٨].

* وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ[٩] له في أثره، فليصل رحمه»[١٠].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٣٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان.

(٢) الرَّحم: القرابة.

(٣) الصلة: البر وحسن المعاملة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٨٧) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٤) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٥٩٨٨) كتاب الأدب.

(٦) «تسفهم» بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء. و«المل» بفتح الميم، وتشديد اللام وهو الرماد الحار أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه، والله أعلم.

(٧) ظهير: أي: نصير ومعين ودافع للأذى.

(٨) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٩) أي: يظل ذكره بين الناس حتى بعد وفاته.

(١٠) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٨٦) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة والآداب.

ومعنى «ينسأ له في أثره»: أي: يؤخر له في أجله وعمره.

* الرفق بالزوجة والأولاد:

قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (١).

*وعن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً ...» (٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقًا، وخياركم خياركم لنسائهم» (٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» (٤).

* الرفق بالجيران:

قال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (٥).

* وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» (٦).

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٩).

(٢) حسن: رواه الترمذي (١١٦٣) كتاب الرضاع، وابن ماجه (١٨٥١) كتاب النكاح، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٨٨٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (١١٦٢) كتاب الرضاع، وأحمد (٧٣٥٤) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٢٣٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٩٩٥) كتاب الزكاة.

(٥) سورة النساء: الآية: (٣٦).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٥) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٢٥) كتاب البر والصلة والآداب.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[1][2].

وفي رواية لمسلم: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[3].

* وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره»[4].

* وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»[5].

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره»[6].

* **الرفق بالضعفاء والمرضى:**

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم»[7].

* **الرفق في الدعوة إلى الله:**

* قال تعالى لموسى وهارون - عليهما السلام -: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[8].

---

(١) البوائق: الشرور والمصائب.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٦) كتاب الأدب.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٤٦) كتاب الإيمان.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان، واللفظ للبخاري.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤٨) كتاب الإيمان.

(٦) صحيح: رواه الترمذي (١٩٤٤) كتاب البر والصلة، والدارمي (٢٤٣٧) كتاب السير، وأحمد (٦٥٣٠) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٠٣).

(٧) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك (٢/٦٠٥)، والبيهقي في الشعب (٧/٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢١١٢).

(٨) سورة طه: الآيات: (٤٢- ٤٤).

قال الإمام العلامة ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

«هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتوّ والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أُمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين.

* الرفق في التعليم:

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بيْنا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: وا ثكل أُمياه ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكتُّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه فوالله ما كهرني[1] ولا ضربني ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[2].

* فتأمل معي كيف كان رفق النبي ﷺ بأصحابه إذا أراد أن يُعلمهم ويوجههم... وأفعل كما كان النبي ﷺ يفعل فهو الأسوة والقدوة.

* الرفق بالرعية:

«من الواجب على الولاة والحكام أن يرفقوا بالرعية، ولا يشقوا عليهم، فالرفق بهم حكمة رفيعة في السياسة.

قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[4].

---

(١) كهرني: زجرني وعبس في وجهي.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) سورة الشعراء: الآية: (٢١٥).

(٤) سورة النحل: الآية: (٩٠).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»(١).

* وعن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه، أنه قال لمعاوية رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلَّتهم وفقرهم، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة» فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلُّه: إمام عادل......»(٣).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»(٤).

* وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم»(٥).

* الرفق بالأسير:

ولم يقتصر الرفق في الإسلام على المسلمين فحسب بل امتد الرفق ليشمل الأسير الذي يحارب المسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٨) كتاب الإمارة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٢٩٤٨) كتاب الخراج والإمارة والفيء، والترمذي (١٣٣٢) كتاب الأحكام، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٥٩٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) كتاب الإمارة.

(٥) رواه مسلم (١٨٥٥) كتاب الإمارة.

فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾ [1].

* الرفق حتى بالدواب:

ويصل الرفق فى ظل هذا الدين حتى إلى الدواب.

* (عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»)[2].

* (عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى[3] من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه[4]، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله وإن لنا فى البهائم أجراً. فقال: «فى كل ذات كبد رطبة[5] أجر»)[6].

* (عن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة[7]، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة»)[8].

---

(١) سورة الإنسان: الآيات: (٨- ١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٥٥) كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان.

(٣) الثرى: التراب الرطب.

(٤) بفيه: بفمه.

(٥) كبد رطبة: كل ما له روح.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٦) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٢٤٤) كتاب السلام.

(٧) المعجمة: التي لا تنطق.

(٨) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٤٨) كتاب الجهاد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣).

من فوائد الرفق

(١) طريق موصل إلى الجنة.

(٢) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٣) يُثمر محبة الله ومحبة الناس.

(٤) يُنمي روح المحبة والتعاون بين الناس.

(٥) دليل على صلاح العبد وحسن خُلُقه.

(٦) يُنشئ مجتمعًا سالمًا من الغِلّ والعنف.

(٧) عنوان سعادة العبد في الدارين.

(٨) الرفق يزين الأشياء.

(٩) رفق الوالي بالرعية مدعاة لأن يرفق الله بالرعية.

(١٠) حظ الإنسان من الخير هو بمقدار حظه من الرفق.

(١١) الرفق بالحيوان في إطعامه أو ذبحه من مظاهر الإحسان.

(١٢) الرفق دليل على فقه الرجل وأناته وحِكمته[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) نضرة النعيم (٦/٢١٦٨).

اليقين والتوكل



اليقين والتوكل

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به... ألا وهو خُلق اليقين والتوكل.

* والتوكل يا حبايبي هو أن نأخذ بأسباب النجاح والتفوق في كل شيء وفي نفس الوقت لا تتعلق قلوبنا بتلك الأسباب... بل تتعلق قلوبنا بالله (جلَّ وعلا) لأنه هو القادر وحده على أن يجعل تلك الأسباب نافعة لنا في حياتنا وفي آخرتنا.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا مع نعمة اليقين والتوكل.

هذا هو التوكل

حبايبي الحلوين: أريد أن أقرب لكم معنى التوكل حتى تكونوا جميعًا من المتوكلين على رب العالمين (جلَّ وعلا).

أريد من كل واحدٍ منكم أن يعلم يقينًا أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأكرمنا وأنعم علينا بنعمٍ كثيرة لا تُعد ولا تُحصى.

* فإذا أراد أحدكم أن ينجح فلا بد أن يذاكر ومع ذلك يتوكل على الله ويعلم أن التوفيق من عند الله... وإذا أراد أن يكون ماهرًا في أي هواية فعليه أن يتعلم جيدًا ومع ذلك يتوكل على الله لأن الله هو الذي سيوفقه لأن يكون ماهرًا في تلك الهواية.

ومن أراد أن يفعل أي شيء يعود بالخير عليه أو على أسرته أو بلده فعليه أن يأخذ بالأسباب ومع ذلك يملأ قلبه يقينًا وتوكلاً على الله حتى ييسر له كل شيء.

بين التوكل والتواكل

إن الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النجاح لله تعالى والثقة بأنه عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملاً، هو من التوكل المأمور به، أما القعود عن الأسباب وعدم السعي فليس من التوكل في شيء وإنما هو اتكال أو تواكل حذرنا منه رسول الله ﷺ، ونهى عن الأسباب المؤدية إليه، مصداق ذلك ما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ! تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قال معاذ: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله عز وجل ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا» قال: قلت: يا رسول الله! أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا»[1]، وهنا يضع الرسول ﷺ قاعدةً جليلة، هي أن كل ما يؤدي إلى ترك العمل أو ما يكون مظنة للاتكال أو التواكل ليس من التوكل في شيء[2].

النبي ﷺ يعلم الأمة نعمة التوكل

وها هو الحبيب ﷺ يُعلم الأمة نعمة التوكل على الخالق -جل وعلا-.

* عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو[3] خماصاً[4] وتروح[5] بطاناً[6]»[7].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٥٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٣٠) كتاب الإيمان.

(٢) نضرة النعيم (٤/١٣٧٨ـ ١٣٧٩).

(٣) الغدوة: الخروج أول النهار.

(٤) الخمص: الجوع.

(٥) ترجع آخر النهار.

(٦) شبعانة.

(٧) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٤٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٦٤) كتاب الزهد، وأحمد (٢٠٥، ٣٧٢) مسند العشرة المبشرين بالجنة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣١٠).

معناه: تذهب أول النهار خماصًا: أي ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بطانًا: أي ممتلئة البطون

* بل ويأتيه رجل ومعه ناقة فيقول له: يا رسول الله أعقلها[1] وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل»[2].

* ويعلمنا الحبيب ﷺ نعمة التوكل على الله في كل شيء حتى في أمر الرزق الذي ضمنه الله لنا فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[3].

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزلت به فاقة[4] فأنزلها بالناس[5] لم تُسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله[6] فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»[7].

* وقال ﷺ: «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت»[8].

* بل يُعلِّمنا ﷺ هذا الذكر المبارك ليحفظنا الله -عز وجل- من كل سوء.

* عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال - يعني إذا خرج من بيته -: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت

---

(١) العقال: الحبل الذي تربط به الدابة.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٥١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٦٨).

(٣) سورة الذاريات: الآية: (٢٢).

(٤) الفاقة: الحاجة والفقر.

(٥) أي: طلب إزالتها من الناس بطريق الشكوى والسؤال.

(٦) أي: إزالتها من الله بالدعاء والتوكل.

(٧) صحيح: رواه أبو داود (١٦٤٥) كتاب الزكاة، والترمذي (٢٣٢٦) كتاب الزهد، وأحمد (٣٦٨٨، ٧-٤٢) مسند المكثرين من الصحابة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٨٧).

(٨) حسن: رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٩٠)، عن جابر رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٥٢).

وكُفيت ووُقيت. وتنحَّى عنه الشيطان». زاد أبو داود: «فيقول: يعني الشيطان لشيطان آخر: كيف لك برجلٍ قد هدى وكفى ووقى؟»[1].

* ويُعلِّمنا الحبيب ﷺ أن النفع والضُّرَّ بيد الله وحده:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قدْ كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام[2] وجفت الصحف[3]»[4].

* بل ويخبر الحبيب ﷺ أن التوكل ينفع العبد في دنياه وآخرته بل وينجيه من أهوال يوم القيامة بدءاً من النفخ في الصور.

* قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم[5] القرن، واستمع الإذن متى يُؤمر بالنفخ فينفخ». فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ فقال لهم: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»[6].

* * *

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٩٥) كتاب الأدب، والترمذي (٣٤٢٦) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٩٩).

(٢) كناية عن تقدير المقادير قبل الخلق.

(٣) كناية عن الفراغ من كتابة المقادير.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤) ومن مسند بني هاشم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٥) التقم: أخذ بفمه.

(٦) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٣١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (١٠٦٥٥) باقي مسند المكثرين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٩٢).

هذا هو سيد المتوكلين ﷺ

وها هى صفحة ناصعة من توكل سيد الأولين والآخرين ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهم أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا تموت، والجن والإنس يموتون»(١).

* وعن أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضل، أو أزل أو أُزل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل علىَّ»(٢).

* بل وفى حديث هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة كان معه أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال أبو بكر ـ كما فى الصحيحين ـ: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»(٣).

* ومع كل هذا اليقين والتوكل الذى امتلأ به قلب النبى ﷺ فقد كان يأخذ بالأسباب ويُعلِّم الأمة كلها أن تأخذ بالأسباب بشرط ألا تتعلق القلوب إلا بمسبب الأسباب – جل وعلا–.

ـ فها هو النبى ﷺ فى هجرته من مكة إلى المدينة يستأجر رجلاً مشركًا ليدله على الطريق بل ويخرج مختفيًا عن أعين المشركين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٨٣) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧١٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٩٤) كتاب الأدب، والنسائى (٥٤٨٦) كتاب الاستعاذة، والترمذى (٣٤٢٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٨٤) كتاب الدعاء، وأحمد (٢٦٠٧٩، ٢٦١٨٩) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن أبى داود، والمشكاة (٢٤٤٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

وفي يوم أحد كـان يقاتل ويُظاهر بين درعين. . . وكان يدخر القوت لأهله ـ صلوات ربي وسلامه عليه-.

* بل كان من أسماء رسول الله ﷺ: المتوكل. كما في الحديث: «...وسميتك المتوكل»[1] وإنما قيل له ذلك ﷺ لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره[2].

أصحاب الرسول ﷺ .. وكمال التوكل على الله

وها هم أصحاب الرسول ﷺ الذين هم أكمل المتوكلين على الله بعد الأنبياء والمرسلين.

أبقيت لهم الله ورسوله ﷺ

وها هو أبو بكر رضي الله عنه يسطر على جبين التاريخ صفحة عالية من اليقين والتوكل والبذل والعطاء

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مني مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر ـ إن سبقته يوماً ـ فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله.

قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**».

قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقك إلى شيء أبداً[3].

* * *

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢١٢٥) كتاب البيوع، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) انظر فتح الباري (٨/ ٤٥٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٦٧٨) كتاب الزكاة، والترمذي (٣٦٧٥) كتاب المناقب، والدارمي (١٦٦٠) كتاب الزكاة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٦٠٢١).

فاروق الأمة.. وتوكله على الله (عز وجل)

وها هى صورة مشرقة لفاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقينه وتوكله على الحي الذى لا يموت.

عن معاوية بن قرة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقى ناسًا من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتكلون، إنما المتوكل من يُلقى حَبَّه فى الأرض ويتوكل على الله عز وجل[1].

عكاشة بن محصن يدخل الجنة بغير حساب

وها هو صحابى جليل حقق التوكل على الله - جل وعلا- فأخبر النبى ﷺ أنه من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

* ففى الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرضت علىَّ الأمم، فرأيت النبى ومعه الرُّهيط[2] والنبى ومعه الرجل والرجلان، والنبى وليس معه أحد إذ رُفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لى: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا فى الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا - وذكروا أشياء - فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذى تخوضون[3] فيه؟» فأخبروه فقال: «هم الذين لا

---

(١) التوكل لابن أبى الدنيا (ص ٤٨) وإسناده صحيح. انظر تحقيق الدوسرى.

(٢) الرهط: الجماعة من الرجال دون العشرة.

(٣) تخوضون: تتناظرون وتتناقشون.

يسترقون[١]، ولا يتطيرون[٢]، ولا يكتوون[٣]وعلى ربهم يتوكلون» فقام عُكَّاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: «سبقك بها عُكَّاشة»[٤].

لقد نظر مخلوق إلينا نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر إلينا الخالق (جل وعلا)؟

* روى أن حاتم الأصم قال لأولاده: إنى أريد الحج... فبكوا وقالوا: إلى مَنْ تكلنا؟ وكان له ابنة مباركة قد رزقها الله بنعمة التوكل واليقين، فقالت: دعوه يذهب فليس برازق... فخرج فباتوا جياعًا فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تُخجلنى بينهم... فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لى ماء... فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماءً باردًا فشرب فقال: دار مَنْ هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم... فرمى فيها صرَّة من ذهب وقال: من أحبنى فليصنع مثلما صنعت... فرمى العسكر ما معهم من المال فى هذا الإناء فجعلت البنت تبكى فقالت أمها: ما يبكيك وقد وسع الله علينا؟... فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا نظرةً فاغتنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟!

إذا سألت فاسأل الله

كان ياما كان... يُحكى أن رجلاً أعرابيًا كان يعيش فى وسط الصحراء فى خيمة وكان فقيرًا جداً حتى أنه كان لا يكاد يجد لقمة العيش

---

(١) الرقية: تعويذ المريض بقراءة أذكار مشروعة عليه، والاسترقاء: طلب الرقية.

(٢) الطيرة: التشاؤم الذى يصد صاحبه عن العمل.

(٣) يكترون: يتداوون بالكىّ.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٠٥) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان.

هو وزوجته وأولاده.

ومع ذلك كان راضيًا عن الله لا يشتكي أبدًا.

وفي ليلة من الليالي أشعل هذا الأعرابي نارًا ليتدفأ هو وزوجته وأولاده، فقد كانت ليلة شديدة البرودة... وفجأة سمع الأعرابي صوت خيول تقترب فرأى رجلين فرحب بهما وقام على الفور إلى زوجته وطلب منها أن تُعد لهما طعامًا.

فقالت له زوجته: ليس عندنا إلا شاة واحدة نشرب كل يوم من لبنها.

فقال الأعرابي لزوجته: لابد من إكرام الضيفين فقومي واذبحي الشاة وأعدي الطعام لهما.

سمع الرجلان هذا الحديث الذي دار بين الأعرابي وزوجته، فعلما أن هذا الأعرابي لا يمتلك إلا هذه الشاة فحاولا أن يمنعاه من ذبح الشاة؛ لكن الأعرابي الكريم رفض ذلك وأصر على إكرام الضيفين.

وبسرعة شديدة قامت الزوجة وذبحت الشاة وأعدت الطعام لهما فأكلا وشربا وباتا حتى الصباح ثم انصرفا بعد أن شكرا هذا الأعرابي على كرم الضيافة وعلى حسن استقباله لهما.

وفي الصباح الباكر انصرف الرجلان بعد أن طلبا من الأعرابي زيارتهما في المدينة في أقرب وقت.

ولم يعرف الأعرابي أن الرجلين هما: حاكم المدينة ووزيره المخلص.

وبعد عدة أيام ذهب الأعرابي إلى المدينة وظل يبحث عنهما حتى وجدهما، ولكن قبل أن يكلمهما قال في نفسه: كيف أطلب المساعدة من مخلوق ضعيف ولا أطلبها من الخالق الرازق (جل وعلا) فعاد الأعرابي إلى خيمته في الصحراء وأخبر زوجته بما حدث ففرحت بزوجها الذي امتلأ قلبه باليقين والثقة في الله.

وفي ليلة من الليالي هبت ريح شديدة فحطمت الخيمة فقام الأعرابي هو

وزوجته وأولاده بالرحيل فى الصباح الباكر إلى مكان آخر.

وبينما هو يحفر ليثبت الخيمة وإذا به يجد صندوقًا كبيرًا فـفتحه فوجده مملوءًا بالذهب والفضة ففرح فـرحًا شديدًا هو وزوجته وأولاده... وقرر أن يبيع هذا الكنز وأن يبنى قصرًا كبيرًا فى المدينة.

وبنى الأعرابى قـصرًا لزوجته الصابرة ولأولاده... وسـمع الحاكم ببناء هذا القصر الكبـير فأرسل أحد جنوده ليعلم من صاحب هذا الـقصر فذهب وعاد إلى الحاكم ليخبره أن صاحب القصر رجل أعرابى كان يعيش فى خيمة فى الصحراء فعثر على كنز فبنى هذا القصر.

فذهب حـاكم المدينة ووزيره لرؤية القصر فلما رآهـما الأعرابى عرفـهما وعرف أن هذا هو الحاكم وأن الآخر هو وزيره المخلص ففرح بهذا اللقاء.

سأله الحاكم: لماذا لم تأت إلينا؟

قال الأعرابى: لقد جئت إليك ولم أعرف أنك حاكم البلاد ولكن علمت أن العبد لا ينبغى أن يتوكل عـلى غير الله فلما توكلت على الله رزقنى الله بهذا الرزق الواسع.

فرح الحاكم بـكلام الأعرابى وأخبره بأنه منذ هذه اللحظة مـن أصدقائه المقربين وقال له: لقد تعلمت منك درسًا لا أنسـاه أبدًا.

ويرزقه من حيث لا يحتسب

كان يا ما كان... كان هناك رجل ضاقت عليه ظروف المعيشة وأغلقت فى وجهه أبواب الرزق وأصبح ذات يوم هو وأهله لا شىء فى بيتهم، قال: فـبقـيت أنا وأهلـى اليوم الأول جَـوْعَى وفى الثـانى، فلمـا دنت الشـمس للمغـيب، قالت لى زوجتى: اذهب وانـطلق، والتمس لنا رزقًا أو طعـامًا، فقد أشرفنا على الموت.

قال: فتذكرت امرأة قريبة لى، فذهبت إليها وأخبرتها الخبر، قالت: ما فى بيتنا إلا هذه السمكة وقد أنتنت. قلت: علىَّ بها، فإنا قد أشرفنا على الهلاك. وذهبت بها وفتحت بطنها، فأخرجت منها لؤلؤة، بعتُها بآلاف الدنانير، وأخبرت قريبتى، قالت: لا آخذ معكم إلا نصيبى. قال: فاغتنيت فيما بعد، وأسست من ذلك بيتى، وأصلحت حالى، وتوسعت فى رزقى. فهو لطف الله سبحانه وتعالى ليس غيره.

فقد قال الله- عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

* ومن لطيف ما قرأت أن إبراهيم بن أدهم- رحمه الله- جلس يومًا ليتناول طعامه، فأقبلت عليه قطة فخطفت قطعة لحم وفرت هاربة، فقام وراءها ليراقبها فرآها تضع قطعة اللحم أمام جُحر في أعماق الأرض!! فازداد عجبه وبعد لحظات قليلة رأى ثعبانًا أعمى يخرج من هذا الجحر ليأخذ قطعة اللحم ويعود إلى جُحره مرة أخرى، فبكى إبراهيم بن أدهم ورفع رأسه إلى السماء وقال: سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضًا!!!

نعم... ما أحلى اليقين... في الرزاق ذى القوة المتين!!

إن الله - جل وعلا- يرزق الفجار والكفار. فهل ينسى مَنْ وحَّدوا العزيز الغفار؟!!

* بل تأمل معى هذه القصة فقد ذهب مجموعة من البحارة من أهل الجبيل إلى البحر، يريدون اصطياد السمك. ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهن لم يحصلوا على سمكة واحدة، وكانوا يصلون الصلوات الخمس، وبجانبهم مجموعة أخرى لا تسجد لله سجدة، ولا



تصلى صلاة، وإذا هم يصيدون، ويحصلون على طلبهم من هذا البحر، فقال بعض هؤلاء المجموعة: سبحان الله! نحن نصلى لله عز وجل كلَّ صلاة، وما حصلنا على شيء من الصيد، وهؤلاء لا يسجدون لله سجدة وها هو صيدهم!! فوسوس لهم الشيطان بترك الصلاة، فتركوا صلاة الفجر، ثم صلاة الظهر، ثم صلاة العصر، وبعد صلاة العصر أتوا إلى البحر فصادوا سمكة، فأخرجوها وبقروا بطنها، فوجدوا فيها لؤلؤة ثمينة، فأخذها أحدهم بيده، وقلَّبها ونظر إليها، وقال: سبحان الله! لما أطعنا الله ما حصلنا عليها، ولما عصيناه حصلنا عليها!! إن هذا الرزق فيه نظر. ثم أخذ اللؤلؤة ورمى بها فى البحر، وقال: يعوضنا الله، والله لا آخذها وقد حصلت لنا بعد أن تركنا الصلاة، هيا ارتحلوا بنا من هذا المكان الذى عصينا الله فيه، فارتحلوا ما يقارب ثلاثة أميال، ونزلوا هناك فى خيمتهم، ثم اقتربوا من البحر ثانية، فصادوا سمكة الكنعد، ففتحوا بطنها فوجدوا اللؤلؤة فى بطن تلك السمكة، وقالوا: الحمد لله الذى رزقنا رزقًا طيبًا. بعد أن بدؤوا يصلون ويذكرون الله ويستغفرونه، فأخذوا اللؤلؤة. اهـ.

* وها هى أختٌ فاضلة - من أخواتنا نحسبها تقية ولا نزكيها على الله - غاب عنها زوجها لسبب ما. ومرضت ابنتها الوحيدة الصغيرة مرضًا شديدًا وزادت عليها الحُمَّى فجلست إلى جوارها تبكى وتتضرع إلى الله عز وجل لأنها نامت من غير عَشاء فكيف ستأتى لابنتها بالطبيب والدواء؟!

تقول: وفى الساعة الثانية ليلاً دق الباب!!

فقلت: من؟

فقال الطارق: الطبيب!!

تقول: ففتحت الباب بعد أن ارتديت حجابى... ووالدى واقف بجوارى وأنا ارتجف فدخل الطبيب وهو يحمل حقيبته فى يده، ثم قال: أين الطفلة المريضة؟!

فقلت: ها هي!!!

فكشف عليها وكتب الدواء... ثم وقف على باب البيت ينتظر الأجر، والأم تقف في دهشة وخجل!!

ثم قال لها: أين الأجر؟!

فقالت المرأة الطيبة: لا أملك!!

فصرخ الطبيب في وجهها قائلاً: أليس عندك حياء؟!

تُخرجيني من بيتي في هذه الساعة المتأخرة، ثم تزعمين أنك لا تملكين أجر الطبيب؟!

فبكت المرأة وقالت: والله ما اتصلت عليك يا دكتور؛ لأنه لا يوجد عندي تليفون أصلاً!!!

فقال الطبيب: أليس هذا بيت فلان؟!!

قالت: لا. بل هو البيت المجاور لي مباشرة!!!

فعجب الطبيب جداً لهذا الأمر وسأل المرأة عن خبرها فأخبرته بخبرها فخرج فأحضر الدواء والطعام وما تحتاج إليه الأم وابنتها!!!

* * *

ثمرات التوكل

(١) أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٢) يجلب محبة الله تعالى ومعونته ونصره وتأييده.

(٣) دوام طلب المعونة من الله الملك ليقين المتوكل بالعجز التام عن تحصيل ما يريده وتمام قدرة الله على إنجاز كل ما يريد وفوق ما يريد.

(٤) الحفظ والمنعة من الشيطان الرجيم ومن البشر اللئيم.

(٥) الوقوف على الحدود الشرعية وعدم الخوض في الحرام.

(٦) ترك المزاحمة مع الناس؛ لأن المتوكل لا يخاف فوت شيء قُدِّر له.

(٧) قطع الطمع فيما في أيدي الناس توكلاً على ما عند الله.

(٨) راحة البال واستقرار الحال.

(٩) لا يمنع الأخذ بالأسباب المشروعة المباحة مع الخروج من أسرها.

(١٠) يحقق طاعة الله ورسوله ﷺ.

(١١) يحقق رضا الله، فيجعل للعبد مخرجًا ويكفر عنه سيئاته.

(١٢) يهيئ صاحبه للفوز بصحبة النبيين في جنات النعيم.

(١٣) من أسباب سعة الرزق.

(١٤) به تمام المعونة من الله - عز وجل - مما يدفع عن المتوكل شر الأشرار من الشيطان ومن كل من يكيده[١].

❋ ❋ ❋

---

(١) نضرة النعيم (٤/١٣٩٨).

البشارة والتهنئة

البشارة والتهنئة

حبايبي الملونين: وها هو خُلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به . . . ألا وهو خُلق البشارة والتهنئة .

* وما أجمل أن يحب المسلم الخير لإخوانه من حوله فإذا سمع عن شيء يُدخل الفرحة والسعادة على قلب أخيه فإنه يحرص كل الحرص على أن يكون أول من يحمل له هذه البشرى ليُدخل السعادة على قلب أخيه المسلم .

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع خُلق البشارة والتهنئة .

البشارة في السنة المطهرة

لقد جاءت الأحاديث الكثيرة في السنة المطهرة التي تحمل بين ثناياها البشرى لهذه الأمة الميمونة المباركة . . . فمن بين تلك الأحاديث :

* (عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَشِّر المشائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة») [1] .

* (عن أبي طلحة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلنا: يا رسول الله إنا لنرى البشرى في وجهك؟ فقال: «إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً») [2] .

(١) صحيح: رواه أبو داود (٥٦١) كتاب الصلاة، والترمذي (٢٢٣) كتاب الصلاة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٧٢١) .

(٢) حسن: رواه النسائي (١٢٨٣) كتاب السهو، وأحمد (١٥٩٢٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٦١) .

* (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضًا من فوقه[1]. فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فُتح اليوم، لم يُفتح قط إلا اليوم» فنزل منه ملك فقال: «هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يُؤتَهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيته»)[2].

* (عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده. ليس معه إنسان. قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد. قال: فجعلت أمشي في ظل القمر - إلى أن قال - سمعته وهو مقبل وهو يقول: «وإن سرق وإن زنى» قال: فلما جاء لم أصبر فقلت: يا نبي الله جعلني الله فداءك. مَن تُكلم في جانب الحرة؟ ما سمعت أحدًا يرجع إليك شيئًا. قال: «ذاك جبريل، عرض لي في جانب الحرة. فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة فقلت: «يا جبريل وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قال: قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قال: قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. وإن شرب الخمر»)[3].

* (عن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ؛ قال: «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»)[4].

* (عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن»)[5].

---

(١) النقيض: الصوت، ونقيض المحامل صوتها ونقيض السقف تحريك خشبه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٠٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٤٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٩٤) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أحمد (٢٠٧١٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٤٢) كتاب البر والصلة والآداب.

*بل وتبشر الملائكة كل عبد مؤمن عند موته . . . قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [١].

*(عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة. فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها، حتى تخرج ثم يُعرج بها إلى السماء. فيُفتح لها. فيقال: من هذا؟ فيقولون فلان. فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب. ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل.») [٢].

*(عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت. قال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه. فكره لقاء الله وكره الله لقاءه») [٣].

* * *

---

(١) سورة فصلت : الآيات : (٣٠- ٣٢).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٦٢) كتاب الزهد، وأحمد (٨٥٥١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٠٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٦٨٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

البشارة من صفات الأنبياء والمرسلين

قال تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(3).

البشارة من صفات النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾(4).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(5).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾(6).

النبي ﷺ يبشر خديجة بأعظم بشرى

فها هي خديجة رضي الله عنها التي بذلت مالها ووقتها بل وكل ما تملك لنُصرة دين الله -جل وعلا- تأتيها البشرى التي لا توازيها الدنيا كلها بمتاعها

(1) سورة النساء: الآية: (١٦٥).
(2) سورة الأنعام: الآية: (٤٨).
(3) سورة الصف: الآية: (٦).
(4) سورة البقرة: الآية: (١١٩).
(5) سورة سبأ: الآية: (٢٨).
(6) سورة الفتح: الآية: (٨).

الزائل... فقد جاءتها البشرى على لسان الصادق ﷺ ببيت فى الجنة من اللؤلؤ المجوف.

* (عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبى ﷺ. فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك[1] معها إناء فيه إدام[2] أو طعام أو شراب. فإذا هي أتتك[3] فاقرأ عليها السلام من ربها - عز وجل - ومني. وبشرها ببيت في الجنة من قصب[4] لا صخب[5] فيه ولا نصب[6]»)[7].

النبى ﷺ يبشر عائشة بالبراءة

فإنه لما اتُهمت العفيفة الطاهرة عائشة رضي الله عنها فى عِرضها ونزلت بعد ذلك براءتها من فوق سبع سماوات فكان النبى ﷺ هو الذى بشرها بأن الله قد برّأها.

* (عن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. الحديث... وفيه: قالت، فلما سُرِّى عن رسول الله ﷺ، وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك»... الحديث)[8].

* * *

(١) قد أتت: معناه توجهت إليك.
(٢) الإدام: ما يؤتدم به تقول منه أدم الخبز باللحم من باب ضرب.
(٣) فإذا هى أتتك: أى وصلتك.
(٤) من قصب: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف.
(٥) صخب: هو الصوت المختلط المرتفع.
(٦) نصب: المشقة والتعب.
(٧) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.
(٨) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٦١) كتاب الشهادات، ومسلم (٢٧٧٠) كتاب التوبة.

النبي ﷺ يبشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه

وها هو الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه الذي تخلف عن غزوة تبوك .. فلما نزلت توبة الله عليه قال له النبي ﷺ: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك».

النبي ﷺ يبشر أبا بكر بأنه يدعى من أبواب الجنة الثمانية

* (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبو بكر رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله. ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة[1] فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم. وأرجو أن تكون منهم»)[2].

النبي ﷺ والبشرى بالجنة لأهل التوحيد

فمن المعلوم أن نعمة التوحيد هي أجلُّ وأعظم نعمة في الكون كله وأن من عاش عليها كان من أهل السعادة في الدنيا والآخرة.

- فمن عاش على التوحيد فاز بمغفرة الله - عز وجل -.

«قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني

---

(١) من ضرورة: أي من ضرر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٨٩٧) كتاب الصوم، ومسلم (١٠٢٧) كتاب الزكاة.

غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[١].

* ومن عاش على التوحيد حُرِّم على النار....

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «.... فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[٢].

* ومن عاش على التوحيد فاز بشفاعة النبي ﷺ.

روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «... وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وإنها نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»[٣].

* ومن عاش على التوحيد كان من أهل الجنة - بإذن الله-.

قال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٤].

النبي ﷺ يبشر عليًا بحب الله ورسوله له

* (عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ؛ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه. يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» قال: فبات الناس يدوكون[٥] ليلتهم أيهم يُعطاها. قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ. كلهم يرجو أن يُعطاها. فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال فأرسلوا إليه. فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه. ودعا له فبرأ.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٥) كتاب الصلاة، ومسلم (٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٠٤) كتاب الدعوات، ومسلم (١٩٩) كتاب الإيمان.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٣١١٦) كتاب الجنائز، وأحمد (٢١٥٢٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٦٢١).

(٥) يدوكون: أي يخوضون ويتحدثون في ذلك.

حتى كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «انفذ على رِسلك[1]. حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه.

فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمر النَّعم[2]»[3].

النبي ﷺ يبشر بلالاً بالجنة

* (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ؛ قال لبلال عند صلاة الفجر: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دَفَّ[4] نعليك بين يديَّ في الجنة؟». قال: ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كُتب لي أن أصلي)[5].

* بل لقد بشره النبي ﷺ بأن الجنة تشتاق إليه.

قال ﷺ: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي وعمار وبلال»[6].

النبي ﷺ يبشر ثابت بن قيس بأنه من أهل الجنة

* (عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر. كان يرفع صوته فوق صوت النبي

---

(١) انفذ على رِسلك: أي انفصل وامض سالمًا. النهاية (جـ٥) (ص ٩٤).

(٢) حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٦ - ٢٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) الدَّف: الحركة الخفيفة والسير اللين.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٩) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٤٥٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) حسن: رواه الترمذي (٣٧٩٧) كتاب المناقب، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٩٨).

فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: «إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»[(١)].

بشريات الطفل أحمد

كان أحمد طفلاً جميلاً مهذبًا.. وكان يحب الخير لكل الناس من حوله وكان الناس جميعًا يحبونه حبًا جمًا.

* وفي يوم من الأيام ظهرت نتيجة امتحان آخر العام فذهب أحمد إلى المدرسة وقرأ النتيجة فعلم أنه قد نجح.

فلما أراد أن ينصرف قال لنفسه: لماذا لا أعرف نتيجة أصحابي لأكون أول من يبشرهم بالنجاح.

وعاد مرة أخرى إلى المدرسة وعلم أن كل أصحابه قد نجحوا ففرح بذلك فرحًا شديدًا وعاد إلى المنزل مُسرعًا ورفع سماعة التليفون وبدأ يتصل بأصحابه ليبشرهم بالنجاح ففرحوا جميعًا وفرح آباؤهم وأمهاتهم وأخذوا يدعون لأحمد كثيرًا.

* وفي يوم من الأيام مرض صديقه عادل ودخل المستشفى لإجراء عملية جراحية خطيرة.. فاستأذن أحمد من والديه ليكون بجوار صديقه عادل في المستشفى.

ووقف أحمد بجوار غرفة العمليات أكثر من ثلاث ساعات وعندما خرج الطبيب سأله أحمد عن حال صديقه عادل فأخبره الطبيب بأن العملية قد نجحت بفضل الله وأن صديقه عادل بخير فقال له أحمد: بالله عليك لا تخبرهم حتى أُبشرهم بذلك.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦١٣) كتاب المناقب، ومسلم (١١٩) كتاب الإيمان.

وذهب أحمد إلى أسرة عادل فى الغرفة المجاورة ليحمل لهم البشرى بأن العملية قد نجحت وأن ابنهم عادل بخير ولله الحمد.

* وهكذا... كان أحمد كلما سمع عن أى شىء يُدخل السعادة على الناس من حوله كان يحرص كل الحرص على أن يكون أول من يحمل لهم البشرى.

* ابنى الحبيب.. ابنتى الغالية:

أريدكم أن تفعلوا مثلما فعل أحمد فتحملوا البشرى لكل الناس من حولكم لتفوزوا برضوان الله (جل وعلا) ولتفوزوا بمحبة الناس من حولكم.

من فوائد البشارة

(١) حصول الفرج بعد الشدة.

(٢) انشراح الصدر وسعادة القلب.

(٣) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٤) سبب لاستقرار النفس وراحة البال.

(٥) دليل حسن الخاتمة.

(٦) حب المبشر لمن يبشره واستئناسه به.

(٧) البشارة تجلب الطمأنينة وسكون النفس وترفع الروح المعنوية.

(٨) تعود البشارة بالنفع العاجل للمبشر كما فى حديث كعب بن مالك[1].

* وأخيرا... أين نحن من البشارة:

ابنى الحبيب.... ابنتى الغالية:

أين نحن من تلك الصفة؟.... ولماذا لا نحمل البشرى لكل من حولنا لنُدخل عليهم السعادة والسرور.

---

(١) نضرة النعيم (٣/ ٨١١).

- فإن علم الواحد منا خبرًا يُدخل الفرحة والسرور على قلب أخيه فلماذا لا يبادر ويكون أول من يبشِّره . . . فهذا كله من كمال الإيمان.

- فلنحرص كل الحرص على أن نحمل البشريات الجميلة لإخواننا لتسعد قلوبهم ويكون ذلك كله في ميزان حسناتنا.

فإن من أفضل الأعمال إدخال السرور على المسلمين.

* قال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإنَّ سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخلُّ العسل»[1].

* * *

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير (١٠/٣١٩)، وفي الأوسط (١/٢٥٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٠٦).

البشاشة
وطلاقة الوجه



البشاشة وطلاقة الوجه

حبايبي الحلوين: وها هو خلق من أعظم أخلاق رسولنا الكريم ﷺ.. ألا وهو خُلق البشاشة وطلاقة الوجه.

* فنحن في أشد الحاجة لأن نتخلق بهذا الخُلق العظيم من أجل أن تتآلف وتتصافح القلوب قبل الأيدي ومن أجل أن يعرف الناس أن ديننا ليس فيها عُبوس ولا غلظة وإنما هو دين الرفق واللين والبسمة والرحمة.

كان النبي ﷺ أكثر الناس تبسُّمًا

ولكي تكتمل الأسوة والقدوة في النبي محمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.. وكان من بينها أنه كان مبتسمًا بشوشًا بل كان أكثر الناس تبسمًا.

* كان النبي ﷺ أكثر الناس تبسمًا وضحكًا في وجوه أصحابه وتعجبًا مما تحدثوا به وخلطًا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه [(١)].

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل. فضرب بيده في صدري وقال: **«اللهم ثبِّته واجعله هاديًا مهديًا»** [(٢)].

وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجههُ كأنَّ وجهه قطعة قمر [(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨١١) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٨٦) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٨) كتاب المغازي، ومسلم (٢٧٦٩) كتاب التوبة.

كان يبتسم فى أحلك الأحوال

وكان النبى ﷺ يبتسم حتى فى أحلك الأحوال.. فها هو ﷺ فى أرض الجهاد يبتسم ويضحك مع أصحابه ليُنسيهم ما بهم من جراحات.

* روى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: لما كان رسول الله ﷺ بالطائف قال: إنا قافلون غداً إن شاء الله، فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: لا نبرحُ أو نفتحها. فقال النبى ﷺ: «فاغدُوا على القتال» فغدوا فقاتلوهم قتالاً شديداً، وكثر فيهم الجراحات، فقال رسول الله ﷺ: «إنا قافلون غداً إن شاء الله» قال: فسكتوا... فضحك رسول الله ﷺ(١).

كان يتعرض للإيذاء ويبتسم!!

بل كان النبى ﷺ يتعرض للإيذاء أحياناً فيبتسم فى وجه من يؤذيه ليتألف قلبه فقد كان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه أبداً وإنما كان يغضب لله.

* وها هو موقف من المواقف المؤثرة التى تحكى لنا كيف كان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه أبداً.

* ففى الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نَجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه جَبْذة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جَبْذَتِه، ثم قال: يا محمد، مُر لى من مال الله الذى عندك. فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء(٢).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٢٥) كتاب المغازى، ومسلم (١٧٧٨) كتاب الجهاد والسير.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥٧) كتاب الزكاة.

كان ﷺ يبسط وجهه حتى مع الأشرار

لقد كان النبي ﷺ يبسط وجهه حتى مع شرار الخلق من أجل أن يعلمهم السلوك العملي للأخلاق في ظل هذا الدين العظيم عسى أن يقتدوا به ﷺ فتتحسن أخلاقهم... ومن ناحية أخرى كان ﷺ يفعل ذلك اتقاء شر هؤلاء الأشرار... ولكنه كان يفعل ذلك أولاً لدعوة الناس من حوله وليعطيهم درسًا عمليًا في الأخلاق العالية.

* ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال: «بِئْسَ أخو العَشيرةِ وبئس ابن العشيرة» فلما جلس تَطَلَّقَ[1] النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه. فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجلَ قُلت له كذا وكذا. ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة متى عهدتني فاحشًا؟ إن شر الناس عند الله منزلةً يومَ القيامة من تركه الناس اتقاء شره»[2].

كان يبتسم إذا حدث خيرٌ لأمته

ولقد كان النبي ﷺ إذا جاءه الوحي يخبره بأي خير جاء من عند الله (جل وعلا) لتلك الأمة المباركة يفرح فرحًا شديدًا ويرى الناسُ البشر والسعادة على وجهه ﷺ.

* عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: جاء النبي ﷺ يومًا وهو يُرى البشر في وجهه، فقيل: يا رسول الله، إنا نرى في وجهك بشرًا لم تكن تراه؟ قال: «أجل إن مَلَكًا أتاني فقال لي: يا محمد إن ربك يقول لك: أما

---

(١) تطلق: تهلل واستبشر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٣٢) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٩٦) كتاب البر والصلة والآداب.

يرضيك أن لا يُصلي عليك أحدٌ من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يُسلِّم عليك إلا سلمت عليه عشراً». قال: قلتُ: بلى»[١].

موقف طريف

* وها هو موقف يوضح لنا كيف كان النبي ﷺ سهلاً ليناً لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها في موضعها.

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عالية أصواتُهن على صوت النبي ﷺ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبي ﷺ فدخل والنبي ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي. فقال: «عجبتُ من هؤلاء اللاتي كُن عندي، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب»[٢]. فقال: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عدوّات أنفسهن، أتهبنني ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً[٣] إلا سلك فجاً غير فَجِّكَ»[٤].

اللهم حوالينا ولا علينا

وها هو موقف آخر طريف يحدث للنبي ﷺ فقد جاءه أعرابي وهو ﷺ يخطب الجمعة فطلب من النبي ﷺ أن يستسقي لهم فقد أجدبت

(١) صحيح: رواه النسائي (١٢٨٣) كتاب السهو، وأحمد (١٥٩٢٨)، وصححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٨٢٩).

(٢) تبادرن الحجاب: أي: اختبأن وراء الستارة.

(٣) فجاً: الفج: هو الطريق الواسع.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

الأرض فدعا النبي ﷺ فنزل المطر أسبوعاً كاملاً لا ينقطع... وإذا بنفس الرجل يأتي إلى النبي ﷺ في الجمعة التي تليها يطلب منه أن يسأل الله (جل وعلا) أن يحبس عنهم المطر فقد غرقوا... فضحك النبي ﷺ.

* ففي الصحيحين: عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب بالمدينة فقال: قحط المطر، فاستسق ربك، فنظر إلى السماء وما نرى من سحاب، فاستسقى، فنشأ السحاب بعضه إلى بعض، ثم مُطروا حتى سالت مَثَاعب(١) المدينة، فما زالت إلى الجمعة المقبلة ما تُقلع ثم قام ذلك الرجل، أو غيره - والنبي ﷺ يخطب فقال: غرقنا، فادع ربك يحبسها عنا، فضحك ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا» - مرتين أو ثلاثاً، فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يميناً وشمالاً يُمطر ما حوالينا، ولا يُمطر فيها شيء، يُريهم اللهُ كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته(٢).

آخر بسمة في حياة النبي ﷺ

وظل النبي ﷺ ينشر عبير بسمته العطرة على الكون كله حتى آخر لحظة في حياته.

فها هو ﷺ ينظر إلى أصحابه وقد اجتمعوا للصلاة خلف أبي بكر رضي الله عنه ففرح النبي وابتسم ومات من يومه ذلك.

النبي ﷺ يحض الأمة على البشاشة والكلمة الطيبة

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحض الأمة كلها على البشاشة وطلاقة الوجه والكلمة الطيبة لتتآلف القلوب وتتصافح.

---

(١) المثاعب: جمع مَثْعَب - بفتح أوله وثالثه- وهو مسيل الماء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٣) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٩٥) كتاب صلاة الاستسقاء.

* فها هو ﷺ يقول: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(١).

* ويخبر ﷺ أن مجرد البسمة في وجه أخيك المسلم صدقة.. فيقول ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة..»(٢).

* ولم يكتف النبي ﷺ بأن يحض الأمة على البسمة والبشاشة فحسب بل كان يحض أمته على الكلام الطيب الذي تتفتح له القلوب.

* ففي الصحيحين: أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «كلمة طيبة»(٣).

- وجعل مجرد خروج الكلمة الطيبة من المسلم لأخيه صدقة فقال ﷺ: «.. والكلمة الطيبة صدقة»(٤).

بالكلمة الطيبة تنجو من النار

وجعل النبي ﷺ الكلمة الطيبة من أسباب النجاة من النار فقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة»(٥).

بالكلمة الطيبة تدخل الجنة

ومن المعلوم يقينًا أنه لن يدخل أحدٌ جنة الرحمن (جل وعلا) إلا برحمته ومع ذلك فلقد يسَّر الله لنا أسبابًا إذا سلكنا طُرقها كانت سببًا في دخول الجنة - بإذن الله-.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) حسن: رواه الترمذي (١٩٥٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٧٢).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٥٣) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٢٥) كتاب السلام.
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٨٩) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٠٠٩) كتاب الزكاة.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١٧) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٦) كتاب الزكاة.

ومن بين تلك الأسباب: الكلمة الطيبة.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء. فقال: «كل شيء خُلِقَ من ماء» قال: فأنبئني بعمل إن علمت به دخلت الجنة. قال: «أفْشِ السلامَ، وأطِبِ الكلام، وصِلِ الأرحام، وقم بالليل والناس نيامٌ تدخُل الجنة بسلام»[1].

بالكلمة الطيبة تفوز بالغرف في الجنة

بل وجعل النبي ﷺ الكلمة الطيبة سببًا في فوز العبد بالغرف في الجنة.

* عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غُرفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها». فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن ألانَ الكلامَ، وأطعم الطعام، وبات لله قائمًا والناسُ نيامٌ»[2].

بالكلمة الطيبة ترتقي في درجات الجنة

وبالكلمة الطيبة ترتقي في درجات الجنة.. التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فقد قال ﷺ: «... ومن الدرجات: طِيبُ الكلام، وبذلُ السلام، وإطعامُ الطعام، والصلاة بالليل والناس نيامٌ..»[3].

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٧٠٠١) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي ميمونة فقد روى له أصحاب السنن الأربعة وهو ثقة، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر رحمه الله، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٠٨٥).

(٢) حسن: رواه أحمد (٦٥٧٨)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١٢٣).

(٣) رواه أحمد (١٦١٨٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٩) بنحوه.

بالكلمة الطيبة تفوز برضوان الله -عز وجل-

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رضوانِ الله لا يُلقي لها بالاً يرفعُهُ اللهُ بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوى بها في جَهنَّم"[1].

طلاقة الوجه وثمراته

وإن الكلمة الطيبة والبسمة الحانية لهما ثمرات لا يعلمها إلا الله.

فلا تكاد تجد إنسانًا صاحب بسمة حانية وكلمة طيبة إلا وتنساق له القلوب وتحبه حبًا جمًا.

* فأما عن ثمرات طلاقة الوجه فهي:

(١) تُثمر المحبة بين المسلمين.

(٢) تَبعثُ الاطمئنانَ في اللقاء بين المسلمين.

(٣) تُعينُ على مُناصحة الإخوان.

(٤) فيها مرضاةٌ للرب.

(٥) فيها تأسٍ بسيد الخلق ﷺ[2].

ارفع هذا الشعار

ابني الحبيب.. ابنتي الغالية:

هيا لنرفع هذا الشعار العظيم الذي يفتح الله به القلوب... إنه شعار البسمة والرحمة فوالله ما رفع مسلم هذا الشعار إلا فتح الله له القلوب وفتح به القلوب فانقادت لله -جل وعلا- تمتثل أمره وتجتنب نهيه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٧٨) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) نضرة النعيم (٧/ ٦٠٢٧).

* ومن خلال رحلتي الدعوية الطويلة التي أسأل الله -جل وعلا- أن يجعلها خالصة لوجهه ما وجدت شيئًا أعظم من البسمة والرحمة واللين لنجاح دعوة الداعية الذي يريد أن يُعبِّد الناس لرب الناس -جل وعلا-.

* فكم من قلبٍ قاسٍ لان بفضل الله أولاً ثم بفضل البسمة والرحمة وكم من رجلٍ كان بعيداً كل البعد فأصبح من عباد الله الأتقياء بل ومن الدعاة إلى الله -جل وعلا-.. وكل ذلك بفضل الله أولاً ثم بفضل البسمة والرحمة.

السحر الحلال

وإذا كان الله -جل وعلا- قد حرَّم السحر وجعله من الكبائر ومن الموبقات، فإن هناك سحراً حلالاً نحتاج إليه في هذا الزمان: ألا وهو الكلمة الطيبة والوجه المشرق البشوش المبتسم.. فإن القلوب تنجذب بكل قوة نحو مغناطيس البسمة والكلمة الطيبة.

* وكثيراً ما تجد إنساناً يتعجب ويسأل نفسه: لماذا يحب الناس الداعية الفلاني كل هذا الحب...

والسر في ذلك هو توفيق الله لذلك الداعية.. ثم إخلاص الداعية وطريقته الرحيمة في تبليغ دعوته للناس.

* * *



حسن الظن

حسن الظن

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق جديد من أخلاق رسولنا الحبيب ﷺ.. ألا وهو خُلق حسن الظن.

فنحن نعلم أن من أعظم المقاصد التي يحرص عليها ديننا الحنيف سلامة الصدر بين أفراده حتى تشيع المحبة ويعم الإخاء وتتآلف القلوب.

* ولذا جاء الأمر من الله (جل وعلا): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1]... فسوء الظن مفتاح من مفاتيح الشر فهو يقود إلى التجسس والغيبة والتحاسد والتدابر... ومن أجل ذلك كان لا بد من الأمر بحسن الظن بالناس من حولنا.. ومن ثم جاء التحذير من إطلاق العنان لسوء الظن بالمسلمين فإن هذا من أعظم أسباب الاختلاف والفرقة التي تُضعف بنيان الأمة المسلمة.

نصيحة غالية

ابني الحبيب.. ابنتي الغالية:

لا بد أن تعلم أن حُسن الظن يجلب لنا راحة القلب في الدنيا.. والسعادة الدائمة في الآخرة.

* فعلينا أن نُحسن الظن بالله أولاً.. فإذا أُصيب أحدنا بمرضٍ أو أي ابتلاء فلا بد أن يُحسن الظن بالله وأن يعلم أن الله أرحم به من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٢).

* وعلينا أيضًا أن نُحسن الظن بكل الناس من حولنا ولا نسيء الظن بأحدٍ أبدًا. . . فلو أساء إليك أحد فقل في نفسك: لعله لا يقصد تلك الإساءة. . . وإذا وعدك إنسان بوعدٍ ثم لم يوفِ بوعده فأحسن الظن به وقل في نفسك: لعله لم يستطع أن يفي بوعده بسبب مشكلة طارئة. . . وهكذا ينبغي أن نُحسن الظن بمن حولنا حتى تظل صدورنا وقلوبنا سليمة تجاه كل من حولنا.

النبي ﷺ يعطي الأمة دروسًا غالية في حسن الظن

وها هو الحبيب ﷺ يعطي أصحابه (والأمة من بعدهم) دروسًا عملية في حسن الظن بالناس من حولهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث: ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»[(١)].

* بل كان النبي ﷺ ينهى أن يفتش الأمراء عن خبايا الرعية حتى لا يفسدوهم.

* عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم»[(٢)].

- ونحن نعلم أن النبي ﷺ هو أسوتنا وقدوتنا ولذا فإنه ينبغي على كل مسلم أن يُعلم زوجته وأولاده وأقاربه حسن الظن بالله ورسوله ﷺ . . وحسن الظن بالناس من حولهم من أجل أن تتآلف القلوب وتجتمع على محبة الله (جل وعلا) لنكون يوم القيامة في ظل عرش الرحمن (جل وعلا).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٤٤) كتاب النكاح، ومسلم (١٤١٣) كتاب النكاح.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٨٩) كتاب الأدب، وأحمد (٢٣٣٠٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٨٥).

حسن الظن بالله نعمة جليلة

إن من أعظم النعم أن يحسن العبد ظنه بالله (جل وعلا).

* (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي[١]، وأنا معه إذا ذكرني[٢]، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منهم. وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا[٣]، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً»)[٤].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أن الله ـ عز وجل ـ قال: «أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله»[٥].

* وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[٦].

* ولذلك كان حسن ظن النبي ﷺ بالله (جل وعلا) لا يستطيع أحد أن يصفه مهما أوتي من جوامع الكلم... وحسبه أنه لما كان في الغار ـ كما في الصحيحين ـ قال له أبو بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»[٧].

* * *

---

(١) معنى قوله: أنا عند ظن عبدي بي: المراد بالظن هنا: العلم. قاله ابن أبي جمرة، وقال القرطبي معنى ظن عبدي بي: ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار.

(٢) وقوله: وأنا معه إذا ذكرني: قال الحافظ ابن حجر: يعلمي.

(٣) والباع: قدر مد اليدين وما بينهما من البدن.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٨٨٣٣)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة.

سلفنا الصالح.. وحسن الظن بالله

ومن المعلوم أنه ما من تلميذ إلا وهو يقتبس من أستاذه فكيف لو كان الأستاذ هو سيد الأولين والآخرين ﷺ.

* فلقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه دومًا وأبدًا على حسن الظن بالله (جل وعلا) وعلى حسن الظن بمن حولهم من أجل أن تتآلف القلوب.

* وها هي صور مضيئة وكلمات رقيقة تعبر عن مدى حسن ظن سلفنا الصالح (من الصحابة والتابعين) بالله (جل وعلا).

* (عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «والذي لا إله غيره ما أُعطى عبد مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله عز وجل. والذي لا إله غيره، لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه، ذلك بأن الخير في يده»).

* وعن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] قال: «أحسنوا الظن بالله».

* وعن سهل القطعي، قال: «رأيت مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ في منامي فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري، ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة فمحاها عنى حسن الظن بالله»[2].

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (١٩٥).
(٢) حُسن الظن بالله (ص٩٦).

مغفرة الذنوب ثمرة من ثمرات حسن الظن بالله

فالعبد إذا أذنب وأراد أن يتوب، فعليه أن يملأ قلبه ثقة في الله (جل وعلا) أنه سيغفر له ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته.

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لقيتك بقرابها مغفرة»[1].

* بل وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل. قال: «أذنب عبد ذنبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال ـ تبارك وتعالى ـ أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال ـ تبارك وتعالى ـ: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال ـ تبارك وتعالى ـ: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك»[2].

مواقف من حسن ظنهم بالله (جل وعلا)

وها هي بعض الصور والمواقف المضيئة من حسن ظن سلفنا الصالح بالله – جل وعلا –:

* عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: «لما وقف الزبير يوم الجمل[3] دعاني

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) كتاب التوبة.

(٣) يعني: يوم «موقعة الجمل» والتي دارت رحاها بين جيشي: علي بن أبي طالب من ناحية، وعائشة وطلحة والزبير – من ناحية أخرى –، وكان الزبير قد ترك الجيش وانصرف لما ذكّره عليٌ بقول النبي صلى الله عليه وسلم «لتقاتله وأنت له ظالم»، فقُتل – الزبير – في طريق عودته.

فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أُراني إلا سأُقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همي لديني. . .

قال عبد الله:

فجعل يوصيني بدينه، ويقول:

«يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي».

قال: فو الله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟

قال: «الله».

قال فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه[1].

فتأمل معي أيها الابن الحبيب كيف كانت ثقته وحسن ظنه بالله سببًا في تفريج همه وقضاء دينه.

- فياليتنا نتعلم من هذا الموقف كيف نحسن الظن بالله -جل وعلا- لنفوز في الدنيا والآخرة.

إياكم والظن

وإن كان حديثنا عن حسن الظن فلا ينبغي أن ننسى أن نحذر من سوء الظن بالناس من حولنا فلقد اهتم النبي ﷺ بهذا غاية الاهتمام فقال ﷺ - كما في الصحيحين -: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا...**»[2].

* ومن تأمل سياق هذا الحديث فإنه يجد أن سوء الظن مفتاح من أكبر مفاتيح الشر فهو من أعظم أسباب الفرقة بين أفراد الأمة.

(١) حلية الأولياء (٩/ ٣١٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٤٤) كتاب النكاح، ومسلم (١٤١٣) كتاب النكاح.

* فمن المعلوم أن من أساء الظن بأحد فإنه سيسعى للتأكد من أن ظنه كان في محله وهذا يدعوه إلى أن يتجسس فإذا تجسس وعلم شيئًا عن أخيه فهذا يدعوه إلى التنافس والتحاسد.. وهذا بدوره يقوده إلى التباغض والتدابر.. ولهذا أراد النبي ﷺ أن يغلق هذا الباب العظيم من أبواب الشر فقال: «إياكم والظن».

* فإن كنت لابد فاعلاً فعليك أن تظن بإخوانك خيرًا وإن رأيت غير ذلك فالتمس لهم المعاذير لتعيش سليم الصدر تجاه إخوانك فنحن نعلم أن النبي ﷺ قد أخبر أصحابه بأنه سيدخل عليهم رجل من أهل الجنة... وكان هذا الرجل قليل الصلاة والصيام لكنه كان سليم الصدر لإخوانه المسلمين.

أقسام سوء الظن

* وقد قسم سوء الظن إلى قسمين كلاهما من الكبائر وهما:

١- سوء الظن بالله: وهو أبلغ في الذنب من اليأس والقنوط (وكلاهما كبيرة) وذلك لأنه يأس وقنوط وزيادة، لتجويزه على الله تعالى أشياء لا تليق بكرمه وجوده[1].

٢- سوء الظن بالمسلمين: هو أيضًا من الكبائر وذلك أن من حكم بشرٍّ على غيره بمجرد الظن حمله الشيطان على احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه وإطالة اللسان في عرضه، وكل هذه مهلكات.. وكل من رأيته سيئ الظن بالناس طالبًا لإظهار معايبهم فاعلم أن ذلك لخبث باطنه وسوء طويته؛ فإن المؤمن يطلب المعاذير لسلامة باطنه، والمنافق يطلب العيوب لخبث باطنه[2].

---

(١) الزواجر (ص١١٤).

(٢) الزواجر (ص١٠٩).

من ثمرات حسن الظن

إن ثمرات حسن الظن كثيرة.. ومنها أنه:

(١) طريق موصل إلى الجنة.

(٢) دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(٣) يولد الألفة والمحبة بين المسلمين.

(٤) يهيئ المجتمع الصالح المتماسك ويحقق التعاون بين أفراده.

(٥) برهان على سلامة القلب وطهارة النفس.

(٦) علامة على حسن الخاتمة.

(٧) لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله ومدى مغفرته ورحمته.

(٨) يحافظ على أعراض المسلمين[١].

وأخيرا

* فهيا بنا لنبدأ صفحة جديدة نملأها بحسن الظن بالله -جل وعلا- لأننا نعلم يقينًا أن الله أرحم بنا من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

* وهيا بنا لنحسن الظن بإخواننا المسلمين عسى الله أن يجمعنا جميعًا مع المتحابين بجلاله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

* وأخيرًا فإني أسأل الله -جل وعلا- أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يجمع شتاتهم وأن يوحد صفوفهم.. وأن يجمعنا جميعًا في جنته إخوانًا على سرر متقابلين.. إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) نضرة النعيم (٥/ ١٦٠٨).

الاستقامة



الاستقامة

حبايبي الحلوين: وها هو خُلق جديد من أخلاق رسولنا الحبيب ﷺ ألا وهو خُلق الاستقامة.

وقد يسألني ابنٌ من أبنائي وأحبابي ويقول: ما معنى الاستقامة؟

فأقول له بكل بساطة: الاستقامة أن نستقيم على نعمة التوحيد والإيمان وأن نستقيم على فعل الطاعات كالصلاة والصيام والذكر وقراءة القرآن وبر الوالدين وحُسن الخُلق وغيرها من الطاعات.

* حبايبي الحلوين: لا بد أن نعلم أننا لن نفوز بمحبة الله ورضوانه إلا إذا فعلنا هذه الطاعات واستقمنا عليها.

فلا يصلح أن أصلي اليوم ثم أترك الصلاة لمدة أسبوع.

ولا يصلح أن أقرأ القرآن في الإجازة الصيفية وأهجره في وقت الدراسة.

ولا يصلح أن أطيع أمي وأبي في وقت وأعصيهما في وقتٍ آخر.

ولا يصلح أن أكون كريمًا في وقت وأكون بخيلاً في وقتٍ آخر.

وهكذا يا حبايبي: لا بد أن نستقيم وأن نستمر على فعل الطاعات حتى نفوز برضوان رب الأرض والسماوات.

ساعة وساعة

وقد يسألني ابنٌ من أبنائي وأحبابي ويقول: ألم يقل النبي ﷺ: «ساعة وساعة»؟.

أقول: نعم... قال النبي ﷺ ذلك.

لكن هل تعلم ماذا كان يقصد النبى ﷺ من قوله: «ساعة وساعة»؟

لم يقصد النبى ﷺ أن نعبد الله فى ساعة ونعصيه فى ساعة.

أو أن نطيع الله فى ساعة ونترك العبادة فى ساعة أخرى.

وإنما كان النبى ﷺ يقصد أن من عظمة الإسلام أنه أباح لنا أن نتمتع ببعض المباحات حتى تكون عونًا لنا بعد ذلك على فعل الطاعات.

وسأذكر مثالاً يوضح ذلك: لو شعر واحدٌ منا بأنه قد أُصيب بالتعب من كثرة العبادة فلا مانع من أن يخرج مع أصحابه فى نزهة فى أى مكان ليس فيه معصية لله (جلَّ وعلا) فيستمتع ويقضى يومًا جميلاً دون أن ينسى أوقات الصلاة... فإن ذلك يكون عونًا له بعد ذلك فى أن يعود إلى العبادة بكل نشاط وقوة.. فتكون ساعة النزهة عونًا له على ساعة الطاعة ولذلك قال النبى ﷺ: «ساعة وساعة» حتى يعلم الناس جميعًا أن ديننا فيه فسحة وليس فيه تشدد وعبوس وحرمان من مُتع الدنيا الحلال.

الأحاديث الواردة فى فضل الاستقامة

عن ثوبان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[1].

* وعن أبى أُمامة الباهلى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استقيموا، ونِعمًا إن استقمتم، وخير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[2].

* وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: إن معاذ بن جبل أراد سفرًا فقال: يا رسول الله أوصنى قال: «اعبد الله لا تشرك به شيئًا» قال: يا رسول الله

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٧٧) كتاب الطهارة وسننها، والدارمى (٦٥٥) كتاب الطهارة، وأحمد (٢١٨٧٣) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٥٢).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٧٧) كتاب الطهارة وسننها، والدارمى (٦٥٥) كتاب الطهارة، وأحمد (٢١٩٠٨) باقى مسند الأنصار، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٥٣).

زدني، قال: «إذا أسأت فأحسن». قال: يا رسول الله زد، قال: «استقم ولْتُحسن خُلُقك»(١).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبلٌ متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾».

واللفظ الآخر: «هذه سبيل الله مستقيمًا»(٢).

* وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبوابٌ مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتعوجوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحكَ لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله -تعالى- والأبواب المفتحة محارم الله -تعالى- وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله -عز وجل- والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم»(٣).

* وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان نبي الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما

(١) حسن: رواه الحاكم في المستدرك (١/١٢١)، والطبراني في الكبير (٢٠/٣٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٢٢٨).

(٢) حسن: رواه أحمد (٤١٣١) مسند المكثرين من الصحابة، والدارمي (٢٠٢) في مقدمة سننه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٦٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٨٥٩) كتاب الأمثال، وأحمد (١٧١٨٢) مسند الشاميين، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٨٨٧).

اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

معنى الاستقامة عند سلفنا الصالح

ولقد سُئل صدِّيق الأمة وأعظمها استقامة - أبو بكر الصديق رضي الله عنه - عن الاستقامة، فقال: ألا تشرك بالله شيئًا، فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد.

قال مجاهد: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، حتى لحقوا بالله.

قال على بن أبى طالب، وابن عباس رضي الله عنهما: استقاموا: أدوا الفرائض.

قال الحسن: استقاموا على أمر الله؛ فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: استقاموا: أخلصوا العمل لله.

وفسرها ابن تيمية بالاستقامة على المحبة.

قل آمنت بالله ثم استقم

وعن أبى عمرو، - وقيل: أبى عمرة - سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»(٢).

- وقول سفيان بن عبد الله للنبى ﷺ: قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، طلب منه أن يعلمه كلامًا جامعًا لأمر الإسلام، كافيًا حتى لا يحتاج بعده إلى غيره، فقال له النبى ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم».

والاستقامة فى سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها»[1].

فقوله: «قل آمنت» فمن المعلوم أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، فلا يكفي أن يقول العبد: آمنت بلسانه ولم يؤمن قلبه بتلك الكلمة، ولم تنشغل جوارحه بطاعة الله - عز وجل- ولذلك فنحن نجد أن معظم آيات القرآن تجعل الإيمان ملازمًا للعمل الصالح، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[2].

وقوله: «آمنت بالله» يشمل الإيمان بوجود الله - عز وجل-، وبربوبيته وبأسمائه وصفاته، وبأحكامه، وبأخباره وكل ما يأتي من قِبله - عز وجل-، تؤمن به، فإذا آمنت بذلك فاستقم على دين الله، ولا تَحِدْ عنه، لا يمينًا ولا شمالاً لا تقصر ولا تزد.

فاستقم على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وذلك بالإخلاص لله - عز وجل - والمتابعة لرسوله.

استقم على الصلاة، وعلى الزكاة، والصيام، والحج، وعلى جميع الشرائع.

وقوله: «آمنت بالله ثم...» دليل على أن الاستقامة لا تكون إلا بعد الإيمان، وأن من شرط الأعمال الصالحة -أي: من شرط صحتها وقبولها- أن تكون مبنية على الإيمان.

فلو أن الإنسان عمل بظاهره على ما ينبغي، ولكن باطنه خراب، وفي شك

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٧، ١٤٨) بتصرف.

(٢) سورة العصر.

واضطراب، أو في إنكار وتكذيب، فإن ذلك لا ينفعه، ولهذا اتفق العلماء -رحمهم الله- على أن من شروط صحة العبادة وقبولها: أن يكون الإنسان مؤمنًا بالله، أي: معترفًا به، وبجميع ما جاء من قِبله -تبارك وتعالى»[1].

كيف نستقيم على طاعة الله عز وجل؟

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أستقيم على طاعة الله عز وجل؟.

والجواب: نقول: اعلم -أيها الأخ الحبيب- أن الإيمان يزيد وينقص، ولكن الله تعالى جعل أسبابًا لاستقامة العبد.. ومنها على سبيل المثال:

(١) الاعتصام بالله عز وجل:

فإن من أعظم أسباب الاستقامة أن يعتصم العبد بربه -عز وجل- ليوفقه إلى الاستقامة.. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

وكلما ازداد قلبك تعلقًا بالله وتوكلاً عليه، كلما زادك تسديداً وتوفيقًا واستقامة على طاعته، لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء.

(٢) المسارعة إلى طاعة الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[3].

فيجب على العبد أن يُسرع إلى طاعة الله -عز وجل- فقد قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

(١) شرح رياض الصالحين/ للشيخ ابن عثيمين (١/١٤٨، ١٤٩) بتصرف.
(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠١).
(٣) سورة النساء: الآيات: (٦٦- ٦٨).
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٤٨).

عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

وقال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويُمسى كافرًا، ويُمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَضٍ[٢] من الدنيا»[٣].

(٣) التعايش مع القرآن:

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤].

فقد جعل الله تعالى هذا الكتاب منهج حياة متكاملة.. وجعله من أعظم أسباب الهداية والاستقامة فقال تعالى: ﴿ الم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٥].

وقال ﷺ: «القرآن شافعٌ مشفع، وماحلٌ مصدَّق من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار»[٦].

فالقرآن يزرع الإيمان، ويزكي النفس بالصلة بالله، ويجعل الإيمان يزداد في قلب العبد يومًا بعد يوم.. وإن آيات القرآن تنزل على قلب المؤمن بردًا وسلامًا فيثبت على صراط الله المستقيم.

(٤) الإخلاص ومجاهدة النفس:

فقد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٧].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٣٣).

(٢) عَرَض: متاع الدنيا وحطامها.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سورة المائدة: الآيتان: (١٥، ١٦).

(٥) سورة البقرة: الآيتان: (١، ٢).

(٦) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (١٠/١٩٨)، والبيهقي في الشعب (٢/٣٥١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٧٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/١٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٠١٩).

(٧) سورة العنكبوت: الآية: (٦٩).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[(١)].

فكلما اجتهد العبد في طاعة الله، كلما وفقه الله لطاعته، وثبّت قدمه على صراطه المستقيم.

قال أحد السلف: «كابدت الصلاة عشرين سنة، وتلذذت بها عشرين سنة، حتى إني لأدخل في الصلاة فأحمل همَّ خروجي منها».

فنفسك تأمرك بترك الصلاة وأنت تجاهدها فتصلي الصلوات الخمس في المساجد.. ونفسك تأمرك بالنظر إلى النساء، وأنت تجاهدها فتغض بصرك..

وهكذا تظل تجاهد نفسك وترتفع منزلتك ومكانتك عند الله حتى تكون في صحبة النبي ﷺ وأصحابه في جنات النعيم التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(٥) طلب العلم والدعوة إلى الله:

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[(٢)]. فكلما ازداد العبد علمًا، كلما ازداد خشية، وكلما ازداد خشية، ازداد طاعة لله واستقام على أمر الله.

ونحن نعلم أن العبد الذي ليس عنده علم قد يعبد الله على جهل.. أما العالم فهو الذي يعلم من سنة رسول الله ﷺ ما يعينه على تحقيق العبودية لله كما أرادها الله -عز وجل-.

ومن تعلم العلم فعمل به ودعا الناس إلى الله -عز وجل- فإن ذلك من أعظم أسباب الاستقامة على الطاعة؛ لأنه سيفوز بدعاء الكون كله له فقد قال ﷺ: «إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جُحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»[(٣)].

---

(١) سورة محمد: الآية: (١٧).

(٢) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٨٥) كتاب العلم، والدارمي (٢٨٩) في مقدمة سننه، من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٦) الصحبة الصالحة:

فالرجل على دين خليله.. وإن الصاحب ساحب، فإما أن يأخذ بيديك إلى مرضاة الله، وإما أن يأخذ بيديك إلى غضب الله وعقابه.

فابحث عن العلماء العاملين والدعاة المؤمنين والزم غرسهم فإنهم سيأخذون بيديك إلى مرضاة الله -جل وعلا-.

(٧) الدعاء:

يقول الحق -جل وعلا- في الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»[١].

فتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء أن يهديك وأن يثبتك على تلك الهداية ولا تنس أن سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ لم يفتر لسانه أبدًا عن هذ الدعاء: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[٢].

ثمرات الاستقامة

وأما عن ثمرات الاستقامة فهي كثيرة جداً ومنها:

(١) الحياة الطيبة:

فالمؤمن الذي يعيش دومًا وأبدًا على طاعة الله -عز وجل- يعيش في جنة الدنيا.. في جنة في البرزخ.. في جنة في الآخرة.

قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة. قيل: وما هي؟ قال: إنها جنة الإيمان بالله عز وجل».

وقال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: «والله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف».

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٠) كتاب القدر، وابن ماجه (٣٨٣٤) كتاب الدعاء، من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٨٧).

فأصحاب النبي ﷺ على الرغم من البلاء الذي تعرضوا له، وعلى الرغم من تلك التضحيات التي قدموها لنصرة دين الله -عز وجل- فقد كانوا أطيب الناس حياة، لأنهم تعايشوا مع القرآن والسنة بقلوبهم وجوارحهم.

(٢) حفظ الله للعبد:

فالله يحفظ على العبد دينه، وماله، وعافيته، وأولاده بحفظه لأوامر الله -عز وجل- والسير على طاعته.

(٣) البشرى الطيبة:

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[١].

أي: آمنوا بالله إيمانًا صادقًا وأخلصوا العمل له، ثم استقاموا على توحيد الله وطاعته، وثبتوا على ذلك حتى الممات.

عن عمر رضي الله عنه أنه قال على المنبر بعد أن تلا الآية الكريمة: «استقاموا والله على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب»[٢].

والغرض أنهم استقاموا على شريعة الله، في سلوكهم، وأخلاقهم، وأقوالهم، وأفعالهم، فكانوا مؤمنين حقًّا، مسلمين صدقًا... وقد سُئل بعض العارفين عن تعريف الكرامة فقال: الاستقامة عين «الكرامة»، وعن الحسن أنه كان يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة... ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠- ٣٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٥/ ٣٥٨).

بألا تخافوا مما تقدمون عليه من أحوال القيامة ولا تحزنوا على ما خلفتموه في الدنيا من أهل ومال وولد فنحن نخلفكم فيه. ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي: وأبشروا بجنة الخلد التي وعدكم الله بها على لسان الرسل.

قال شيخ زاده: إن الملائكة تتنزل حين الاحتضار على المؤمنين بهذه البشارة ألا تخافوا من هول الموت، ولا من هول القبر، وشدائد يوم القيامة، وإن المؤمن ينظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له: لا تخف اليوم ولا تحزن، وأبشر بالجنة التي كنت توعد، وإنك سترى اليوم أموراً لم تر مثلها فلا تهولنك فإنما يُراد بها غيرك»[1][2].

وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان»[3]... وقال زيد بن أسلم: «يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يُبعث»، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم أي: قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم، ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله.

وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور نؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم،... ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون

---

(١) صفوة التفاسير (٣/ ١٢٢، ١٢٣).

(٢) حاشية شيخ زاده على البيضاوي (٣/ ٢٦٦).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٦٢) كتاب الزهد، وأحمد (٨٥٥١) باقي مسند المكثرين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٩٦٨).

﴿ولَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أي: ضيافة وعطاءً، وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم رءوف حيث غفر وستر ورحم ولطف» [(١)].

(٤) المرور السريع على صراط الآخرة:

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-:

«من هُدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه، هُدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته دار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، ولينظر العبد الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم؛ فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه فإن كثرت هنا، وقويت، فكذلك هي هناك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [(٢)]».

(٥) الفوز بالجنة والنجاة من النار:

فلقد قال العزيز الغفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [(٣)].

فاللهم ارزقنا نعمة الاستقامة وحلاوة الطاعة، واحشرنا في زمرة أهل الاستقامة والصلاح مع سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.

* * *

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير - محمد نسيب الرفاعي (٤/ ١٠٠، ١٠١).

(٢) سورة فصلت: الآية: (٤٦).

(٣) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).



حفظ الأسرار

حفظ الأسرار

حبايبي الحلوين: وما هو خُلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به... ألا وهو خُلق حفظ الأسرار.

* وما أجمل أن يكون المسلم أمينًا على أسرار الناس من حوله فلا يُفشي لهم سرًا.. فإن ذلك من أعظم أسباب المحبة بين المسلمين.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع هذا الخُلق العظيم من أخلاق الرسول ﷺ.

زمان الغربة

حبايبي الحلوين: لا شك أننا نعيش زمانًا لا نكاد نرى فيه رجلاً أمينًا يحفظ أسرار الناس من حوله.

فأكثر الناس - إلا من رحم الله - لا يحفظ سرًا بل يُذيعه وينشره مع أنهم يعلمون أن إفشاء الأسرار خيانة.

وكم من رجلٍ أذاع سر صاحبه فكان سببًا في تحطيم حياته.

وكم من رجلٍ أذاع سر صاحبه فكان سببًا في خراب بيته.

* ومن أجل ذلك كان لا بد أن نتربى على حفظ أسرار الناس من حولنا حتى تشيع روح المحبة بيننا وبين مَن حولنا...

وحتى نحافظ على حياة إخواننا فلا نُعرضهم للمخاطر والمصائب بسبب نشر أسرارهم.

* * *

الكتمان نوعان

وكتمان الأسرار نوعان:

الأول: الكتمان المحمود:

وهو كتمان أسرار الناس.. وهذا نوع من أنواع الأمانة التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم.

الثاني: الكتمان المذموم: وهو ينقسم إلى نوعين:

أ- كتمان الشهادة: وقد ذمّه المولى عز وجل في قوله: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾[1].

وقال عز وجل أيضًا: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾[2].

ب- كتمان ما أنزل الله: وقد أخذ المولى عز وجل العهد على الأنبياء والمرسلين بألا يكتموا مما أوحي إليهم شيئًا، وتوعّد من يفعل ذلك بذل الدنيا وعذاب الآخرة فقال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾[3].

ولقد لعنهم المولى عز وجل في آية أخرى فقال: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾[4].

* * *

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٨٣).
(٢) سورة البقرة: الآية: (١٤٠).
(٣) سورة البقرة: الآية: (١٧٤).
(٤) سورة البقرة: الآية: (١٥٩).

أمثلة من كتمان الصحابة لأسرار النبي ﷺ

وها هي أمثلة عطرة ترسم لنا صوراً مشرقة من كتمان الصحابة لأسرار النبي ﷺ .

• ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنّ أزواج النبي ﷺ عنده، لم يُغادر منهن واحدةً فأقبلت فاطمة تمشي. ما تُخطئُ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئًا، فلما رآها رحب بها. فقال: «مرحبًا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم سارَّها فبكت بكاءً شديدًا. فلما رأى جزعها سارَّها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصَّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله ﷺ سألتُها: ما قال لك رسول الله ﷺ قالت: ما كنتُ أُفشي على رسول الله ﷺ سرهُ. قالت: فلما تُوفي رسول الله ﷺ قُلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لَمّا حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ . فقالت: أما الآن فنعم. أمَّا حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني: «أن جبريل كان يُعارضه القرآن في كل سنة مرةً أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين وقال: «إني لا أُرى[1] الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري. فإنه نعم السَّلَفُ أنا لك» قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: «يا فاطمة: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟» قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت[2] .

• وروى مسلم عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ - وأنا ألعب مع الغلمان - قال: فسلَّم علينا، فبعثني إلى حاجة. فأبطأت على أمي، فلما جئتُ قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلتُ: إنها سرٌّ. قالت: لا تُحدثن بسر رسول الله ﷺ

---

(١) لا أُرى: أي: لا أظن.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٢٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة.

أحدًا. قال أنس: والله لو حدثت به أحدًا لحدثتُك يا ثابتُ[1].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله-:

قال بعض العلماء: كأن هذا السر كـان يختص بنساء النبي ﷺ، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنسًا كتمانه. اهـ[2].

* وروى البخاري عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه سمع عمر بن الخطاب يُحدث حين تأيَّمتْ حفصةُ بنتُ عمر من خُنيس بن حُذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتُوفي بالمدينة - فقال عمر بن الخطاب: أتيتُ عُثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصة فقال: سأنظرُ في أمري. فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: لقد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلتُ: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا، وكنت أَوْجَدَ عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثُم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتُها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال عمر: قلت: نعم. قال أبو بكر: لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنتُ علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكُن لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتُها[3].

متى يجتمع إفشاء السر والغيبة؟

وقد يسأل سائل ويقول: متى يجتمع إفشاء السر والغيبة؟

والجواب: إذا كان السر الذي تفشيه عنه في غيبته مكروهًا... فحينئذ يجتمع إفشاء السر مع الغيبة... أما إذا كان السر فيه مدح أو منقبة لصاحبه فلا

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) فتح الباري (١١/ ٨٥)

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٠٠٥) كتاب المغازي

يُعتبر غيبة؛ لأن النبي ﷺ لما عرَّف الغيبة: قال: «ذكرك أخاك بما يكره»[1].

إفشاء السر بسبب العمل أو المهنة

قد يكون الرجل يعمل في مؤسسة أو شركة فيطلع على بعض أسرار العمل أو المهنة فيخون الأمانة ويُفشي أسرار الشركة وهذا حرام بل إنه خيانة للأمانة.

مثال ذلك: كأن يذهب الرجل إلى مفتي فيحكي له أدق أسرار حياته فيقوم ذلك المفتي فيُفشي تلك الأسرار.

* ومثال آخر: أن يكون طبيبًا.. وبحكم عمله قد يطلع على بعض عورات الناس من حوله... أو يعرف بعض أسرارهم إذا كان طبيبًا نفسانيًا فيُفشي تلك الأسرار... وهذا كله لا يجوز.

* ومثال ثالث: كأن يكون محاسبًا في شركة من الشركات ويعرف أسرار الشركة من أرباح وخسائر وقد يُفشي تلك الأسرار فيتسبب في أضرار جسيمة للشركة ولصاحبها.

* ومثال رابع: كأن يكون في تخصص نادر ويعرف أسرار بعض الاختراعات الخاصة بتلك الشركة فيُسرب تلك الأسرار لشركة أخرى مقابل مبلغ مالي كبير.

- وهناك شيء اسمه (التجسس الصناعي) لسرقة أسرار الصناعة. كأن تكون هناك شركة تتجسس على شركة أخرى لسرقة المخترعات التي وصلت إليها والتي أنفقت عليها ملايين الدولارات.

* فالحاصل: أنه لا يجوز إفشاء تلك الأسرار ومن فعل ذلك فهو خائن للأمانة.

استعن على إنجاح أعمالك بالكتمان

والعاقل هو الذي يستعين على إنجاح أعماله بالكتمان.

(1) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقد قال رسول الله ﷺ: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»[١].

فعليك - بنى الحبيب - أن تحرص كل الحرص على ألا تخبر أحداً بـ تنعمه إلا بعد إتمامه ونجاحه كما أمرنا بذلك رسول الله ﷺ.

كن حافظاً للسر

بنى الحبيب: إذا أخبرك والدك أو أخبرتك والدتك بشيء فلا تُفش لهما سرًّا... وإذا ائتمنك صديقك على سرٍّ من أسراره فاحذر أن تُفشى سره وتخون تلك الأمانة فإن الناس لا يحبون الخائن الذى يُفشى أسرارهم.

وقد أمرنا النبى ﷺ بحفظ أسرار الناس فقال ﷺ: «إذا حدَّث الرجل بالحديث ثم التفت فهى أمانة» [٢].

من ثمرات حفظ الأسرار

وفوائد كتمان السر كثيرة وجليلة... ومنها على سبيل المثال:

(١) به يتمكن الإنسان من قضاء مصالحه، ولا يُواجه بما يَعُوقُه عنها.

(٢) كتمان السر لونٌ من ألوان الأمانة، والأمانة من علامات الإيمان.

(٣) كتمان السر لونٌ من الوقار والاحتشام ودليلٌ على الرزانة والوقار.

(٤) هو فضيلة إنسانية بها يرتقى المرءُ فى درجات الكمال.

(٥) يُوثق صلة الإنسان بأخيه حين يحفظُ أسرارهُ.

(٦) حين يثق الإنسان بأن صاحبه يحفظ أسراره يُمَهِّدُ ذلك له استشارته فيما لا يحب أن يطلع عليه الناس.

(٧) يُؤدى حفظ السر إلى توثيق عُرى المحبة بين الإنسان ومن يحفظ عليه سره[٣].

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٤٥٣)

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٦٨) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٥٩) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٤٦٤٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى الصحيحة (١٠٩٠).

(٣) نضرة النعيم (٨/ ٣٣١٣).

الاعتدال
وعدم الإسراف

الاعتدال وعدم الإسراف

حبايبي الحلوين: وها هو خلق عظيم من أخلاق الرسول ﷺ ينبغي أن نتحلى به . . . ألا وهو خُلق الاعتدال وعدم الإسراف.

وما أجمل أن يكون المسلم معتدلاً بعيداً كل البعد عن التبذير والإسراف فإن ديننا هو دين الوسطية بلا إفراط ولا تفريط.

* فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع الاعتدال وعدم الإسراف.

ماجد ونصائحه الذهبية

كان ماجد طفلاً عاقلاً مؤدبًا. . وكان ينصح زملاءه دائمًا ويُصلح من سلوكياتهم الخاطئة.

* وفي يوم من الأيام ذهب ماجد إلى المدرسة فوجد صديقه أحمد يأخذ الطباشير من على السبورة ويكسره تحت رجليه وهو يضحك.

فقال له ماجد: يا أحمد لا يجوز أن تفعل هذا لأن هذه أموال الدولة ولا ينبغي أن نبددها أو نُسرف في استعمالها. . فإذا أردت أن تستخدم الطباشير فاكتب به على السبورة كلامًا نافعًا ولا تُسرف فإن الله لا يحب المسرفين.

* ولما جاء وقت صلاة الظهر نزل التلاميذ ليتوضؤوا ويصلوا صلاة الظهر. . . فإذا بهم يفتحون صنابير المياه على آخرها فقال لهم ماجد: يا إخواني مهلاً. . لا تُسرفوا في استعمال الماء فإنه نعمة من عند الله (جلَّ وعلا). . وهناك أُناس لا يجدون قطرة ماء. . . فافتحوا صنابير المياه على أول درجة بحيث لا تُنزل ماءً كثيرًا وبذلك نحافظ على الماء الذي هو من أعظم نعم الله علينا.

* ولما انتهت الصلاة فوجئ ماجد بزميله عادل ينفق مصروف الأسبوع كله على شراء الحلوى والشيكولاته فقال له ماجد: لماذا تنفق كل مصروفك مرة واحدة يا عادل؟

فقال له عادل: لأنى أحب الحلوى والشيكولاتة.

ماجد: لكنك لن تجد مالاً بقية الأسبوع.

عادل: سأخبر والدى أن المصروف ضاع منى ليعطينى بدلاً منه.

ماجد: هذا لا يجوز يا عادل لأنك بذلك تكون قد ارتكبت أكثر من مخالفة شرعية... فأنت عندما أنفقت مصروفك كله مرة واحدة كنت مبذرًا ومسرفًا.. وأنت تعلم أن المبذرين إخوان الشياطين وأن الله لا يحب المسرفين.

وعندما تخبر والدك بضياع مصروفك فأنت بذلك تكذب على والدك وتكلفه فوق طاقته وتأكل مالاً حرامًا.

عادل: أنا آسف يا ماجد لن أفعل ذلك مرة أخرى.

ماجد: بارك الله فيك يا عادل.. فهذه هى أخلاق المسلم الطيب أنه إذا عرف أنه على خطأ فإنه يتوب ويعود إلى الله.

تحذير القرآن من الإسراف

الإسراف صفة ممقوتة شرعًا، لها آثارها السيئة التى تعود على الفرد والمجتمع، ولذلك فقد حذر منها الشرع، وأكد على خطورتها، لينبه إليها من يُخاف عليه الوقوع فيها، ومن وقع فيها فعلاً.

ومن الآيات التى وردت فى القرآن الكريم، وفيها تحذير من الإسراف: قول الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف: الآية: (٣١).

فعلى المسلم أن ينال نصيبه من الدنيا، فيأكل ويشرب من خيرات الله ونعمه، ولكن عليه أن يقتصد في أكله وشربه؛ لأن الاستزادة منها إسراف، وقد جعل الله المسرفين بعيدين عن محبته، لما في إسرافهم من إهدار وجحود لنعمة الله.

قال تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[1]. فقد جعل الله المبذرين إخوانًا للشياطين في التبذير؛ لأنهم نهجوا منهج الشيطان، وأسرفوا في إهدار نعم الله، كما أسرف الشيطان في الجحود بنعم الله.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2].

فلا بُدَّ أن يكون المسلم معتدلاً في إنفاقه، وأن يسلك مسلكًا محمودًا بين الإسراف والبخل، فلا يضيق على نفسه، ولا يسرف في ماله؛ لأن ذلك يؤدي إلى الحسرة والندامة. والإسراف لا يكون في المال فقط بل يكون الإسراف في فعل المعاصي والسيئات وفي عدم الإيمان بالله (جل وعلا) وفي استعمال الصحة في غير طاعة الله. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾[3]. فالإسراف في الجحود بالله والكفر به أشد أنواع الإسراف، ولذلك فقد توعد الله مرتكبه بأشد العقاب في الآخرة؛ لأنه زيادة في الطغيان، والفسق في الأرض.

* * *

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: (٢٦-٢٧).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٢٩).

(٣) سورة طه، الآية: (١٢٧).

تحذير الرسول ﷺ من الإسراف

ومن الأحاديث التي وردت تأمر بالقصد وتنهى عن الإسراف وتحذر منه: قول رسول الله ﷺ: «ثلاث مُنجيات: العدل في الرضا والغضب، وخشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر. وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى مُتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[1].

وقال ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»[2][3].

احذر من الإسراف

حبايبي الحلوين: لا بد أن نحذر من الإسراف في كل شيء وذلك لأن ديننا هو دين الاعتدال والتوسط.

* فلا ينبغي أن نسرف في إنفاق المال.. ولا ينبغي أن نُسرف في تضييع الأوقات في اللهو واللعب وعدم أداء الفرائض فيها.

* ولا ينبغي أن نسرف في تضييع صحتنا بشرب الدخان المحرم أو غيره من المحرمات.

* ولا ينبغي أن نسرف في الخصومة إذا تخاصم أحدنا مع أخيه فلا ينبغي أن يستمر الخصام أكثر من ثلاثة أيام.. وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

* ولا ينبغي أن نسرف في الذنوب والمعاصي وترك الصلوات بل يجب علينا أن نتوب وأن نعود إلى الله (جلَّ وعلا).

---

(١) حسن: أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/٣٢٨)، والبيهقي في الشعب (٧٤٥)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٨٠٢).

(٢) حسن: رواه النسائي (٢٥٥٩) كتاب الزكاة، وابن ماجه (٣٦٠٥) كتاب اللباس، وأحمد (٦٦٥٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٤٣٨١).

(٣) سلسلة الأخلاق للأطفال/ حامد أحمد (ص: ١٧٤-١٧٦) بتصرف.

* ولا ينبغى أن نُسرف فى الحب والكُره... بـل ينبغى أن نتوسط فى الحب والكره فلا نحب أحداً حبًا يطغى على حبنا لله ورسوله ﷺ.. ولا ينبغى أن نكره أحدًا لدرجة الإيذاء والسب والشتم بل ينبغى أن نتوسط فى الحب والكره.

* ولا ينبغى أن نُسـرف فى استعـمال مياه الـشرب والاغتسـال حتى لا يعاقبنا الله على ذلك بأن يحرمنا من نعمة الماء.

* ولا ينبـغى أن نسـرف فى تناول الطعـام والحلويات حـتى لا نُصـاب بالأمراض والأسقام.. بل نفعل ما أمرنا به النبى ﷺ : فنجعل ثُلثًا للطعام وثُلثًا للشراب وثُلثًا للنَّفَس.

* ولا ينبغى أن نُسرف فى الكـلام بالوقوع فى الغيبة والنمـيمة والكذب وإفشاء السـر وشهادة الزور وغيرها.

* وهكذا يا حبايـبى ينبغى أن نبتعد عـن الإسراف فى أى شىء حتى لا نندم على ضياع أموالنا وأوقاتنا وكل غالٍ عندنا.

الإسراف فى الطاعات

وكـما نهـانا الإسلام عن الإسـراف فى المعـاصى فقـد نهانا أيضـًا عن الإسراف فى الطاعات حتى لا يمل الإنسان بعد ذلك فيترك الطاعات كلها.

* فالإسلام دين الوسط... فـهو يأمرك بأن تذكر آخرتك وتسـتعد لها بالطاعـات... وفى نفس الوقت يجـعلك لا تنسى نصـيبك من الدنيـا فى حدود ما شرع الله (جلَّ وعلا).. حتى لا يضـيق المسلم على نفسه فيُصاب بالملل ويقع فى معصية الله (جلَّ وعلا).

قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة القصص: الآية: (٧٧).

وقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: وأنا أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني»[1].

* وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سُئل النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أدومها وإن قلَّ». وقال: «اكْلَفُوا من العمل ما تطيقون»[2].

* وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة. قال: «من هذه؟». قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»[3].

* وعن أبي جُحيفة رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كُل. قال: فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نَمْ. فنام. ثم ذهب يقوم: فقال: نَمْ. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا. ولنفسك عليك حقًا.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣) كتاب النكاح، ومسلم (١٤٠١) كتاب النكاح.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٦٢) كتاب اللباس، ومسلم (٧٦١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.
(٣) صحيح: رواه البخاري (١٩٦٨) كتاب الصوم.

ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذى حق حقه. فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبى ﷺ: «صدق سلمان»(١).

خير الأمور الوسط

قال أعرابى لابن عباس رضي الله عنهما: إن العرب تقول: حب التناهى شَطَط، وخير الأمور الوسط، فهل هذا فى القرآن؟ قال: نعم، فى أربعة مواضع: فى قوله: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾(٢). أى: وسط فى السن بين الكبر والصغر.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾(٣). أى: فتوسط بين الأمرين فى الإنفاق. وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾(٤). وهذا السبيل هو الوسط فى القراءة. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(٥). أى: وسط فى المعيشة.

آثار الإسراف على المسلم فى الدنيا والآخرة

ومن المعلوم يا حبايبى أن الإسراف له آثار سيئة على المسلم فى الدنيا والآخرة.

* فمن بين تلك الآثار السيئة فى الدنيا:

أنه يضيع ماله بسبب التبذير والإسراف وقد يحتاج إلى هذا المال فى وقت الشدة فلا يجده.

بل وقد يفقد أصدقاءه الذين كانوا يصحبونه يوم أن كان مسرفًا لأنهم كانوا

(١) صحيح: رواه البخارى (١٩٦٨) كتاب الصوم.
(٢) سورة البقرة: الآية: (٦٨).
(٣) سورة الإسراء: الآية: (٢٩).
(٤) سورة الإسراء: الآية: (١١٠).
(٥) سورة الفرقان: الآية: (٦٧).

ينتفعون بإسرافه. . . فإذا ضاع ماله انصرفوا عنه وتركوه ولم يعرفوه.

بل وقد يصبح الفرد عالة على الناس من حوله. . يسأل هذا. . ويطلب من ذاك. . لأنه لم يحافظ على ماله فاحتاج لغيره.

* وقد تمتد تلك الآثار السيئة إلى أسرته بعد ضياع ماله فقد يتركهم يعيشون عالة على الناس فيذوقون مرارة وذُل السؤال ومرارة الفقر من ناحية أخرى.

* وقد يكون الإسراف في الوقت أو الصحة أو غير ذلك فتضيع حياته كلها دون أن ينتفع بها. . ويندم حين لا ينفع الندم.

* وأما عن آثار الإسراف والتبذير في الآخرة:

* فالمسرف في المعاصي الذي لا يتوب أبدًا ولا يرجع إلى الله يذوق العذاب الشديد في النار.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[1].

* أن المسرف المبذر أصبح شبيهًا للشيطان.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[2].

فالشيطان جحد نعمة الله وعصاه. . وكذلك المبذر قد جحد نعمة الله وعصاه بأن وضع هذه النعمة في غير موضعها أو وضعها في موضعها ولكن كان مسرفًا إسرافًا شديدًا.

* * *

* فلنحرص يا حبايبي على عدم الإسراف في أي شيء حتى نفوز برضوان الله ومحبته. . وحتى نعيش سعداء في الدنيا فلا نؤذي أنفسنا ولا نؤذي من حولنا ونكون بذلك قد عشنا على الوسطية التي جاء بها الإسلام.

* * *

(١) سورة غافر: الآية: (٤٣).

(٢) سورة الإسراء: الآيتان: (٢٦-٢٧).



الفهرس

الفهرس

الموضوع الصفحة

الصدق

الشجاعة

الموضوع	الصفحة

الجود والإيثار

الموضوع الصفحة

الصبر

التعاون

الموضوع الصفحة

العفو والصفح

الرحمة

الموضوع الصفحة

العدل

الموضوع الصفحة

المراقبة

الموضوع الصفحة

الوفاء

الموضوع الصفحة

القناعة

مواساة الناس

الموضوع الصفحة

الإحسان

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

النصيحة

الموضوع | الصفحة

التواضع

الشكر

الموضوع الصفحة

الإخلاص

الموضوع الصفحة

الحلم والرفق

الموضوع الصفحة

اليقين والتوكل

البشارة والتهنئة

الموضوع | الصفحة

البشاشة وطلاقة الوجه

الموضوع الصفحة

حسن الظن

الموضوع الصفحة

الاستقامة

الموضوع الصفحة

حفظ الأسرار

الاعتدال وعدم الإسراف

الموضوع الصفحة

* * *